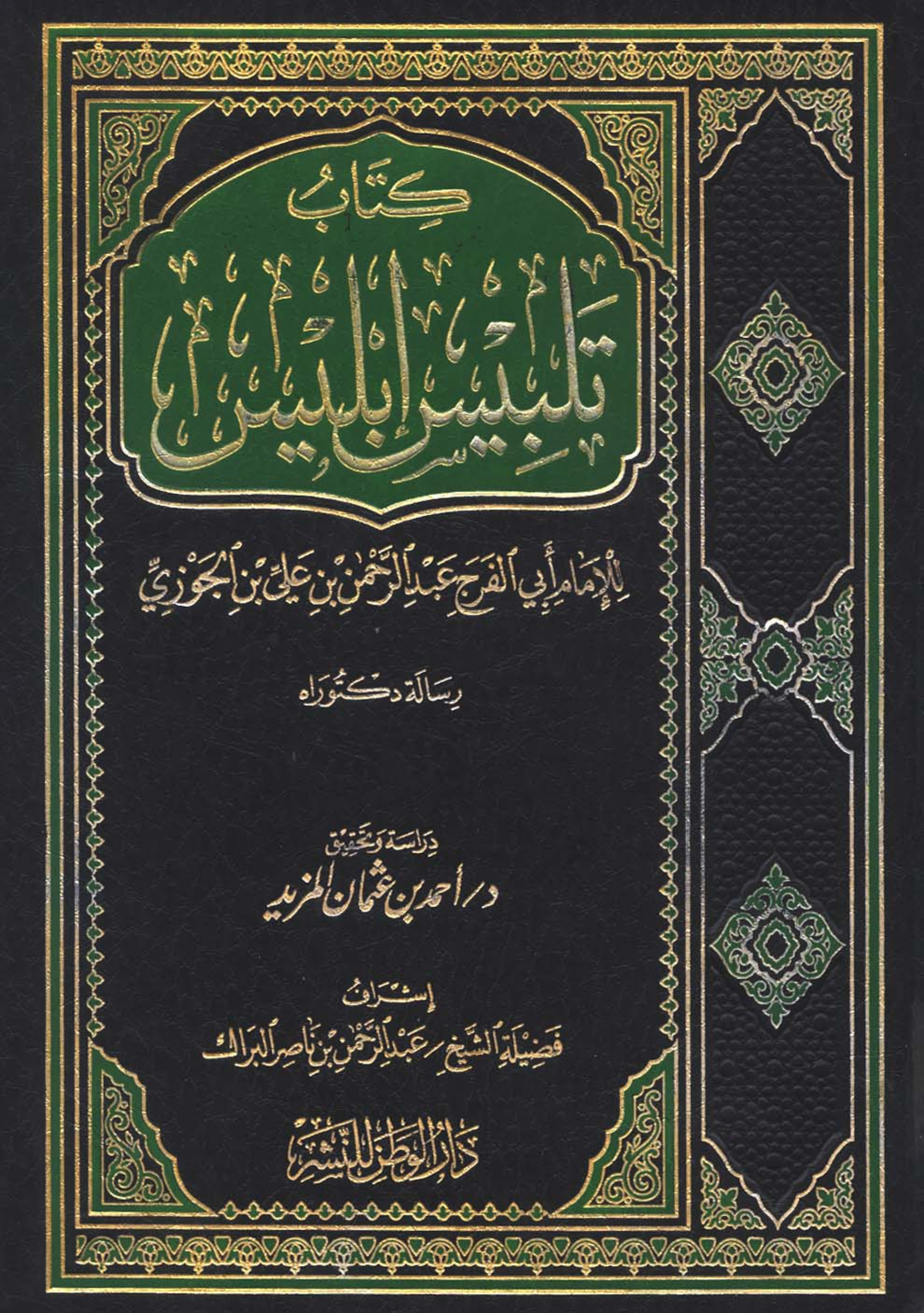


كتاب
تلبيس إبليس
للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
رسالة دكتوراه
دراسة وتحقيق
د/ أحمد بن عثمان المزيد
إشراف
فضيلة الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر البراك
دار الوطن للنشر

إهداء إلى والدي العزيز......

إجلالاً وتقديراً وعرفاناً بأفضاله العظيمة وجهوده السابغة المتواصلة معي؛ مما كان له عظيم الأثر بعد الله تعالى في إنجاز هذا العمل ... فجزاه الله عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة ... وأعظم الله له الأجر والمثوبة .

ابنكم

د/أحمد بن عثمان المزيد

أبو مصعب

١٤٢٢/١٢/٤هـ

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية أصول الدين ـ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة . وكانت هذه الرسالة تحت إشراف : فضيلة الشيخ/عبد الرحمن بن ناصر البراك .

وناقشها : أ.د/ناصر بن عبد الكريم العقل.

وأ.د/ أحمد بن سعد الغامدي.

وقد منح صاحبها درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى.

المقـــدمـة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١ ﴾ [النساء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم إن نعم الله تعالى على عباده كبيرة، وآلاءه عليهم جسيمة لا تعد ولا تحصى، ومن تلك النعم أن فطرهم على الإقرار بربوبيته، وأشهدهم على ذلك وهم في عالم الذرّ فقال تعالى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أن

تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٢]، وهذه الفطرة هي الدين الحنيف والإسلام لله تعالى، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠]. ومن رحمة الله تعالى بهذا المخلوق أنه لم يكله إلى نفسه بعد أن أوجده في هذه الحياة، بل أرسل إليه الرسل تترا تذكّره بذلك الميثاق وبتلك الفطرة التي فطره عليها، حتى يزول ما ران عليها من غشاوة النسيان وانحراف الهوى، وحتى تقوم حجة الله على العبيد، كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥].

فإن أصرّ الإنسان بعد ذلك على الإعراض، ولم يتعرض لأسباب الرحمة؛ فقد استحق الهلاك، ولا يهلك على الله إلا الشقي الهالك، لعظم رحمة الله تعالى وسعة إفضاله.

ومن أكبر أسباب هلاك ابن آدم ومحادته لربه وخالقه، تسلطُ عدو الله إبليس عليه، ومكره به الذي توعّد هذا المخلوق الذي فُضّل عليه، بأن لا يفتأ يفتنه ويزين له الشهوات والضلال حتى يهلكه، كما قال الله تعالى عنه: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: « إني خلقت عبادي حنفاء وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم،

وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا »[١].

من أجل ذلك حذّرنا منه ربنا أشدّ تحذير، فقال تعالى:﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٧]، وقال تعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور:٢١].. وغير ذلك من التحذيرات.

ولإبليس طرق كثيرة لإضلال بني آدم، وذلك من طبيعة عمله الذي لا يفتر عن إغواء الإنسان، واستعمال شتى الطرق والوسائل لإهلاكه، ولذلك فهو لا يكتفي بطريقة واحدة بل يعدد وينوّع أساليبه حتى ينال مطلوبه في النهاية وهو هلاك الإنسان على يديه، وقد صوّر القرآن العظيم مختلف تلك الأساليب، هتكاً لإبليس وكشفاً لغروره، بياناً لخطره كي يبالغ الإنسان في الحذر منه.

من تلك الأساليب ما جاء ذكره في القرآن العظيم :

ـ **الوسوسة**: كقوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾[الأعراف:٢٠]، وقوله: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٥].

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢١٩٧/٤ برقم ٢٨٦٥)، وأحمد في المسند (١٦٢/٤).

- **الغرور والوعد الكاذب** : كقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء:١١٩-١٢٠].

- **التزيين** : كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الأنفال:٤٨]، وقوله : ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النحل:٦٣].

- **الإيحاء** : كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام:١٢١]

إلى غير ذلك من الصور والأساليب التي تتطلّب من الإنسان شدة الحذر، وذلك بدوام الصلة بالمولى عزّ وجلّ ، لأن عدو الله ليس له سلطان على المؤمنين المستمسكين بحبل الله تعالى، والمداومين على ذكره، والمستحضرين لعظمته التي توجب الخوف منه، والحياء من جلاله العظيم، وهذا من أعظم ما يغيظ إبليس ويجعل كيده في نحره، ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل:٩٩].

وما أجمل ذكره في القرآن الكريم من صور تضليل إبليس لبني آدم، فإن السنة المطهّرة فصّلته وبينته، أذكر من ذلك على سبيل المثال قول الصادق المصدوق

ﷺ : « لا يزال الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول : من خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل : آمنتُ بالله »[1].

وما ذكر في هذا الحديث من أعظم ما دخل به إبليس على البشر، وهو إضلالهم وإفساد عقائدهم في ربهم عز وجل، فانحرفوا وكانوا نحلا وطوائف وفرقا، وشانوا أنفسهم بعقائد سولها لهم إبليس، ظهر على إثرها من أنكر وجود الباري تعالى، ومن أشرك معه غيره، ومن ألحد في أسمائه وصفاته، كما ظهر من أعرض عن حكم الكتاب والسنة إلى غيره من مصادر للتلقي، ومن ترك التوسط والاعتدال إلى الغلو والإفراط إما في تمجيد العقل وتقديمه على نصوص الشرع، وإما في التزهد وترك المباحات، وإما في التكفير بالمعاصي، أو الغلو في الإرجاء وترك العمل.

وقد كان من دأب العلماء والوعاظ التحذير من مكائد إبليس وصنوف غروره، وكان من أول ما ألف بهذا الشمول كتاب « تلبيس إبليس » للإمام ابن الجوزي –رحمه الله– المتوفى سنة ٥٩٧هـ. فكان من أجمع ما كتب في هذا الباب، وبخاصة في باب التلبيس على الناس في العقائد .

ونظرا لما احتواه هذا الكتاب من موضوعات، ولما له من قبول عند المسلمين، ولما اعترى طبعاته المختلفة من نقص، رأيتني متحمسا لخدمته والاعتناء به، فسارعت إلى تسجيله موضوعا لأطروحتي لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

---

[1] أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان الوسوسة (١/ ١٢٠برقم ١٣٤)،وأحمد في المسند (٢/ ٣٣١)

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

وتفصيلاً لما أجملتُ آنفاً من سبب رغبتي في خدمة كتاب « تلبيس إبليس » للإمام ابن الجوزي -رحمه الله- فإني أذكر أهم ما حداني لذلك من أسباب :

١- كون هذا الكتاب لإمام مشهور من أئمة المسلمين، واسع الاطلاع، كثير التصنيف، ذائع الصيت في باب الوعظ.

٢- أن الكتاب مهم جداً في بابه، حيث يُعد من أول ما ألف هذا الشمول في بيان مكائد الشيطان، فقد أتى على ذكر أغلب صور التلبيس التي يكيد بها إبليس بني آدم، ومن ذلك ما كاد به الطوائف الخارجة عن الإسلام، وكذلك الفرق التي انتسبت إلى الإسلام، والفرق الإسلامية.

٣- من حيث مضمون الكتاب ومنهج مؤلفه فيه، ومن ذلك :

- اهتمام ابن الجوزي -رحمه الله- برواية الأحاديث والآثار والأخبار بأسانيده الخاصة، مما يضفي على الكتاب صفة الأصالة والأمانة العلمية.
- أن هذا الكتاب يُعد نموذجاً للعلماء المهتمين بالمقالات ومذاهب الفرق، حيث اتبع فيه مؤلفه أسلوب العرض والنقد؛ فقد كان يعرض أصل الشبهة التي لبس بها إبليس على الطائفة المعينة، ثم ينقدها في ضوء المنقول والمعقول من الأدلة المعتبرة.
- اهتمام المؤلف بصورة خاصة بهتك بعض الفرق والمذاهب التي ما زال المسلمون يعانون من انحرافاتهم إلى يومنا هذا، من ذلك :

فرقة الباطنية التي فضح مكايدها، وبيّن خطرهم على الإسلام والمسلمين بما ذكره من آرائهم الضالة، وطرقهم في استدراج الناس إلى مذهبهم.

فرقة الرافضة التي تدور حقيقة مذهبهم على الطعن في أصل الدين والنبوة.

فرقة الخوارج التي ركّز على ذكر انحرافهم في فهم القرآن، وتسرعهم في تكفير المسلمين، وتقديمهم لرأيهم على حكم الكتاب والسنة.

فرقة الصوفية ونقد هذه الفرقة في عقائدها، وعباداتها، ورجالاتها، وكتبها..كان قطب رحى هذا الكتاب، ومجمع محاسنه.

فقد فضح هذه الطائفة وهي في أوج حظوتها عند الحكام وعند العوام في عصره، وبيّن أن مذهبهم يقوم على تمييع العقيدة، وتعطيل الشريعة، كل ذلك مدعم بالأدلة والشواهد من سير القوم وأخبارهم.

كما نقد بعض كتبهم : كإحياء علوم الدين للغزالي، والرسالة للقشيري، والحلية للأصفهاني، وطبقات الصوفية للسلمي، وقوت القلوب للمكي، وصفوة التصوف للمقدسي...وغيرها.

- ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- حدود وضوابط بعض المصطلحات، ومنها: معنى السنة والبدعة، وأهل السنة والمبتدعة، فرّق بين الزهد والتصوف، وتكلم عن معنى القدر وصلته بالتوكل.

٤- كثرة مصادر الكتاب، وبخاصة تلك التي فُقدت، فبذكره لها يكون قد حفظ لنا بعض النصوص من الضياع والفقدان، وهذه فائدة يدركها كل من عالج كتاباً مخطوطاً، او أراد توثيق نص معين.

٥- توفر نسخ الكتاب الخطية، مما يدل على أهميته ، ويحث على الاعتناء به بدل بقائه على صورته المطبوعة التي هي في حاجة إلى كثير من الإصلاح.

٦- طبعات الكتاب الموجودة كلها ترجع إلى الطبعة المنيرية التي اجتهد صاحبها – جزاه الله خيرا – في إخراجها في صورة أقرب إلى الكمال حسب إمكانات ذلك الزمن، فقد طبعت قبل نحو خمسين سنة! وسقط منها - في الجزء الذي حققته فقط – تسعون سنداً، وتحرفت فيه وسقطت مائة عبارة وجملة.

٧- رغبتي في المشاركة في خدمة تراث الأسلاف رحمهم الله، وبخاصة إذا كان الكتاب – كما هو حال كتاب تلبيس إبليس – مما اهتم باقتنائه ومطالعته الخاص والعام من المسلمين.

خطة البحث :

قسمتُ العمل في هذا البحث إلى مقدمة وقسمين:

أما المقدمة : فقد خصصتها للحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختيـــاره، وخطة البحث ومنهجي فيه.

القسم الأول : الدراسة :

وتشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : ترجمة المؤلف، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حياته الشخصية، وفيه مطالب :

المطلب الأول : اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه.

المطلب الثاني : مولده ونشأته.

المطلب الثالث : محنته ووفاته.

المطلب الرابع : ثناء العلماء عليه.

المبحث الثاني : حياته العلمية، وفيه مطالب :

المطلب الأول : طلبه للعلم.

المطلب الثاني : شيوخه.

المطلب الثالث : تلاميذه.

المطلب الرابع : مذهبه الفقهي.

المطلب الخامس : ذكر مؤلفاته.

الفصل الثاني : عقيدته، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول : منهجه العام في العقيدة.

المبحث الثاني : عقيدته في التوحيد. وفيه مطالب.

المطلب الأول : توحيد الربوبية

المطلب الثاني : توحيد الألوهية

المطلب الثالث : عقيدته في صفات الله تعالى

المبحث الثالث : عقيدته في الإيمان، وفيه مطالب.

المطلب الأول : مسائل في الإيمان

المطلب الثاني : الإيمان باليوم الآخر

المطلب الثالث : الإيمان بالرسل

المطلب الرابع : الإيمان بالقدر.

المبحث الرابع : موقفه من الفرق، وفيه مطالب.

المطلب الأول : الملل والنحل الخارجة عن الإسلام.

المطلب الثاني : الفرق المنتسبة للإسلام وليست منه.

المطلب الثالث: الفرق الإسلامية.

الفصل الثالث : التعريف بالكتاب، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول : اسم الكتاب ونسبته للمؤلف، وفيه مطالب.

المطلب الأول : اسم الكتاب.

المطلب الثاني : توثيق نسبة الكتاب للمؤلف.

المطلب الثالث : موضوع الكتاب.

المبحث الثاني : مصادر المؤلف ومنهجه في الكتاب، وفيه مطلبان.

المطلب الأول : مصادر المؤلف في الكتاب.

المطلب الثاني : منهجه في الكتاب.

المبحث الثالث : قيمة الكتاب العلمية.

المبحث الرابع : وصف النسخ الخطية. وفيه مطلبان.

الفصل الرابع : دراسة لأهم موضوعات الكتاب، وفيه مبحثان.

المبحث الأول : وجوب لزوم السنة واجتناب البدعة، وفيه مطالب.

المطلب الأول : تعريف السنة والبدعة.

المطلب الثاني : الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب لزوم السنة واجتناب البدعة.

المطلب الثالث : البدعة الفعلية والبدعة التركية.

المطلب الرابع : خطورة البدعة.

المطلب الخامس : قاعدة « كل بدعة ضلالة ».

المطلب السادس : أشهر ما استدل بـــه المقسّـمون للبدع.

المطلب السابع : حكم البدع.

المبحث الثاني : نقد التصوف والمتصوفة، وفيه مطالب.

المطلب الأول : نسبة التصوف واشتقاقه.

المطلب الثاني : الأصل التاريخي للتصوف.

المطلب الثالث : نقد أصول التصوف وآرائه.

القسم الثاني : النص المحقق.

منهجي في التحقيق :

١-في توثيق النص وضبطه، والمقابلة بين النسخ. وقد اتبعت في ذلك مايلي:

ـــ اعتمدتُ في تحقيق هذا القسم على أربع نسخ خطية - سيأتي وصفـها - جعلتُ النسخة المغربية أصلاً، لما لها من ميزات سيأتي ذكرها ، وقابلتها ببقية النسخ الأخرى، وقمت بإثبات الفروق بينها في الهامش.

ــ جعلتُ لكل نسخة من هذه النسخ رمزاً خاصاً بها، فرمزتُ للمغربية بـ " الأصل "، وللأحمدية بـ "أ"، وبـ "ت" للتركية التامة، ورمزت بـ "ك" للتركية الناقصة.

ــ ما أضفته على " الأصل " من النسخ الأخرى، فإني أضعه بين معقوفين هكذا [ ].

ــ إذا وقع بـ "الأصل " خطأ، أو تحريف، أو طمس، أو سقط، أصلحته من النسخ الأخرى، وجعلته بين معقوفين.

فإن أجمعت النسخ على الخطأ، كتحريف في اسم راوٍ مثلاً، فإني أثبت الصواب في الأصل وأضعه بين معقوفين، وأشير إلى مصدر التصويب في الهامش.

ــ تجنبتُ إيراد بعض الفروق التي تتكرر كثيراً، مثل : " حدثنا" و " ثنا"، و "أخبرنا" و " نا " ونحوها من صيغ التحمل ومختصراتها، حتى لا أثقل الحواشي.

١ـ كتبتُ النص طبقاً لقواعد الإملاء الحديثة، مع مراعاة علامات الترقيم لتساعد على فهم النص، وتوضيح عباراته.

ــ بينتُ وجه كل ورقة من مخطوطة الأصل.

ــ رقّمتُ الأحاديث والآثار المسندة ترقيماً متسلسلا، وجعلت الرقم بين معقوفين.

ــ قسمتُ الصفحة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول كتبتُ فيه متن الكتاب، والثاني جعلته لفروق النسخ، والثالث للتعليق على النص.

٢ـ عزوت الآيات إلى سورها وأرقامها، وجعلت ذلك في أصل النص بين معقوفين، تجنبا لإثقال الحواشي.

٣ـ خرّجت الأحاديث والآثار:

-فما كان منها مسنداً؛ فإني أبدأ بمن ساقه المؤلف من طريقه، ثم أخرّجه من بقية المصادر الأخرى.

-إذا كان الحديث موجودا في الكتب الستة أو بعضها، فإني ألتزم بذكرها مع إضافة مسند الإمام أحمد.

-التزمت ذكر اسم الكتاب والباب عند التخريج من الكتب الستة فقط، وما عداها فلم ألتزمه.

-حرصت في تخريج الآثار على كتب العقيدة المسندة.

-بالنسبة إلى الحكم على الأحاديث، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، فإذا لم يكن فيهما حرصت على ذكر أقوال العلماء في ذلك إن وجدتها.

٤ـ أورد المصنف –رحمه الله – نصوصاً كثيرة جداً تتعلق بالعقيدة والفرق، والفقه، والحديث، والتاريخ، واللغة وغيرها، وثقتها من مصادرها المعتمدة.

فإن نص المؤلف على اسم الكتاب التزمت بذكره – ما لم يكن مفقودا – وإن عزاه إلى مؤلّف بحثت في مصنفاته، فأذكر الأقرب إلى النص الذي أورده المصنف، وإن تعذر ذلك وثقته من مصادرأخرى.

ـ ترجمت لرواة الأسانيد، فأذكر اسم الراوي، ونسبه، وكنيته، وسنة وفاته إن وُجدت، وإلا فطبقته كما هو في تقريب التهذيب.

فإن كان الراوي من رجال الكتب الستة ذكرت حكم الحافظ ابن حجر عليه في تقريب التهذيب.

وإن كان من غيرها بذلت جهدي في التعريف به من كتب الرجال والتواريخ، مع ذكر قول أو أكثر من أقوال أهل العلم فيه.

ـ إذا تكرر اسم الراوي في الأسانيد، فإني أترجم لـه في الموضع الأول، وأحيل عليه في بقية المواضع بذكر رقم الحديث أو الأثر الوارد في سنده.

٥ـ عرفت بالأعلام الواردين في المتن تعريفا وسطاً في الغالب.

٦ـ عرفت بالفرق والطوائف الواردة في المتن.

٧ـ عرفت بالقبائل والجماعات.

٨ـ عرفت بالأماكن والبلدان.

٩ـ عرفت بالكتب التي ذكرها المؤلف.

١٠ـ شرحت المفردات الغريبة، وعزوت الأبيات الشعرية إلى مصادرها.

١١ـ عرفت بالمصطلحات العقدية، والعلمية، والفلسفية، والمنطقية، والصوفية وغيرها.

١٢ـ علقت على المسائل التي رأيت أنه من المناسب التعليق عليها، موافقاً أحياناً أو مستدركاً ومتعقباً أحياناً أخرى. ثم أذكر في نهاية التعليق جملة من المراجع في الموضوع.

١٣ـ وضعت فهارس تفصيلية للكتاب، وهي كالتالي :

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس رواة الأسانيد.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الفرق والطوائف.
- فهرس القبائل والأقوام.
- فهرس غريب اللغة والأثر.

- فهرس المصطلحات.
- فهرس أسماء الكتب الواردة في المتن.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- قائمة المصادر والمراجع.
- فهرس تفصيلي للموضوعات.

شكر وتقدير

فالحمد لله على ما منّ به عليّ من إتمام هذا البحث، ثم الشكر موصول إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في مديرها ووكلائه.

كما أشكر عميد كلية أصول الدين ووكيله، ورئيس قسم العقيدة ووكيله.

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أتقدم بوافر الشكر إلى رئاسة الحرس الوطني ممثلة في وكالة الحرس الوطني للشئون الثقافية والتعليمية، لما قدموه وأظهروه من التعاون والتشجيع.

وأذكر بكامل الامتنان والعرفان والدعاء مقام فضيلة الشيخ العلامة/ **عبد الرحمن بن ناصر البرّاك**، المشرف على هذه الرسالة، الذي نفعني الله بعلمه وتوجيهاته السديدة طيلة مدة إشرافه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور/ **ناصر بن عبد الكريم العقل**، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ **أحمد بن سعد الغامدي**؛ لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وإبداء ملاحظتهما الطيبة عليها.

ولكل من ساعدني برأي أو نصيحة، أو مرجع أتوجه بالشكر والامتنان.

وفي الأخير فهذا جهد المقل، فما وقع فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

القسم الأول: الدراسة

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : ترجمة المؤلف.

الفصل الثاني : عقيدته.

الفصل الثالث : التعريف بالكتاب.

الفصل الرابع : دراسة لأهم موضوعات الكتاب.

الفصل الأول

ترجمة المؤلّف

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: حياته الشخصية.

المبحث الثاني: حياته العلمية.

المبحث الأول : حياته الشخصية

المطلب الأول : اسمه ونسبه، وكنيته، ولقبه.

هو عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حُمَّادي[١] ــ بضمّ الحاء المهملة وتشديد الميم وفتحها[٢] ــ بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النّضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق ــ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ القرشي، التيمي، البكري ثم البغدادي، الفقيه الحنبلي الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة[٣].

فابن الجوزي ــ رحمه الله ــ ينتهي نسبه في سلسلة متصلة الحلقات بأفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وإنّه لشرف عظيم ونعمة كبيرة تدل على طيب أصله وعريق نسبه، وكان ابن الجوزي نفسه يتحدّث بهذه النعمة ويتخذها أداةً لشحذ همم ولده فيقول في لفتة الكبد[٤]:

«يا بنيّ، واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصدّيق ــ رضي الله عنه ــ وأبونا القاسم بن محمد بن أبي بكر ... ثم تشاغل سلفُنا بالتجارة والبيع والشراء، فما كان من المتأخرين من رُزق همّةً في طلب العلم غيري، وقد آل الأمر إليك فاجتهد أن لا

---

(١) زاد الداودي في طبقات المفسرين (٢٧٦/١) بعد حُمَّادي: (ابن إبراهيم)، ولم أر هذه الزيادة لأحد سواه.

(٢) هكذا ضبطه المنذري في التكملة (٣٩٥/١)، وابن خلكان في الوفيات (١٤٢/٣).

(٣) انظر: مرآة الزمان (٤٨١/٨)، التكملة لوفيات النقلة (٣٩٤/١)، وفيات الأعيان (١٤٠/٣)، تاريخ الإسلام وفيات ٥٩١- ٦٠٠ (ص٢٨٧)، البداية والنهاية (٣٢/١٣)، الذيل على طبقات الحنابلة (٣٩٩/١)، طبقات المفسرين للداودي (٢٧٥/١-٢٧٦)، شذرات الذهب (٣٣٠/٤).

(٤) (ص ٧٥-٧٦).

لا تخيّب ظني...».

ولا يفوتني أن أشير إلى أن ابن الجوزي كان يُسمى في طفولته (المبارك) إلى سنة عشرين وخمسمائة، فسمّاه شيخه محمد بن ناصر(١) (عبد الرحمن)(٢).

وكنيته أبو الفرج، هذا هو المعروف،إلا أن ابن جبير(٣) في رحلته(٤) كنّاه بأبي الفضل، ولم أر من ذكر هذه الكنية غيره.

كما لقب بجمال الدين(٥)، غير أنه اشتهر بابن الجوزي نسبة إلى جدّه الأكبر «جعفر بن عبد الله»، وهو الجدّ التاسع، فهو الذي لقّب بالجوزي ثم توارث بنوه هذا اللقب، واشتهر به ابن الجوزي وعُرف به(٦).

والجَوْزي ـ بفتح الجيم وسكون الواو وفي آخرها الزاي ـ(٧) اختلف المؤرخون في سبب نسبة ابن الجوزي:

فمنهم من قال: إن جدّه جعفراً نُسب إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة. وفرضة النهر: ثلمته التي يستقى منها، وفرضة البحر: محطّ السفن(٨).

---

(١) ستأتي ترجمته عند الحديث [٤١] من هذه الرسالة.

(٢) حكى ذلك عنه ابن القطيعي كما في ذيل طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٣) هو محمد بن أحمد بن جبير، أبو الحسن الكناني، البلنسي ثم الشاطبي. الكاتب البليغ، صاحب الرحلة الفائقة المشهورة. مات سنة ٦١٤هـ بالإسكندرية. انظر : (السير ٤٥/٢٢، شذرات الذهب ٦٠/٥).

(٤) (ص ١٩٦).

(٥) التكملة لوفيات النقلة (٣٩٤/١)، وفيات الأعيان (١٤٠/٣)، السير (٣٦٥/٢١).

(٦) تذكرة الحفّاظ (١٣٤٢/٤).

(٧) الأنساب (٣٦٦/٣)، تبصير المنتبه (٣٧٠/١).

(٨) التكملة لوفيات النقلة (٣٩٥/١)، السير (٣٧٢/٢١)، ذيل طبقات الحنابلة (٤٠٠/١).

وقيل: إن جدّه جعفراً نُسب إلى محلّة بالبصرة تُسمى محلّة الجوز[١].

وقيل: إن جدّه جعفراً كانت في داره بواسط جوزة لم يكن بواسط سواها[٢].

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

أولاً: مولده:

ولد ابن الجوزي بدرب حبيب في بغداد[٣]، واختلف في تاريخ ولادته. فقيل: سنة ثمان وخمسمائة، وقيل: سنة تسع وخمسمائة، وقيل: سنة عشر وخمسمائة أو قبلها[٤].

والسبب في هذا الاختلاف أن ابن الجوزي نفسه لم يجزم بتاريخ معين لولادته.

قال ابن رجب ـ بعد أن سرد الخلاف في ولادته ـ: «ووجد بخطه: لا أحقّق مولدي، غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين، وقال ابن القطيعي[٥]: سألته عن مولده؟ فقال: ما أحقّق الوقت، إلا أنني أعلم أني احتلمت في سنة وفاة شيخنا ابن الزاغوني[٦]، وكان توفي

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠)، شذرات الذهب (٤/٣٣٠).

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/١٣٤٢)، الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٠٣)، طبقات المفسرين للداودي (١/٢٧٦).

(٣) مرآة الزمان (٨/٤٨١)، الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٤) انظر هذه الأقوال في: التكملة لوفيات النقلة (١/٣٩٤)، وفيات الأعيان (٣/١٤٢)، السير (٢١/٣٦٦)، البداية والنهاية (١٣/٣٣)، طبقات الحفّاظ للسيوطي (ص٥٠٣)، شذرات الذهب (٤/٣٢٩).

(٥) ستأتي ترجمته (ص٥٦) من المقدمة.

(٦) ستأتي ترجمته (ص٤٣) من المقدمة.

سنة سبع وعشرين.

قلت ــ أي ابن رجب ــ: وهذا يؤذن أن مولده بعد العشرة»[١].

وذكر سبطه أبو المظفر[٢] أنه سأل جدّه عن تاريخ مولده فقال: ما أحققه ولكن في سنة عشر وخمسمائة تقريباً[٣] .

ولا غرابة في هذا الخلاف إذا كان ابن الجوزي نفسه غير متأكد من سنة ولادته.

ثانياً: نشأته :

نشأ ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ يتيماً في بيت عريق، وأسرة كريمة، وتوفي والده وله من العمر ثلاث سنوات[٤] ، وكان والده موسراً فخلّف له مَالاً يستعين به في حياته، ويوضح ذلك قول ابن الجوزي لابنه: «واعلم يا بني أن أبي كان موسراً وخلّف ألوفاً من المال»[٥] .

وكفلته بعد ذلك أمّه وعمّته، وأخذت بيده عمّته واعتنت به منذ الطفولة، ولما ترعرع حملته إلى مسجد خاله أبي الفضل محمد بن ناصر فاعتنى به وأسمعه الحديث[٦].

وأشار ابن النجّارالبغدادي إلى أن عمّه أبا البركات حمله إلى خاله الحافظ أبي

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٢) ستأتي ترجمته (ص٥٥) ضمن تلامذة ابن الجوزي.

(٣) مرآة الزمان (٨/٤٨١)، شذرات الذهب(٤/٣٢٩).

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٥) لفتة الكبد (ص٥٦).

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠-٤٠١).

الفضل بن ناصر أيضاً، وسأله أن يسمعه الحديث فأسمعه[١]. وبالرغم من أن ابن الجوزي نشأ يتيماً فإن الله قد هيأ له نشأة زكية واتجاهاً قويماً، وأكسبته هذه النشأة الكثير من خلال الخير والصلاح والعفاف.

يقول عنه الحافظ ابن كثير: «وكان وهو صبي ديناً مجموعاً على نفسه لا يخالط أحداً، ولا يأكل ما فيه شبهة»[٢].

ويقول عنه سبطه أبو المظفر: «... وما مازح أحداً قط، ولا لعب مع صبيّ، ولا أكل من جهة لا يتيقّن حلّها»[٣].

وقال موفق الدين عبد اللطيف[٤]: «كان ابن الجوزي لطيف الصورة، حلو الشمائل، رخيم النغمة، موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة...»[٥].

أما عن أولاده، فيذكر ابن الجوزي أنه رزق بعشرة أولاد، فكانوا خمسة ذكور وخمس إناث، فمات من الإناث اثنتان، ومن الذكور أربعة، و لم يبق منهم سوى أبي القاسم[٦].

وهذا في حدود السنة التي ألّف فيها كتابه « لفتة الكبد » المُشار إليه في

---

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص٢٨٤-٢٨٥).

(٢) البداية والنهاية (٣٢/١٣).

(٣) مرآة الزمان (٤٨٢/٨)، وانظر: السير (٣٧٣/٢١).

(٤) هو الشيخ العلاّمة عبد اللطيف بن يوسف بن محمد الموصلي، أبو محمد البغدادي الشافعي، الفقيه النحوي اللغوي الطبيب ذو الفنون، نزيل حلب، غلب عليه علم الطب والأدب وبرع فيهما. مات سنة ٦٢٩هـ ببغداد. (التقييد لابن نقطة ص٣٨٢، السير ٣٢٠/٢٢).

(٥) تذكرة الحفاظ (١٣٤٦/٤).

(٦) لفتة الكبد (ص٢٢).

الهامش؛ حيث نصّ على ذلك. وإلا فإنه قد رُزق بابنه يوسف الذي وُلد سنة ٥٨٠هـ [١]، وهو آخر أولاده وأنجبهم.

وذكر سبطه أبو المظفر في كتابه « مرآة الزمان » [٢] بأنه رُزق بست بنات، فلعلّ السادسة منهن وّلدت بعد تأليفه لـ« لفتة الكبد ».

(١) ستأتي ترجمته (ص٥٤).

(٢) (٨/٥٠٣).

المطلب الثالث: محنته ووفاته.

تعرّض ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ في آخر حياته لمحنة عظيمة أوردها معظم من ترجم له، وذلك أنّه وُشي به إلى الخليفة النّاصر[١] بأمر اختلف في حقيقته، وذلك في الصيّف، فبينما هو جالس في داره يكتب، جاءه من أسمعه غليظ الكلام وشَتَمه، وختم على كتبه وداره، وشتّت عياله. فلما كان أول الليل حملوه في سفينة، وأحدروه إلى واسط[٢] ، فأقام خمسة أيام ما أكل طعاماً، وهو يومئذ ابن ثمانين سنة، فلما وصل إلى واسط أُنزل في دار وحُبس بها، فكان يخدم نفسه ويغسل ثوبه ويطبخ، ويستقي الماء من البئر، فبقي كذلك خمس سنين لم يدخل فيها حمّاماً.

وكان السبب في ذلك أن الركن عبد السلام بن عبد الوهّاب الجيلي[٣] المتهم بسوء العقيدة قد أحرقت كتبه بإشارة ابن الجوزي، وأُعطيت مدرسة جدّه لابن

---

(١) هو الخليفة الناصر لدين الله أبو العبّاس أحمد بن المستضيء بأمر الله. لم يل الخلافة أحد أطول مدّة منه، فإنه أقام فيها ٤٧ سنة، وكان مهيباً يرمى بالتشيع ويميل لمذهب الإمامية بخلاف آبائه. مات سنة ٦٢٢هـ. (السير ١٩٢/٢٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٨٧).

(٢) **واسط** : **هي** مدينة من مدن العراق المهمة، تقع بين البصرة والكوفة، سميت بذلك لتوسطها بينهما، وتُسمى أيضا « واسط الحَجّاج » إذ هو الذي أمر ببنائها. انظر : معجم البلدان (٣٤٧/٥).

(٣) كان عبد السلام هذا يُرمى بالفواحش والمنكرات، وغير محمود في طريقته وسيرته واتهم بالفلسفة ومخاطبة النجوم، فأحرقت كتبه، وحكم عليه بالفسق، وأودع السجن أيام الوزير ابن يونس، وأُعطيت مدرسة جدّه لابن الجوزي؛ ولذا حقد عليه، توفي سنة ٦١١ هـ (ذيل طبقات الحنابلة ٧١/٢، شذرات الذهب ٤٥/٥).

الجوزي، وكان واصلاً عند الوزير ابن القصّاب[1]، فقال له: أين أنت من ابن الجوزي، فإنه ناصبي من أولاد أبي بكر الصدّيق.

وكان ابن القصّاب شيعياً خبيثاً، فكتب إلى الخليفة، وساعده جماعة ولبسّوا على الخليفة فأمر بتسليمه إلى الرّكن، ودخل ابن الجوزي في محنته، كما تقدّم في أوّل الكلام.

وكان السبب في خلاص ابن الجوزي ـ بعد فضل الله تعالى ـ أنّ ابنه محيي الدين يوسف اشتغل وعمل بالوعظ وهو صبي، وأصبحت له مكانة لدى أم الخليفة الناصر لدين الله، فكلّمها في شأن خلاص أبيه، فشفعت له لدى الخليفة، فأطلق سراحه، وعاد إلى بغداد[2].

ولم تطل حياة ابن الجوزي بعد خروجه من سجنه بواسط ورجوعه إلى بغداد، فقد توفي ليلة الجمعة بعد المغرب في الثاني عشر من شهر رمضان المبارك سنة سبع وتسعين وخمسمائة (٥٩٧هـ) بالجانب الغربي من مدينة السلام، بدار له قريبة من قبر معروف الكرخي[3]، وله من العمر سبع وثمانون سنة تقريباً.

وأجمعت المصادر على أن يوم وفاته كان يوماً مشهوداً ببغداد، إذ نودي بالصلاة عليه في جانبي بغداد يوم الجمعة، فحضر خلق كثير من الفقهاء والعلماء والأكابر، وتقدم في الصلاة عليه ولده الأسن أبو القاسم، وحمل الناس جنازته إلى

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن علي البغدادي الوزير الكبير، المعروف بابن القصّاب، تولّى الوزارة سنة ٥٩٠هـ، وتوفي سنة ٥٩٢هـ.
(التكملة لوفيات النقلة ٢٦٢/١، شذرات الذهب ٣١١/٤).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٥٩١-٦٠٠ (ص ٢٩٥-٢٩٦) وانظر أخبار محنة ابن الجوزي في: ذيل الروضتين لأبي شامة (ص ١٥) وذيل طبقات الحنابلة (٤٢٦/١-٤٢٧).

(٣) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [١٣٤].

جامع المنصور فصليّ عليه مرّة ثانية، ثم حمل إلى مقبرة باب حرب[١] فدفن هناك عند أبيه بالقرب من الإمام أحمد بن حنبل[٢].

يقول الحافظ ابن كثير عن هذا اليوم: «وكان يوماً مشهوداً حتى قيل: إنه أفطر جماعة من الناس من كثرة الزحام وشدة الحرّ»[٣].

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه.

ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ عالم مُكثر، وصاحب تصانيف عديدة، والمتتبع لما كتبه العلماء عنه، وما قالوه فيه، يرى أن غالب هؤلاء أثنوا عليه ومدحوه، وذكروا تميّزه بكثير من الفضائل والمناقب، وهذا لا يعني عدم اعتراضهم على مسلكه في بعض الجوانب العلمية، وتعقبهم له في ذلك، فكل واحد يؤخذ من قوله ويردّ إلا المصطفى . وسأذكر في هذه الخلاصة بعض من أثنوا عليه مراعياً في ذلك الترتيب الزمني.

يقول الرحالة ابن جبير في وصف المجالس التي حضرها لابن الجوزي أثناء رحلته: «... فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفرا كل الصيد، آية الزمان، وقرّة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتبة العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمّة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدرّ.. إلى أن قال: فلو لم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر إلا

---

(١) باب حرب: محلّة ببغداد، وهي التي يقال لها الحربية. مراصد الاطلاع (١/٣٨٩).

(٢) انظر: مرآة الزمان (٨/٢٨١)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص ٢٦٨)، تاريخ الإسلام وفيات ٥٩١-٦٠٠ (ص ٢٩٧-٢٩٨)، البداية والنهاية (١٣/٣٣)، الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٢٨-٤٢٩).

(٣) البداية والنهاية (١٣/٣٣).

لمشاهدة مجلس هذا الرّجل لكانت الصفقة الرابحة، والوجهة المفلحة الناجحة»[١].

وقال ابن خلكان: «كان علاّمة عصره، وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ، صنّف في فنون عديدة»[٢].

وقال الذهبي: «الواعظ المتفنن، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في أنواع العلم، من التفسير والحديث والفقه والوعظ والأخبار والتاريخ وغير ذلك... وعظ من صغره، وفاق فيه الأقران، ونظم الشعر المليح، وكتب بخطه ما لا يوصف، ورأى من القبول والاحترام ما لا مزيد عليه»[٣].

وقال ابن كثير: «أحد أفراد العلماء، برّز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار... وتفرّد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته، وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه، وغوصه على المعاني البديعة، وتقريب الأشياء البعيدة فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك... هذا وله في العلوم كلّها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها، من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنّظر في النجوم والفقه والطب، وغير ذلك من اللغة والنحو»[٤].

وقال ابن رجب الحنبلي: «الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب جمال الدين أبو الفرج، المعروف بابن الجوزي، شيخ وقته، وإمام عصره»[٥].

ومع أن ابن الجوزي كان مشاركاً في كثير من العلوم حتى يصعب على

---

(١) رحلة ابن جبير (ص ١٩٦ فما بعدها).

(٢) وفيات الأعيان (٣/١٤٠).

(٣) العبر للذهبي (٣/١١٨-١١٩).

(٤) البداية والنهاية (١٣/٣١).

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة.(١/٣٩٩).

الإنسان أن ينسبه إلى التخصص في علم معين إلا أنهم أجمعوا على بروزه في فنّ الوعظ، وأثنوا عليه بذلك ثناءً عظيماً.

فقال الإمام الذهبي عنه: «كان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق والنثر الفائق بديهاً، ويُسهب ويُعجب، ويطرب ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحراً في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث ومعرفة فنونه، فقيهاً عليماً بالإجماع والاختلاف...»[1].

(١) السير (٢١/٣٦٧).

المبحث الثاني

حياته العلمية.

المطلب الأوّل: طلبه للعلم.

إن المتأمل في حياة هذا الإمام يرى أن ملامح الرشد والصلاح والجد والفلاح قد بدت عليه منذ الصغر، وأن عناية الله تعالى صاحبته من صغره، فبالرغم من نشأته يتيماً، ووفاة والده وعمره ثلاث سنوات، ألهمه الله حبّ العلم وطلبه في وقت مبكر. فيقول ـ رحمه الله ـ : «فأقول عن نفسي وما يلزمني حال غيري: إنني رجل حبب إليّ العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يحبّب إليّ فن واحد منه، بل فنونه، ثم لم تقتصر همّتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه...»[١].

ولعلّ من أهم أسباب نبوغه ـ بعد توفيق الله ورعايته ـ الهمّة العالية والتطلع المبكر نحو العلم وأهله، مع عزوفه عن اللهو وإضاعة الوقت فيما لا يجدي، ويوضح هذا ابن الجوزي في نصيحته لابنه بقوله: «وقد عرفت بالدليل أن الهمّة مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات فإذا حثّت سارت»[٢].

ويقول أيضاً: «إن أكثر الإنعام علي لم يكن بكسبي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همّة عالية، وأنا في المكتب[٣] ابن ست سنين، وأنا قرين الصبيان الكبار قد رزقت عقلاً وافراً في الصغر يزيد على عقل الشيوخ...»[٤].

وسبق أن ذكرت في نشأة ابن الجوزي أن عمّته قامت بتربيته، وحملته إلى خاله أبي الفضل محمد بن ناصر الذي قال عنه ابن الجوزي: «ولقد وفق لي شيخنا أبو

---

(١) صيد الخاطر (ص٧٦-٧٧).

(٢) لفتة الكبد (ص٣٢).

(٣) **المكتب**: ويقال أيضاً : الكُتّاب. هو موضع الكتاب والتعليم. تاج العروس (كتب).

(٤) لفتة الكبد (ص٣٣-٣٤).

الفضل بن ناصر ــ رحمه الله ــ وكان يحملني إلى الشيوخ فأسمعني المسند وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي ــ رحمه الله ــ فنلت به معرفة الحديث والنقل»[١].

وقد قيل: إن أوّل سماعه سنة ست عشرة وخمسمائة[٢]، وكان حريصاً على انتقاء الشيوخ الكبار والإفادة منهم كما يقول هو في مقدمة مشيخته: «فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همّتي تجويد العُدد لا تكثير العدد»[٣].

ولم يرحل ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ في طلب العلم، بل اكتفى بما حصل عليه من علماء ومشايخ بغداد ومن وفد عليها، ولا يخفى أن بغداد آنذاك كانت عاصمة العلم والعلماء، ونقطة التقائهم وتنقلهم بين البلدان، بالإضافة إلى ما وقع له من كتب كثيرة سمعها من مشايخه الكبار بالأسانيد المتصلة.

قال الذهبي: «ولم يرحل في الحديث، لكن عنده (مسند الإمام أحمد) و(الطبقات) لابن سعد، و(تاريخ الخطيب)، وأشياء عالية، و(الصحيحان)، و(السنن الأربعة)، و(الحلية)، وعدّة تواليف وأجزاء يخرّج منها»[٤].

---

(١) المصدر نفسه (ص٣٥).

(٢) السير (٣٦٦/٢١).

(٣) المشيخة (ص٥٩)، والنص هذا غير موجود بالمخطوط الذي حقّقه محمد محفوظ، لكن نقله عنه ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (٤٠١/١) وأثبته المحقّق في أوّل المشيخة نقلاً عن ابن رجب.

(٤) السير (٣٦٦/٢١) وسيأتي مزيد كلام على الكتب التي سمعها عند الكلام على مصادره في هذا الكتاب.

وقد حفظ ابن الجوزي القرآن، وقرأه على جماعة من القرّاء، وقرأ بالروايات في كبره بواسط على ابن الباقلاني(١).

ويذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي أن ابن الجوزي صحب أبـــا الحســـن ابـــن الزاغوني، ولازمه وعلق عنه الفقه والوعظ... وتفقه على أبي حكيم النهرواني وأبي يعلى بن الفرّاء، وبعد وفاة ابن الزاغوني قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري والقاضي أبي يعلى الصغير، وصار مفيد المدرسة، وقـــرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي(٢)، وستأتي ترجمة هؤلاء عند ذكر شيوخه.

ويُروى أن ابن الجوزي ــــ رحمه الله ــــ وهو في سنّ العاشرة ألقـــى موعظـــة بحضور شيخه أبي القاسم أمام جمع غفير بجامع بغداد، كان أستاذه أبـــو القاســـم العلوي علمه إياها، وحرز الجمع يومئذ بخمسين ألفاً(٣).

المطلب الثاني: شيوخه.

تلقى ابن الجوزي العلم عن كثير من العلماء والمشايخ، وكان من بين مشايخه: الفقهاء الأعيان، والأدباء، والمحدثون، والوعاظ، والقراء، والأخباريون والمفسرون، واللغويون، وعلماء والجدل والأصول والفرائض(٤).

وقرأ -رحمه الله كتباً كثيرة حتى قال : (إني طالعتُ عشرين ألف مجلد، كان

---

(١) الذيل (٤٠١/١).

(٢) المصدر نفسه (٤٠٢/١)، وانظر: السير (٣٦٦/٢١).

(٣) المصدر نفسه (٤٠٢/١).

(٤) وقد اتضح لي ذلك من خلال تراجم الرواة الذين حدّث عنهم ابن الجوزي في هـــذا الكتاب ــــ القسم المحقّق ــــ وسيأتي فيما يلي سرد لأسماء هؤلاء الرواة مع ذكر عدد مروياتهم.

أكثرها وأنا بعدُ في الطلب)[١].

وما تنوع ثقافته إلا صورة لاختلاف مشارب الشيوخ الذين أخذ عنهم وتعدّد تخصصاتهم، غير أنّه كان يؤثر من مشايخه العامل منهم بعلمه، يوضح ذلك قوله: «لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه» [٢].

وقد عني ابن الجوزي بشيوخه الذين تتلمذ عليهم، وأفرد لهم مؤلفاً خاصاً سمّاه «المشيخة»[٣]، وقد ذكر فيه (٨٩ شيخاً) منهم ثلاث نسوة ذكرهن في آخر المشيخة، لكنه سمع من مشايخ آخرين غير الذين ذكرهم، فقد قال في آخر ترجمة الشيخ السادس والثمانين ما نصّه: «هذا آخر المشايخ الأكابر، وقد سمعت من جماعة غيرهم، ولي إجازات من خلق يطول ذكرهم»[٤].

وسأسرد في هذه الخلاصة أسماء شيوخ ابن الجوزي الذين روى عنهم في تلبيس إبليس ـ القسم المحقّق ـ مع ذكر عدد مروياته عن كل واحد منهم،توصلاً إلى معرفة الشيوخ الذين أكثر عنهم ابن الجوزي، ثم أعقّب ذلك بترجمة مختصرة لأهم شيوخه الذين كان لهم الأثر في حياته الشخصية والعلمية.

أ ـ شيوخ ابن الجوزي الذين روى عنهم في تلبيس إبليس[٥]- القسم المحقّق

---

(١) صيد الخاطر (ص ٥٥٧).

(٢) صيد الخاطر (ص٢٠٩).

(٣) سيأتي التعريف بها (ص ٦٨٩) من القسم المحقّق.

(٤) المشيخة (ص٢٠٥).

(٥) الأرقام الموجودة أمام كل اسم، هي أرقام الأحاديث أو الآثار التي ورد فيها اسم ذلك الراوي، وترجمته توجد عند أوّل إحالة من هذه الأرقام.

مرتبين على حروف المعجم مع عدد مروياته عن كل واحد منهم:

١ـ أحمد بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد العبّاسي، أبو السّعادات المتوكلي الشريف، مات سنة ٥٢١هـ.[١٣٤].

٢ـ إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث، أبو القاسم السمرقندي الدمشقي، البغدادي، مات سنة ٥٣٦هـ. [٣٧ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٦٩ ـ ٧٤ ـ ٧٧ ـ ٩٥ ـ ١٠٨ ـ ١٢٣ ـ ١٣٨ ـ ١٤٣ ـ ١٦٤ ـ ٢٠٠ ـ ٢٤٨].

٣ـ الحسين بن علي بن أحمد بن عبد الله المقرئ، أبو عبد الله البغدادي سبط الخياط، مات سنة ٥٣٧هـ. [٧ ـ ٢٧]

٤ـ الحسين بن محمد بن عبد الوهّاب النحوي، أبو عبد الله الشاعر، المعروف بالبارع، مات سنة ٥٢٤هـ [١٧٧].

٥ـ حَمْد بن منصور بن حَمْد الهمذاني، أبو منصور، مات سنة ٥٣٣هـ. [١٥٤ ـ ٢٤٩ ـ ٢٦٦ ـ ٢٧٣].

٦ـ زاهر بن طاهر بن محمد الشحّامي، أبو القاسم الشروطي، مات سنة ٥٣٣هـ. [٥١ ـ ١٧٢ ـ ٢٥٠ ـ ٢٦١ ـ ٢٨٦]. وقد روى عنه ابن الجوزي إجازة.

٧ـ سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري، أبو الحسن المغربي الأندلسي، مات سنة ٥٤١هـ. [٢٨١].

٨ـ سعد الله بن عليّ بن محمد بن حمدي البزّاز، مات سنة ٥٥٧هـ. [١ ـ ١٢ ـ ١٤ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٤٣ ـ ١١٧ ـ ١١٨ ـ ١٢٧ ـ ١٣٠ ـ ١٣١].

٩ــ عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب السِّجْزي، أبو الوقت الهروي، مات سنة ٥٥٣هـ. [٥ ــ ٦ ــ ١٥٠ ــ ٢٩٣].

١٠ــ عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد البغدادي، أبو الحسين اليوسفي، مات سنة ٥٧٥هـ. [٢٠٩ ــ ٢٤٣].

١١ــ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزّاز، أبو منصور الشيباني البغدادي، الحريمي، مات سنة ٥٣٥هـ. [١١٠ ــ ١١٦ ــ ١٢٤ ــ ١٢٨ ــ ١٣٥ ــ ١٤١ ــ ١٤٢ ــ ١٦٣ ــ ١٦٥ ــ ١٨٤ ــ ١٨٥ ــ ١٨٧ ــ ٢٠٤ ــ ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ــ ٢٠٧ ــ ٢٠٨ ــ ٢١٠ ــ ٢١١ ــ ٢١٢ ــ ٢٢٤ ــ ٢٣٩ ــ ٢٨٣ ــ ٢٨٤ ــ ٣٠٩ ــ ٣١٨ ــ ٣٢٥].

١٢ــ عبد الملك بن أبي القاسم عبد الله بن أبي سهل، أبو الفتح الكَرُوخي، مات سنة ٥٤٨هـ. [١١ ــ ٦٢ ــ ٦٣].

١٣ــ عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو المظفّر، مات سنة ٥٣٢هـ. [٣٠٤ ــ ٣٠٥ ــ ٣١٥ ــ ٣١٩]. وقد روى عنه ابن الجوزي إجازة.

١٤ــ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي، أبو البركات البغدادي، مات سنة ٥٣٨هـ. [٤ ــ ١٣ ــ ٤٧ ــ ٦٥ ــ ١٠٣ ــ ١١٢ ــ ١٧٠ ــ ٢٦٨ ــ ٢٧٨].

١٥ــ علي بن عبد الواحد بن أحمد الدِّينوري، أبو الحسن البغدادي، مات سنة ٥٢١هـ. [٣٠٧].

١٦ــ علي بن عبيد الله بن نصر الزَّاغوني، أبو الحسن البغدادي، صاحب

التصانيف، مات سنة ٥٢٧هـ. [١٠٠].

١٧ـ عمر بن ظفر بن أحمد المقرئ، أبو حفص المغازلي، مات سنة ٥٤٢هـ. [٢٩ ـ ١٧٣ ـ ٢١٧ ـ ٢٥٦ ـ ٣٠٣].

١٨ـ محمد بن الحسين بن علي البغدادي، أبو بكر المزرفي، شيخ القرّاء، مات ساجداً سنة ٥٢٧هـ. [١٦٤].

١٩ـ محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان البغدادي، أبو الفتح المعروف بابن البطي، مات سنة ٥٦٤هـ. ويسميه ابن الجوزي كثيراً أثناء الرواية عنه (محمد بن أبي القاسم). [١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٨ ـ ٣٦ ـ ٤١ ـ ٤٤ ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٧ ـ ٥٩ ـ ٧٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٤٥ ـ ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ١٧١ ـ ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ١٨٨ ـ ١٩٢ ـ ١٩٩ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٣ ـ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٧ ـ ٢٦٠ ـ ٢٧٤ ـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩٢ ـ ٣٠١ ـ ٣٠٢].

٢٠ـ محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله البغدادي، أبو بكر بن أبي طاهر البزّاز، قاضي المارستان، مات سنة ٥٣٥هـ. وقد يسميه ابن الجوزي أحيانا (أبا بكر بن أبي طاهر)، أو (محمد بن أبي طاهر). [٥٨ ـ ١٠٢ ـ ١١١ ـ ١١٣ ـ ١١٥ ـ ١٢٥ ـ ١٣٢ ـ ١٤٤ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ـ ٢٥٢ ـ ٢٦٩ ـ ٢٩٤ ـ ٣١٠ ـ ٣٢١].

٢١ـ محمد بن عبد الله بن حبيب العامري، أبو بكر الواعظ، مات سنة ٥٣٠هـ. [١٣٧ ـ ١٩٦ ـ ٢٠٢ ـ ٢١٣ ـ ٢١٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٦ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٤ ـ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ـ ٢٩٩ ـ ٣٠٦].

٢٢ـ محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون، أبو منصور البغدادي مات

سنة ٥٣٩هـ. [٢٦ ـ ٢٤٢].

٢٣ــ محمد بن عمر بن يوسف الأرْموي، أبو الفضل البغدادي، مسند العراق، مات سنة ٥٤٧هـ. [٧].

٢٤ــ محمد بن ناصر بن محمد السّلامي، أبو الفضل بن أبي منصور البغدادي، الفارسي الأصل، مات سنة ٥٥٠هـ. وقد لازمه ابن الجوزي ثلاثين سنة، وقد يسميه (محمد بن أبي منصور). [٤١ ـ ٤٦ ـ ٥٢ ـ ٥٩ ـ ٧٠ ـ ٧٥ ـ ٨٩ ـ ٩٨ ـ ١٠١ ـ ١٣٣ ـ ١٣٦ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٦٦ ـ ١٧١ ـ ١٧٦ ـ ١٨٠ ـ ١٨٣ ـ ١٨٦ ـ ١٨٩ ـ ١٩٠ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ٢١٥ ـ ٢١٧ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٦ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٨ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٦ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٦ ـ ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٨ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨٢ ـ ٢٨٥ ـ ٢٩٠ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠١ ـ ٣٠٨ ـ ٣١٢ ـ ٣١٦ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢٣].

٢٥ــ المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأزجي، أبو المعمر الأنصاري، مات سنة ٥٤٩هـ. [٤٥ ـ ٢٥٩].

٢٦ــ المبارك بن علي بن حيدر الصيرفي، أبو علي، مات سنة ٥٦٤هـ. [٢٧٩].

٢٧ــ موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، أبو منصور ابن الجواليقي اللغوي النحوي، مات سنة ٥٤٠هـ. [٣١ ـ ١٥١].

٢٨ــ هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، أبو القاسم بن الحصين الهمذاني البغدادي، مات سنة ٥٢٥هـ. [٢ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ٣٠ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٤٣ ـ ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٤ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ

٦٨ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٣ ـ ٩٧ ـ ١١٤ ـ ١٢٢ ـ ١٢٦ ـ ١٤٧ ـ ١٥٥ ـ ١٥٧ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ٢١٦ ـ ٢١٨ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ ٢٣٣ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤٥ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٨ ـ ٢٧٧ ـ ٢٨٩ ـ ٣١١ ـ ٣١٧].

٢٩ـ يحيى بن ثابت بن بندار الدِّينوري، أبو القاسم البقّال الوكيل، مات سنة ٥٦٦هـ. [٢٦٥ ـ ٢٩١].

٣٠ـ يحيى بن علي بن محمد المُدير، أبو محمد البغدادي، مات سنة ٥٣٦هـ. [٤ ـ ٤٧ ـ ١٢٩ ـ ١٤٦ ـ ٢٦٧ ـ ٣٢٠].

ويتضح من خلال هذا الفهرس أن أكثر من روى عنه ابن الجوزي في هذا الكتاب ـ القسم المحقّق ـ:

١ـ أبو الفضل محمد بن ناصر السّلامي [٥٥ رواية].

٢ـ ثم أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد، المعروف بابن البطّي [٤٨ رواية].

٣ـ ثم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد، أبو القاسم بن الحصين [٤١ رواية].

٤ـ ثم أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز [٢٧ رواية].

٥ـ ثم أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزّاز. [١٦ رواية].

ثم يتفاوت بعد ذلك بقية الرواة من [١٤ رواية فما دون ذلك] إلى أن تصل إلى رواية واحدة عند بعض الرواة.

ب ـ أهم شيوخ ابن الجوزي الذين تأثر بهم:

لا يمكنني في هذه العجالة التعريف بجميع شيوخ ابن الجوزي، وإنما قصدت بكتابة هذه الأسطر إظهار أبرز من تأثر بهم ابن الجوزي وكان لهم الأثر الواضح في تكوين شخصيته العلمية والتربوية، فقد جمع الله له من الشيوخ ما لم يجتمع لغيره

من أقرانه، وأذكر فيما يلي جملة من أهم شيوخه الذين ذكر هو بعضهم وأثنى عليهم أكثر من غيرهم، وإليك أسماءهم:

١ـ أبو الفضل ابن ناصر[١]: [٤٩٧ ـ ٥٥٠هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «كان حافظاً ضابطاً متقناً ثقة لا مغمز فيه، وهو الذي تولى تسميعي الحديث، فسمعت مسند الإمام أحمد بن حنبل بقراءته، وغيره من الكتب الكبار، والأجزاء العوالي على الأشياخ، وكان يثبت لي ما أسمع»[٢].

وقال أيضاً: « لازمته إلى أن توفي رحمه الله ، فنلتُ به معرفة الحديث والنقل)[٣]

وقد سمع عنه أيضاً الحلية لأبي نعيم[٤]، والزهد لأحمد[٥]، وبعض كتب ابن أبي الدنيا[٦]، وطبقات الصوفية للسّلمي[٧]، واللمع للطوسي[٨]، وغيرها[٩].

٢ـ ابن الزاغوني[١٠]: [٤٦٨ ـ ٥٥٢هـ].

---

(١) هو محمد بن ناصر، وسترد ترجمته عند الحديث رقم [٤١] من القسم المحقّق.

(٢) المنتظم (١٠٣/١٨).

(٣) لفتة الكبد (ص٣٥).

(٤) انظر مثلاً الأرقام التالية من هذه الرسالة [٤١- ٤٦- ٥٩- ١٦٦- ١٧١- ١٩٢- ٢٣٠- ٢٩٠].

(٥) انظر مثلاً الأرقام التالية [٧٠- ٨٩- ١٤٠- ١٥٨].

(٦) انظر مثلاً الرقم [٩٨] من هذه الرسالة.

(٧) انظر الأرقام [١٨٦- ١٨٩].

(٨) انظر مثلاً الرقم [٢١٥] من هذه الرسالة.

(٩) انظر مثلاً الأرقام التالية من هذه الرسالة [٥٢- ٧٥- ١٠١- ١٣٣- ١٣٦- ١٤١ - ١٥١- ١٩١- ٢٥٦].

(١٠) لم يرو ابن الجوزي عن هذا الشيخ في هذا القسم الذي أحققه من التلبيس، لكن

هو أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر بن السري البغدادي، المعروف بابن الزاغوني المجلّد.

قال السمعاني: «شيخ صالح متديّن، مرضيّ الطريقة، قرأت عليه أجزاء، وكان له دكان يجلّد فيها»[1].

وقال عنه ابن الجوزي: «... قرأت عليه كثيراً من مسموعاته، وتوفي ليلة الاثنين ثالث وعشرين ربيع الآخر، ودفن بمقبرة باب حرب سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة»[2].

٣ـ أبو منصور الجواليقي[3]: [٤٦٦ ـ ٥٤٠هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحرّي فيما يقول، متقناً مُحققاً، وربما سُئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت»[4].

وقال عنه أيضاً: «... وكان من أهل السنة، وسمعت عنه كثيراً من الحديث وغريب الحديث، وقرأت عليه كتاب المعرب وغيره من تصانيفه وقطعة من اللغة»[5].

روى عنه في كتبه الأخرى.

(١) السير (٢٠/٢٧٨).

(٢) المنتظم (١٨/١٢٢).

(٣) هو موهوب بن أحمد، سترد ترجمته عند الحديث رقم [٣١] من القسم المحقق.

(٤) صيد الخاطر (ص٢١٠).

(٥) المنتظم (١٨/٤٧).

وذكر أنه انتفع برؤيته أكثر من انتفاعه بغيره[١]، هو والشيخ عبد الوهاب الأنماطي الذي سيأتي فيما يلي.

٤ـ عبد الوهاب الأنماطي[٢]: [٤٦٢ ـ ٥٣٨هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «كان صحيح السّماع ثقة ثبتاً، وكنت أقرأ عليه الحديث وهو يبكي، استفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وكان على طريقة السّلف، وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره، ودخلت عليه وقد بلي وذهب لحمه، فقال لي: إن الله لا يتهم في قضائه»[٣].

وقال عنه أيضاً: «وما عرفنا من مشايخنا أكثر سماعاً، منه ولا أكثر كتابة للحديث، ولا أصبر على الإقراء، ولا أحسن بشراً ولقاءً، ولا أسرع دمعة ولا أكثر بكاءً»[٤].

وروى عنه ابن الجوزي في القسم الذي أحققه، كتاب الحلية في موضع واحد[٥]، وبعض كتب المحاملي[٦]، وكتاب المجالسة للدينوري، وغيرها[٧].

٥ـ أبو القاسم ابن الحصين[٨]: [٤٣٢ ـ ٥٢٥هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «.. عمّر حتى صار أسند أهل عصره، فرحل إليه الطلبة،

---

(١) صيد الخاطر (ص٢١٠).

(٢) هو عبد الوهاب بن المبارك، وسترد ترجمته عند الحديث رقم (٤) من القسم المحقّق.

(٣) المنتظم (١٨/٣٣-٣٤) وانظر: صفة الصفوة (١/٦٣٤).

(٤) صفة الصفوة (١/٦٣٤).

(٥) انظر الرقم [١٣] من القسم المحقّق.

(٦) انظر الرقم [٦٥] و[١٧٠] من القسم المحقّق.

(٧) انظر مثلاً الرقم [٢٧٨] من القسم المحقّق.

(٨) هو هبة بن محمد، وستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٢].

وازدحموا عليه، وكان صحيح السماع، وسمعت منه جميع مسند الإمام أحمد، والغيلانيات جميعها، وأجزاء المزكّي وهو آخر من حدّث بذلك، وسمعت منه غير ذلك، وأملى بجامع القصر مجالس كثيرة، خرّجها له شيخنا أبو الفضل بن ناصر واستملاها عليه، وكنت أحضر الإملاء وأكتب»[١].

وقد روى ابن الجوزي من طريقه في القسم الذي أحقّقه مسند الإمام أحمد في مواطن كثيرة[٢].

٦ـ أبو منصور القزّاز[٣]: [٤٥٣ ـ ٥٣٥هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «كان من أولاد المحدّثين، سمّعه أبوه وعمّه الكثير، وكان صحيح السّماع... وكان ساكتاً قليل الكلام، خيراً سليماً، صبوراً على العزلة، حسن الأخلاق»[٤].

وقال عنه أيضاً: «سمعنا منه تاريخ بغداد عن الخطيب وكان ثقة خيراً»[٥].

وقد روى عنه ابن الجوزي في القسم الذي أحققه تاريخ بغداد للخطيب في مواطن عديدة[٦].

---

(١) المشيخة (ص٦٠-٦١).

(٢) انظر مثلاً الأرقام التالية من القسم المحقق [٢- ٨- ١٠- ٣٠- ٤٣- ٦٠- ٦٦- ٩٠- ٩٣- ١٢٦- ١٤٧- ١٥٥- ١٥٩- ١٧٢- ٢١٦- ٢٣٣- ٢٧٧- ٣١١- ٣١٧].

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [١١٠].

(٤) المنتظم (١١/١٨).

(٥) المشيخة (ص١٢٥).

(٦) انظر مثلاً الأرقام التالية من القسم المحقق [١١٠- ١١٦- ١٢٨- ١٣٥- ١٦٥- ١٨٤- ١٨٧- ٢٠٤- ٢٠٨- ٢٢٤- ٢٨٣- ٣٠٩- ٣٢٥].

٧ــ أبو بكر بن أبي طاهر البزّاز[١]: [٤٤٢ ــ ٥٣٥هــ].

قال عنه ابن الجوزي: «عمّر حتى ألحق الصغار بالكبار، وكان حسن الصورة، حلو المنطق، مليح المعاشرة، وكان يصلي بجامع المنصور، فيجيء في بعض الأيام فيقف وراء مجلسي وأنا على منبر الوعظ فيسلم عليّ، وأملى الحديث في جامع القصد... وقرأت عليه الكثير ، وكان فهماً ثبتاً، حجّة متقناً في علوم كثيرة، متفرداً في علم الفرائض»[٢].

وقال عنه أيضاً: «ودخلت عليه بعد ثلاث وتسعين سنة من عمره وهو صحيح الحواس ثابت العقل، ولما مرض لم يفتر عن تلاوة القرآن إلى أن توفي»[٣].

وقد روى عنه ابن الجوزي في القسم الذي أحققه: الطبقات الكبرى لابن سعد[٤]، وكتاب نشوار المحاضرة لأبي القاسم علي بن التنوخي[٥]، وغيرها.

٨ــ أبو حكيم النهرواني[٦]: [٤٨٠ ــ ٥٥٦هــ].

هو إبراهيم ابن دينار النهرواني، الفقيه الحنبلي، العلاّمة القدوة، أحد أئمة بغداد[٧].

---

(١) هو محمد بن عبد الباقي بن محمد، ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٥٨].

(٢) المنتظم (١٤/١٨).

(٣) المشيخة (ص٦٥).

(٤) انظر مثلاً الأرقام التالية من قسم التحقيق [٥٨- ١١٣- ١٢٥- ٢٢٣- ٢٥٢- ٢٦٩- ٢٩٤].

(٥) انظر مثلاً الأرقام التالية [١١٥- ١٣٢- ١٤٤].

(٦) حدّث عنه ابن الجوزي في موطن واحد من القسم الذي أحققه حيث روى عنه قصّة في الفتيا عند كلامه على تلبيس إبليس على الزهّاد في التقليل من العلم (ص٨٩٦).

(٧) المنتظم (١٤٩/١٨)، السير (٣٩٦/٢٠).

قال عنه ابن الجوزي: «قرأ القرآن وسمع الحديث... وتفقه وناظر وأفتى، وكان عالماً بالمذهب والحدود والفرائض، وكان ممن يضرب به المثل في الحلم والتواضع»[١].

وذكر ابن الجوزي أنه تسلم بعده المدرسة التي بالمأمونية، وكانت له مدرسة أيضاً بباب الأزج أسندها لابن الجوزي لما احتضر[٢].

٩ــ أبو بكر الدينوري[٣]: [/ ــ ٥٣٢هــ].

قال عنه ابن الجوزي: «برع في المناظرة، وكان أسعد الميهني[٤] يقول: ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا ثلم منه ثلمة، سمعت عليه درسه مدّة..»[٥].

وذكر أنه كان يصلي وراءه أيام الصبا، وكان الشيخ أبو بكر الدينوري يعتني به ويوجهه آنذاك[٦].

١٠ــ أبو الفتح الكروخي[٧]: [٤٦٢ ــ ٥٤٨هــ].

---

(١) المشيخة (ص١٩٢-١٩٣).

(٢) المنتظم (١٨/١٤٩).

(٣) هو أحمد بن محمد بن أحمد، وستأتي ترجمته (ص٧٩٠) من القسم المحقّق.

(٤) هو أسعد بن محمد بن أبي نصر المِيهَنِيّ، الفقيه الشافعي، الملقب بمحي الدين، كان إماماً مبرزاً في الفقه والخلاف، قال عنه السبكي: الإمام الكبير النّظار، المتفق على أنه الفرد في علم الخلاف، مات سنة ٥٢٧هــ (وفيات الأعيان ١/٢٠٧، طبقات الشافعية للسبكي ٧/٤٢).

(٥) المنتظم (١٨/٣٢٨).

(٦) انظر (ص٧٩٠) من القسم المحقق.

(٧) سترد ترجمته عند الحديث رقم [١١] من القسم المحقق.

قال عنه ابن الجوزي: «سمع جماعة كثيرة، وكان خيراً، صالحاً، صدوقاً،مقبلاً على نفسه... وكان يكتب نسخاً لجامع الترمذي ويبيعها، فيتقوت منها، وكتب نسخة فوقفها»[(١)].

وقد روى ابن الجوزي من طريقه ــ في القسم الذي أحققه ــ جامع الترمذي[(٢)].

١١ــ **أبو محمد بن الطرّاح**[(٣)]: [٤٥٩ ــ ٥٣٦هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «كان سماعه صحيحاً، وكان من أهل السنة، شهد له بذلك شيخنا ابن ناصر، وكان له سمت وصمت ووقار، مشغولاً بما يعنيه، كثير الرغبة في الخير..»[(٤)].

وقد روى عنه ابن الجوزي في القسم الذي أحقّقه مقروناً بغيره [(٥)]، كما روى عنه استقلالاً [(٦)].

هؤلاء الشيوخ الذين ذكرتهم سابقاً قد لقيهم ابن الجوزي وتتلمذ عليهم وصاحبهم، غير أن هناك بعض الشيوخ قرأ لهم ابن الجوزي وأخذ من كتبهم وتأثر بهم من غير مصاحبة لهم، وهم كثر بلا شكّ، لكن أبرزهم على الإطلاق: **أبو الوفاء ابن عقيل**، فهو أكثرهم صلة به، وتعويلاً عليه، وترديداً لآرائه، [(٧)]، مما

---

(١) المشيخة (ص٩٥).

(٢) انظر الأرقام التالية [١١- ٦٢- ٦٣] من القسم المحقق.

(٣) هو يحيى بن علي بن محمد المُدير، ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٤].

(٤) المشيخة (ص١٠٧).

(٥) انظر مثلاً الأرقام التالية [٤- ٤٧- ١٢٩].

(٦) انظر مثلاً الرقم [١٤٧] و[٣٢٠].

(٧) أكثر النقل عنه ابن الجوزي في القسم الذي أحققه، انظر مثلاً الصفحات التالية

يدعوني إلى مزيد من البسط في ترجمته [١] فأقول:

هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي، الإمام العلاّمة الفقيه المتكلم. ولد في جمادى الآخرة سنة ٤٣١هـ، وتوفي سنة ٥١٣هـ أي قريباً من ولادة ابن الجوزي.

قال عنه ابن الجوزي: «كان حسن الصورة، ظاهر المحاسن، حفظ القرآن، وقرأ القراءات على أبي الفتح بن شيطا وغيره، وكان يقول: شيخي في القراءة ابن شيطا، وفي الأدب والنحو أبو القاسم بن برهان، وفي الزهد أبو بكر الدينوري...»[٢].

ثم ساق بقية مشايخه في شتى أنواع الفنون.

هذا فضلاً عن كون ابن عقيل نشأ في بيت علم، فيقول ابن عقيل عنهم: «فإن بيت أبي كلهم أرباب أقلام وكتابة وشعر وآداب»[٣].

وقال أيضاً: «وأفتى ابن عقيل ودرّس، وناظر الفحول، وجمع علوم الأصول والفروع، وصنّف فيها الكتب الكبار، وكان دائم الاشتغال بالعلم... وكان له الخاطر العاطر، والبحث عن الغوامض والدقائق، وجعل كتابه المسمّى (بالفنون) مناظراً لخواطره وواقعاته، ومن تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل، وتكلم على المنبر بلسان الوعظ مدّة، فلما كانت سنة ٤٧٥ جرت فيها فتن بين الحنابلة

[ص٢٩٠- ٤١٨- ٤٩٢- ٤٩٨- ٦٠٠- ٦٤٤- ٧٤٥- ٧٤٧- ٧٠٨- ٧٤٩- ٧٧٦- ٨٥٣- ١٠٨٥- ١١٢٧- ١١٦٧- ١٣٠٦].

(١) سترد له ترجمة أيضاً عند أوّل موضع يذكره فيه ابن الجوزي (ص٢٩٠) من القسم المحقق.

(٢) المنتظم (١٧/١٧٩).

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١/١٤٣).

والأشاعرة، فترك الوعظ واقتصر على التدريس...»[١].

وكتاب الفنون الذي أشار إليه ابن الجوزي يقع في مائتي مجلد وقال عنه: «ووقع إليّ من هذا الكتاب نحو من مائة وخمسين مجلّدة» [٢].

وقال الذهبي: «هو أزيد من أربعمائة مجلد، حشد فيه كلّ ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث»[٣].

وكان ابن عقيل يحضر حلقات الجويني[٤] وأبي حامد الغزالي[٥] وغيرهما في بغداد، وهو وإن كان على مذهب الإمام أحمد ومنسوباً إلى الحنابلة، غير أنه كان إلى جانب ذلك يشتغل بالكلام ويتردد على شيوخ المعتزلة في زمانه[٦] ، وكان - رحمه الله - مضطرباً في عقيدته في صفات الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه من أذكياء العالم، كثير الفكر والنظر في كلام الناس، فتارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخبرية، وينكر على من يسميها صفات، ويقول : إنما هي إضافات، موافقة للمعتزلة، كما فعله في كتابه « ذم التشبيه وإثبات التنزيه » وغيره من كتبه، واتّبعه على ذلك أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه « كفّ التشبيه بكف التنزيه »، وكتابه « منهاج الوصول ». وتارة يثبت الصفات الخبرية ويرد على النفاة والمعتزلة بأنواع

---

(١) المنتظم (١٧/١٨١).

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٧٠٠).

(٣) السير (١٩/٤٤٥).

(٤) ستأتي ترجمته (ص ٥٠٠) من القسم المحقق.

(٥) ستأتي ترجمته (ص ٦٤٥) من القسم المحقق.

(٦) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١/١٤٦).

من الأدلة الواضحات، وتارة يوجب التأويل كما فعله في « الواضح » وغيره. وتارة يحرّم التأويل ويذّمه وينهى عنه، كما فعله في كتابه « الانتصار لأصحاب الحديث ».

فيوجد في كلامه من الكلام الحسن البليغ ما هو معظَّم مشكور، ومن الكلام المخالف للسنة والحق ما هو مذموم مدحور) [١] .

قال ابن رجب الحنبلي: «وكان معظماً لأبي الوفاء بن عقيل يتابعه في أكثر ما يجد في كلامه، وإن كان قد ردّ عليه في بعض المسائل، وكان ابن عقيل بارعاً في الكلام، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار، فلهذا يضطرب في هذا الباب، وتتلون فيه آراؤه، وأبو الفرج تابع له في هذا التلون»[٢] .

والمتتبع لكتب ابن الجوزي يلحظ كثرة نقله عنه [٣]

وقد تاب ابن عقيل عن الكلام وصحبة أربابه، وتبرأ عن أي شيء وجد بخطّه من مذاهبهم، ذكر ذلك ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٦٥هـ[٤] ، وذلك بحضرة جماعة من علماء الحنابلة، وجاء في تلك النسخة التي أعلن فيها توبته ما نصّه:

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/٦٠-٦١).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/٤١٤). وانظر : لسان الميزان لابن حجر (٤/٢٤٣).

(٣) انظر الصفحات التالية من القسم المحقق : (٢٩٠-٤١٨-٤٩٨-٦٠٠-٦٤٤-٦٤٥-٦٤٦-٧٠٨-٧٤٩-٧٧٦-٨٥٣-١٠٨٥-١١٢٧)، ومن الجزء غير المحقق (ط. المنيرية) :(٢٤٥-٢٥٩-٢٦٨-٢٨٥-٣١٨-٣٢٥-٣٧٠-٣٧٢)، ومن المنتظم (١/١٣٠،١٨٧)، (٢/٢٣٢)، (٥/٥)، (٨/١٨، ٨٥، ١٤٣)، (١٣/١٠٩)، (١٤/٣٩١)، (١٥/٣٣٤)، (١٦/٢٣، ٨٩، ٩٠)، (١٧/١٦، ٢٤). ومن كشف مشكل الصحيحين (١/٦٤، ٧٧، ٣٥٨، ٣٧٢) ،(٢/٨٥، ٣٦٧)، (٣/١٣٤، ١٥٧، ٤٥٤).

(٤) المنتظم (١٦/١٤٣).

«بسم الله الرحمن الرحيم، يقول علي بن عقيل بن محمد: إني أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب المبتدعة والاعتزال وغيرهم، ومن صحبة أربابه، وتعظيم أصحابه، والترحم على أسلافهم والتكثر بأخلاقهم، وما كنت علقته ووُجد بخطّي من مذاهبهم وضلالتهم فأنا تائب إلى الله من كتابته، ولا تحل كتابته ولا قراءته ولا اعتقاده...» إلى أن قال: «فأشهدت الله تعالى وملائكته وأولي العلم على ذلك غير مجبر ولا مكره، وباطني وظاهري يعلم الله في ذلك سواء. قال تعالى: ﴿ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾ وكتب يوم الأربعاء عاشر محرم سنة خمس وستين وأربعمائة». وشهد على ذلك جماعة كثيرة من الشهود والعلماء[١].

ومما كتبه بعد توبته مسألة القرآن، وقرّر فيها مذهب السلف، وردّ على من خالفهم[٢].

وتوفي ابن عقيل بكرة الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، ودفن في دكّة الإمام أحمد[٣].

المطلب الثالث: تلاميذه.

ليس غريباً أن يعلو ذكر ابن الجوزي ويرتفع قدره، ويشتهر في الآفاق بين الخاصة والعامة، ليس غريباً أن يكون محطّ أنظار طلبة العلم، وقد أوتي قدرة وموهبة مكّنته من التأثير في النّاس، وكتب الله له القبول عند العامة والخاصة، ويحدّثنا هو عن ذلك فيقول: «وضع الله لي القبول في قلوب الخلق فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته، وقد أسلم على يدي نحو مائتين من

---

(١) انظر: المنتظم (١٦/١٤٣-١٤٤)، والذيل على طبقات الحنابلة (١/١٤٤-١٤٥).

(٢) انظر: جزء في الأصول (مسألة القرآن) لابن عقيل (ص٨٠ وما بعدها). ومجموع الفتاوى (٤/١٦٤).

(٣) المنتظم (١١٧/١١٩)، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٧٠٠).

أهل الذمّة، ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف..»[١] .

وقد كان له عديد من التلاميذ، وسأقتصر على ذكر بعضهم على سبيل التمثيل، وهم:

١ـ ابنه محي الدين يوسف[٢] : [٥٨٠ ـ ٦٥٦هـ].

وهو أصغر أولاد أبي الفرج بن الجوزي وأنجبهم، ولد سنة ٥٨٠هـ، وسمع من أبيه، وغيره، نشأ واشتغل وعمل بالوعظ وهو صبي، وهو الذي شفع لأبيه عند أم الخليفة فأطلق سراحه، وصاحبه عند عودته من واسط، وقرأ معه بالقراءات العشر على ابن الباقلاني، ودرس وأفتى وناظر، وتصدر للفقه والوعظ، ووصل إلى منصب سفير الخليفة إلى ملوك الأطراف، ثم صار أستاذ دار الخلافة في عهد المستعصم، وهو الذي أسّس المدرسة الجوزية في دمشق، وإليها ينتسب العلامة ابن قيم الجوزية، وله تصانيف عدّة، منها: «المذهب الأحمد في مذهب أحمد» و«معادن الإبريز في تفسير الكتاب العزيز» و«الإيضاح في الجدل».

قال عنه الذهبي: «كان صدراً كبيراً، وافر الجلالة، ذا سمت وهيبة وعبارة فصيحة، روسل إلى الملوك، وبلغ أعلى المراتب، وكان محمود الطريقة، مُحبّباً إلى الرعيّة»[٣] .

قتل ـ رحمه الله ـ وأولاده الثلاثة صبراً مع الخليفة المستعصم على يد التتار عند دخول هولاكو في صفر سنة ست وخمسين وستمائة.

---

(١) لفتة الكبد (ص٣٧).

(٢) انظر ترجمته في: العبر (٢٨٥/٣)، البداية والنهاية (٣٣/١٣)، ذيل طبقات الحنابلة (٢٥٨/٢)، شذرات الذهب (٢٨٦/٥).

(٣) السير (٣٧٣/١٣).

٢ـ أبو المظفّر سبط ابن الجوزي[1]: [٥٨١ ـ ٦٥٤هـ].

هو يوسف بن قزغلي بن عبد الله التركيّ الهبيري الحنفي، الشيخ العالم المؤرخ المشهور، واعظ الشام، سبط ابن الجوزي.

كان أبوه مملوكاً تركيا عند الوزير ابن هبيرة فأعتقه، وتزوج بنت أبي الفرج وهي رابعة، مات والده وهو صغير فربّاه جدّه ابن الجوزي، فتأثر به كثيراً وخاصة في الوعظ والتاريخ.

قال الذهبي: «انتهت إليه رئاسة الوعظ وحسن التذكير ومعرفة التاريخ، وكان حلو الإيراد، لطيف الشمائل، مليح الهيئة، وافر الحرمة، له قبول زائد، وسوق نافذ بدمشق، أقبل عليه أولاد الملك العادل وأحبّوه، وصنّف تاريخ مرآة الزمان وأشياء، ورأيت له مصنّفا يدل على تشيّعه، وكان العامة يبالغون في التغالي في مجلسه، سكن دمشق من الشبيبة، وأفتى ودرّس»[2].

توفي بمنزله بسفح قاسيون بدمشق سنة ٦٥٤هـ.

٣ـ ابن الدبيثي[3]: [٥٥٨ ـ ٦٣٧هـ].

هو محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن حجّاج الدبيثي، ثم الواسطي الشافعي، مؤرخ بغداد. كان عالماً بالقراءة والحديث والأدب والتاريخ، تفقّه على ابن الجوزي وغيره، وحذا حذوه في التصنيف، رحل إلى بغداد مراراً وسمع بها عن جماعة من العلماء.

---

(١) انظر ترجمته في: ذيل الروضتين لأبي شامة (ص ١٩٥)، وفيات الأعيان (١٤٢/٣)، السير (٢٩٦/٢٣)، شذرات الذهب (٢٦٦/٥).

(٢) السير (٢٩٧/٢٣).

(٣) انظر ترجمته في: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (ص٩١-٩٣)، السير (٩٢/٢٣)، طبقات الشافعية (٦١/٨)، شذرات الذهب (١٨٥/٥).

قال عنه ابن النجار ــ وهو أحد من روى عنه ــ: «كان حسن الصحبة، جميل الأخلاق والتودّد والديانة وحسن الطريقة»[(١)].

وقال عنه ابن النجار أيضاً ــ كما نقله الذهبي ــ: «ما رأت عيناي مثله في حفظ التواريخ والسير وأيام الناس» وقال: «... أضرّ بأَخَرَة، وتوفي ثامن ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وست مائة، ولقد مات عديم النظير في فنّه»[(٢)].

٤ــ **ابن القطيعي**[(٣)]: [٥٤٦ ــ ٦٣٤هـ].

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن حسين بن خلف البغدادي، المعروف بابن القطيعي، الشيخ العالم المحدّث المؤرخ، مسند العراق.

لزم الشيخ أبا الفرج بن الجوزي، وقرأ عليه كثيراً من مصنفاته، وأخذ عنه الوعظ، وسمع من غيره من العلماء ببغداد والموصل ودمشق، وناب عن الصاحب محي الدين ابن الجوزي في الحسبة.

وكان آخر من حدّث ببلده بصحيح البخاري كاملاً عن أبي الوقت السجزي، وتفرد بعدة أجزاء.

حدّث عنه ابن الدبيثي وابن النجار والعلاء بن بلبان، وغيرهم.

قال ابن نقطة: «ذكر لنا أنه قد صنّف تاريخاً لبغداد إلا أنه ما أظهره، وهو شيخ صحيح السماع، أفاده والده رحمه الله»[(٤)].

---

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص٩٢).

(٢) تذكرة الحفاظ (١٤١٥/٤).

(٣) انظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة (٤٤٢/٣)، السير (٨/٢٣)، الذيل على طبقات الحنابلة (٢١٢/٢)، شذرات الذهب (١٦٢/٥).

(٤) التقييد لرواة السنن والمسانيد لابن نقطة (ص٥٨).

توفي ــ رحمه الله ــ سنة ٦٣٤هـ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد ببغداد.

٥ــ ابن النجار: [٥٧٨ ــ ٦٤٣هـ][١].

هو أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، محب الدين، المعروف بابن النجار البغدادي.

كان محدثاً حافظاً مؤرخاً أديباً، سمع ببغداد من أبي الفرج بن الجوزي، وقرأ القراءات بالروايات السبع على أبي أحمد بن سكينة، ورحل إلى الشام ومصر وأصفهان وخراسان والحجاز ومرو ونيسابور واليمن، وغيرها من البلاد الإسلامية، ودامت رحلته سبعاً وعشرين عاماً، حصّل خلالها عى الأصول والمسانيد، فجمع الكثير وأدرك سماعات عالية.

وخلّف تصانيف كثيرة في مختلف العلوم والمعارف، ومنها: «تاريخ بغداد» والذي ذيّل به على تاريخ بغداد للخطيب، و«أنساب المحدثين إلى الأدباء والبلدان» و«إخبار المشتاق إلى أخبار العشّاق» و«مناقب الشافعي». توفي سنة ٦٤٣هـ، ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب.

٦ــ أبو البقاء العكبري[٢]: [٥٣٨ ــ ٦١٦هـ].

هو عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، البغدادي، الأزجي، العلاّمة النحوي الحنبلي الضرير، صاحب التصانيف.

سمع من أبي الفتح وابن البطّي، وأبي زرعة المقدسي، وأبي بكر ابن النّقور،

---

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت (٤٩/١٩)، السير (١٣١/٢٣) فوات الوفيات (٣٦/٤)، طبقات الشافعية للسبكي (٩٨/٨)، شذرات الذهب (٢٢٦/٥).

(٢) انظر ترجمته في: إنباه الرواة للقفطي (١١٦/٢)، التكملة لوفيات النقلة (٤٦١/٢)، وفيات الأعيان (١٠٠/٣)، السير (٩١/٢٢)، نكت الهميان للصفدي (ص١٧٨)، ذيل طبقات الحنابلة (١٠٩/٢)، شذرات الذهب (٦٧/٥).

وجماعة. وبرع في الفقه والأصول، وحاز قصب السبق في العربية.

قال ابن النجار: «كان ثقة صدوقاً، غزير الفضل، كامل الأوصاف كثير المحفوظ متديناً حسن الأخلاق، ذكر لي أنه أضرّ في صباه»[1].

وله مصنفات كثيرة منها: «تفسير القرآن وإعرابه» و«إعراب الحديث» و«شرح الهداية لأبي الخطاب» و«شرح الحماسة».

حدّث عنه ابن الدبيثي، وابن النجار، وغيرهما.

مات سنة ٦١٦هـ، ودفن بباب حرب.

المطلب الرابع: مذهبه الفقهي.

مما لا شك فيه أن ابن الجوزي - رحمه الله - كان حنبلي المذهب، ذكر ذلك غير واحد ممن ترجم له[2]، ومما يؤكد ذلك ما نُقل عنه أنه كان يُظهر في مجالسه مدح السنة والإمام أحمد[3].

يقول عنه الإمام ناصح الدين ابن الحنبلي الواعظ :(ولمذهب أحمد منه ما لصخرة بيت المقدس من القدس)[4].

وقد صنّف - رحمه الله - في مناقب الإمام أحمد مؤلفاً ضخماً، وذكر فيه باباً مستقلاً في سبب اختياره لمذهب أحمد دون غيره من المذاهب، وعدّ مزاياه[5].

---

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص٢٦٦).

(٢) انظر مثلاً : التكملة لوفيات النقلة للمنذري (٣٩٤/١)، وفيات الأعيان (١٤٠/٣)، السير (٣٦٥/٢١)، البداية والنهاية (٣١/١٣).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٤٠٣/١).

(٤) المصدر نفسه (٤١١/١).

(٥) انظر: مناقب الإمام أحمد (ص٦٦٠وما بعدها).

وصنف كتبا في الفقه على المذهب الحنبلي، منهـــا : المذهِـــب في المذهـــب، والعبادات الخمس، وعمد الدلائل في مشتهر المسائل[١].

ومع ميله الشديد إلى مذهب الإمام أحمد -رحمه الله - فإنه يكـــره التعصـــب المذموم ، ويبين ذلك بقوله :(فأما المجتهد من أصحاب أحمد فإنه يتبع دليله من غير تقليد له، ولهذا يميل إلى إحدى الروايتين عنه دون الأخرى، وربما اختار ما ليس في المذهب أصلاً لأنه تابع للدليل، وإنما ينسب هذا إلى مذهب أحمد لميله إلى عمـــوم أقواله)[٢].

المطلب الخامس: ذكر مؤلفاته.

لم يقتصر عمل ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ على التدريس والإملاء والإفتـــاء والمجالس الوعظية ونحوها من الوظائف التي كان يتولاها بنفسه، بل تجاوز ذلك إلى التأليف الذي هو من أكبر الأدلة على همّة هذا الإمام العالية ومكانتـــه العلميـــة، والتصنيف هو زبدة العمر، ووارث العالِم المخلّد، وهو أخو التعليم بالمشافهة، بـــل إن نفعه أكثر لأنه بذر يكثر ريعه ويمتد زمانه[٣] .

ويوضّح هذا ابن الجوزي بقوله: «رأيت من الرأي القويم أن نفع التصـــانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين، وأشـــافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد، ودليل هذا أن انتفاع النـــاس بتصـــانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدون من شيوخهم..»[٤] .

---

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٣/٤١٨)، والمدخل المفصل في فقه الإمام أحمد ، بكـــر أبو زيد (٢/ ٩٧٦-٩٧٧).

(٢) المصدر السابق (ص٦٦٦).

(٣) انظر: صيد الخاطر (ص٥٧) و(ص٨٣).

(٤) صيد الخاطر (ص٣١٢).

وقد بدأ ابن الجوزي التصنيف في سن مبكر، ووجد بخطّه تصنيف له في الوعظ، ذكر أنه صنّف سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وقال: ولي من العمر سبع عشرة سنة[١].

ونقل ابن رجب عنه أيضاً أنه بدأ التأليف وله من العمر نحو ثلاث عشرة سنة[٢]

ونظراً لتنوع معارف ابن الجوزي وتعدّدها، فقد كثرت مصنفاته، وتنوعت موضوعاتها وعلومها في شتى أنواع الفنون، كالتاريخ والتراجم والحديث والفقه والتفسير والوعظ والزهد والطبّ، وغيرها من كتاب كبير وصغير، ورسالة، ومختصر، ومستدرك وغير ذلك.

فكان رحمه الله من أغزر العلماء تصنيفاً حتى قال الإمام الذهبي: «وما علمت أحداً من العلماء صنّف ما صنّف هذا الرّجل»[٣].

وقال ابن الدبيثي: «لا أعرف أحداً له تصانيف موجودة أكثر من ابن الجوزي في فنون العلم، ورأيت أسماءها مفردة في كرّاس»[٤].

وقد اختلف العلماء والمؤرخون في عدد تصانيف ابن الجوزي، بل إن ابن الجوزي نفسه قد تباينت عباراته في ذلك.

فينقل سبطه أبو المظفر أنه سمعه يقول على المنبر في آخر عمره: «كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلّدة..»[٥].

---

(١) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٣) تذكرة الحفاظ (٤/١٣٤٤).

(٤) المختصر المحتاج إليه للذهبي (٢/٢٠٧).

(٥) مرآة الزمان (٨/٤٨٢) ونقله عنه ابن رجب في الذيل (١/٤١٠).

وسُئل مرّة عن عددها وأحجام كل منها، فقال: «زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً، منها ما هو عشرون مجلداً، ومنها ما هو كرّاس واحد»[١].

وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية في الأجوبة المصرية عن الإمام ابن الجوزي فقال: «كان الشيخ أبو الفرج مفتياً كثير التصنيف والتأليف، وله مصنفات في أمور كثيرة حتى عددها فرأيتها أكثر من ألف مصنّف، ورأيت بعد ذلك له ما لم أره»[٢].

ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا طريقة ابن الجوزي في التصنيف ، وذلك أنه كان إذا رأى تصنيفاً وأعجبه صنّف مثله في الحال، وإن لم يكن تقدم له في ذلك عمل، وكان يصنّف الكتاب ولا يعتبره، بل يشتغل بغيره، وكذا نقله من الصحف، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة، ولولا ذلك لم تجتمع له هذه المصنفات الكثيرة[٣].

ولذا قال الذهبي: «وصنّف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً، لما لحق أن يحرّره ويتقنه»[٤].

وقال أيضاً: «ومع تبحّر ابن الجوزي في العلوم، وكثرة اطلاعه وسعة دائرته، لم يكن مبرّزاً في علم من العلوم، وذلك شأن كل من فرق نفسه في بحور العلم، ومع أنه كان مبرزاً في التفسير والوعظ والتاريخ، ومتوسطاً في المذهب، متوسطاً في الحديث، له اطلاع تام على متونه، أما الكلام على صحيحه وسقيمه، فما له فيه

(١) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٤١٣/١)، وشذرات الذهب (٣٣١/٤).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٤١٥/١).

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٣٤٧/٤)، وذيل طبقات الحنابلة (٤١٤/١).

(٤) السير (٣٧٨/٢١).

ذوق المحدثين، ولا نقد الحفاظ المبرزين...»[١].

وقد أُحْصِيت كتب ابن الجوزي في مؤلفات خاصة، ولعلّ أحسن من رأيته استوعب ذلك من المعاصرين الأستاذ عبد الحميد العلوجي في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي»[٢]،فقد ذكر فيه قرابة خمسمائة مصنف لابن الجوزي؛ فمن أراد الاستزادة والتفصيل عن أسماء مؤلفاته وأماكن وجودها فعليه الرجوع إليه.

وسأسرد أولاً مؤلفاته في العقيدة المطبوع منها والمخطوط، ثم أذكر أهم مؤلفاته المطبوعة في الفنون الأخرى.

- أولاً : كتب ابن الجوزي في العقيدة :

١- دفع شبه التشبيه :

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧/١)، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٤٨٤/٤)، وسماه (دفع التشبيه بأكف التتريه).

وطبع في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٤٥هـ، وفي المكتبة التوفيقية بالقاهرة بتحقيق محمد زاهد الكوثري عام ١٩٧٧م، كما طبع بدار الجنان ببيروت باسم : الباز الأشهب، عام ١٤٠٧هـ.

وطبعه حسن السقاف بدار الإمام النووي بالأردن عام ١٤١٣هـ، وقد نقض هذا الكتاب الشيخ سليمان العلوان في كتابه « إتحاف أهل الفضل والإنصاف بنقض كتاب اين الجوزي دفع شبه التشبيه وتعليقات السقاف » وقد

(١) تاريخ الإسلام، وفيات ٥٩١-٦٠٠ (ص٣٠٠).

(٢) طبعته جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت سنة ١٤١٢هـ طبعة جديدة ومزيدة، وقد استفاد مما استدركه عليه محمد الباقر في مجلة « المورد » العراقية عام ١٩٧١م، وكذلك هلال ناجي في مجلة المكتبة البغدادية عام ١٩٦٨م، وكتاب «قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي » تأليف د. ناجية إبراهيم.

صدر منه الجزء الأول.

ولهذا الكتاب نسختان في دار الكتب المصرية بالخزانة التيمورية رقم (٢٢٥ مجاميع)، و(٤٠٠ عقائد).

ولهذا الكتاب أسماء أخرى وردت على بعض المخطوطات، وهي :

أ- رسالة في الرد على مخالفي أحمد بن حنبل، مخطوطة بمكتبة مغنيسا بتركيا برقم (٦٥٧٩)[١] .

ب - رسالة في الصفات، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد برقم (٦٥٩٢).

ج - أخبار الصفات، مخطوطة بمكتبة شهيد علي باشا بتركيا، برقم (١٥٦١) ونسخة أخرى بمكتبة وهبي أفندي برقم (٦٣٦)[٢].

د - الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب، منه مخطوطة بمكتبة غوطا برقم (٧١٦)، والآصفية ١٢٩٤/٢ برقم (٢٢٥)، وبتنا ٨٢/١ برقم (٨٣٢)، وكوبريلي برقم (١٢٠٢/٢)، ومكتبة أوقاف العراق رقم ١٣٧٧٠/١، ورقم ١م ٢٣١٦٥، والقادرية ببغداد ضمن مجموع برقم (٥٩-٦٧)[٣] .

والصحيح أن هذا الاسم إنما هو لكتاب لابن الجوزي في الفقه، فقد قال في مقدمة كتابه « دفع شبه التشبيه » :(ثم رأيتُ جمع أحاديث التعليقة التي يحتج بها

---

(١) انظر: فهرس مؤلفات ابن الجوزي المخطوطة في مكتبات تركيا، د. نورالدين بوياجيلار في مجلة كلية أصول الدين بالرياض، عدد ٤ عام ١٤٠٢هـــ (ص٣٢٦).

(٢) المصدر السابق (ص٣١٧).

(٣) انظر : مؤلفات ابن الجوزي لعبدالحميد العلوجي (ص٩٨)، وقراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي د. ناجية إبراهيم (ص٤٠)، ومخطوطات ابن الجوزي في تركيا (ص٣١٩).

أهل المذاهب، وبينتُ تصحيح الصحيح وطعن المطعون فيه، وعملتُ كتاباً في المذاهب أدخلتها فيه سميته: الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب)[١] .

٢- منهاج الوصول إلى علم الأصول:

ذكره ابن الجوزي في التلبيس[٢]، وفي كتابه الرد على المتعصب العنيد[٣] ، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض[٤].

وله نسختان خطيتان: الأولى في خزانة أحمد النيازي ببغداد، والثانية في الجزائر برقم (٩٤٩، ٩٥٠).

وقد طلبتُ تصويرها من المكتبة الوطنية بالجزائر، فأُخبرت بأنها غير موجودة.

٣- المجالس:

وهو في صفات الله تعالى، منه نسخة بليبزك بألمانيا برقم (١٦٦)، وأخرى بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا بالمغرب برقم (٤٩٧)، وبدار الكتب المصرية برقم (١٥٢٣/كلام)، وطبع بمصر عام ١٩٧٠م[٥].

٤- رسالة في كيد الشيطان لنفسه قبل آدم:

وقد تضمن بيان الفِرق وآراءها.

---

(١) (ص٩٧).

(٢) انظر القسم المحقق (ص٥٢٠).

(٣) (ص١٠).

(٤) (١٦٠/٩). وانظر: (٢٦٣/٧)، (٦٠/٨).

(٥) انظر : مؤلفات ابن الجوزي للعلوجي (ص١٩٩).

منه نسخة بمكتبة بلدية الإسكندرية برقم (٣٧٦٥ج)[٢].

٥- الدالية في السنة:

منظومة في العقيدة تقع في (٧١) بيتاً، عدد أوراقها: ٣ ورقات، ضمن مجموع (٦٩-٧١)، منها صورة بالجامعة الإسلامية بالمدينة برقم ٨/١٧٠٢.

٦- بشائر التحقيق في محبة أهل التصديق :

منه نسخة في المكتبة الآصفية بحيدر آباد ١٥٠٨ برقم (٤٣).

٧- القرامطة:

مطبوع بتحقيق د. محمد لطفي الصباغ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

٨- مناقب الأولياء:

مخطوط، منه نسخة بمكتبة برنستون بأمريكا، مجموعة جاريت برقم (٢٠٧)[١].

٩- الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد:

طبع بتحقيق محمد المحمودي، (دون تاريخ ولا رقم الطبعة).

١٠- التبصرة في أحوال الموتى والآخرة:

طبع بتحقيق مصطفى عبدالواحد بالقاهرة، عام ١٩٧٠م.

١١- تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر:

منه نسخة في مكتبة برنستون بأمريكا، مجموعة جاريت برقم (١٠٥٧)[٢] .

---

(٢) المصدر نفسه (ص١٣٤).

(١) انظر: مؤلفات ابن الجوزي للعلوجي (ص٢٢٤).

(٢) المصدر نفسه (ص١٠٩).

١٢- قصيدة في الاعتقاد:

منظومة في عشرة أبيات، منها نسخة في دار الكتب المصرية برقم (٦٢٢/مجاميع)، وفي مكتبة جامعة ليبزك برقم ١٥٠ (٩)[٣].

١٣- بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد:

ذكره ابن القطيعي في فهرست كتب ابن الجوزي فيما له في أصول الدين، كما في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤١٧/١).

١٤- منتقد المعتقد:

ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٤٨٦/٨)، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧/١).

١٥- غوامض الإلهيات :

ذكره ابن القطيعي أيضاً في فهرسته، كما في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧/١).

١٦- مسلك العقل:

ذكره ابن القطيعي أيضاً في فهرسته، كما في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧/١).

١٧- منهاج أهل الإصابة في محبة الصحابة والقرابة:

ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٤٨٦/٨)، وابن القطيعي في فهرسته كما في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧/١).

١٨- عجالة المنتظر في شرح حال الخضر :

ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٤٨٦/٨)، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (١م٤١٧).

---

(٣) المصدر نفسه (ص٢٩٧).

١٩- القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال الحلاّج:

ذكره ابن الجوزي في كتابه المنتظم (٣/٢٠٤).

٢٠- الرد على القائلين بجواز المتعة :

ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٨/٤٨٦).

٢١- المعاد :

ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ، وفيات ٥٩١-٦٠٠، (ص ٢٩٠).

كتب في العقيدة نُسبت لابن الجوزي وليست له :

١-تجريد التوحيد المفيد:

نُسب خطأً لابن الجوزي في نسخة الكتاب المخطوطة بدار الكتب المصرية، برقم (١١٧٠/كلام)، وفي جميع النسخ الخطية الأخرى نسب للمقريزي - وهو الصحيح - [١] .

٢- الدرّ المنتظم في مولد النبي صلى الله عليه وسلم :

مطبوع في القاهرة عام ١٣٠٠هـ. ويوجد نسخ خطية منه في المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم (٩٥٦٣)،و (١٠١١٤)، و(١٠١٠٨). ولاله لي بتركيا برقم (١٧٢٣)، والفاتيكان برقم (٩١٤).

وذكر كارل بروكلمان أنه يُنسب أيضاً لأحمد بن القاسم الجريري. كما شككت د.ناجية إبراهيم في نسبته لابن الجوزي لخلوه من الإسناد[٢] .

---

(١) انظر : أبو الفرج ابن الجوزي وآراؤه الكلامية لآمنة نصير (ص٨٣-٨٤)، وتجريد التوحيد للمقريزي، تحقيق علي العمران.

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) (٩/٣٤٣)، وقراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي د.ناجية إبراهيم (ص١٣٧).

قلتُ: بعد مطالعتي للكتاب وجدتُ فيه بعض العبارات التي لا يقولها مسلم فضلاً عن عالم من العلماء، ومنها: (ثم إن الله سبحانه وتعالى قسم نور محمد عشرة أقسام، فخلق من القسم الأول العرش، ومن الثاني الكرسي...) (ص١٦)، ومنها :(لولا محمد ما خلقتُ أحداً من خلقي) (ص١٧).

- ثانياً : مؤلفاته في فنون العلم الأخرى:

هذه قائمة بأهم كتب ابن الجوزي المطبوعة في شتى العلوم والفنون، وقد رتبتها حسب الحروف الهجائية .

١-أحكام النساء.

٢-أخبار الظراف والمتماجنين.

٣-الأذكياء.

٤-أعمار الأعيان.

٥-بحر الدموع.

٦-البرّ والصلة.

٧-بستان الواعظين ورياض السامعين.

٨-تاريخ بيت المقدس.

٩-تبصرة المبتدئ وتذكرة المنتهي.

١٠-التحقيق في أحاديث الخلاف.

١١-تذكرة الأريب في تفسير الغريب.

١٢-تلبيس إبليس.

١٣-تلقيح فهوم أهل الأثر.

١٤-تنوير الغبش في فضل السود والحبش.

١٥- الثبات عند الممات.

١٦-الحث على حفظ العلم.

١٧-الحدائق في علم الحديث والزهديات.

١٨-درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم.

١٩-ذم الهوى.

٢٠-روح الأرواح.

٢١-زاد المسير في علم التفسير.

٢٢-صبا نجد.

٢٣-صفة الصفوة.

٢٤-صيد الخاطر.

٢٥-العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.

٢٦-غريب الحديث.

٢٧-فنون الأفنان في عيون علوم القرآن.

٢٨-القرامطة.

٢٩-كتاب الحمقى والمغفلين.

٣٠-كتاب الضعفاء والمتروكين.

٣١-كتاب القصاص والمذكرين.

٣١-كتاب اللطائف.

٣٣-كتاب النساء.

٣٤-كشف المشكل من حديث الصحيحين.

٣٥-لفتة الكبد في نصيحة الولد.

٣٦-لقط المنافع في الطب.

٣٧-مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن.

٣٨-المجالس في الوعظ.

٣٩-المجتبى من المجتنى.

٤٠-المدهش.

٤١-المشيخة.

٤٢-المصباح المضئ في خلافة المستضئ.

٤٣-المصفى بأكف أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ.

٤٤-مناقب الإمام أحمد.

٤٥-مناقب بغداد.

٤٦-مناقب عمر بن الخطاب.

٤٧-مناقب عمر بن عبدالعزيز.

٤٨-مناقب معروف الكرخي.

٤٩-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

٥٠-الموضوعات من الأحاديث المرفوعات.

٥١-نزهة الأديب.

الفصل الثاني

عقيدته

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: منهجه العام في العقيدة

المبحث الثاني: عقيدته في التوحيد.

المبحث الثالث: عقيدته في الإيمان.

المبحث الرابع: موقفه من الفِرق.



المبحث الأول

منهجه العام في العقيدة

لما كان موضوع عقيدة الحافظ ابن الجوزي -رحمه الله - من الموضوعات الشائكة نظراً لمكانته العلمية من جهة، ونظراً لما صدر عنه من مخالفة لمنهج السلف في تقرير بعض المسائل العقدية؛ فإنه يتحتم عليّ الرجوع إلى أقوال الرجل المثبتة في كتبه التي تعتبر هي المصادر الأصلية لهذه الدراسة؛ ليكون الكلام على عقيدته بالعدل والإنصاف.

لذلك أريد أن أحدد مقدّماً منهجي في تحرير هذا الموضوع، وهو ما يلي :

- من حيث المادة العلمية :

فقد اجتهدتُ في اقتناء جميع ما طُبع من كتب ابن الجوزي -رحمه الله - ورسائله، في جميع الفنون ، وما استطعتُ الحصول عليه من المخطوطات المتعلقة بالعقيدة، وقراءتها كذلك، حتى استخلصتُ منها كلامه وأقواله في الجانب العقدي، ثم صنفتُ ذلك كله وفق المباحث العقدية المصطلح عليها.

- من حيث المنهج في تحرير عقيدة ابن الجوزي :

اقتصرتُ في تحرير عقيدة ابن الجوزي على ذكر كلامه في المسألة لأنه هو المقصود، وليس المقصود بسط عقيدة السلف وتحريرها، فإن لذلك مصنفات مستقلة، وليس مقصودا كذلك ذكر أقوال الفرق المخالفة لعقيدة السلف، وبيان خطئهم والرد عليهم؛ لأن لذلك أيضاً تصانيف عديدة.

اللهم إلا في المواطن التي رأيتُ - وفقاً لعقيدة السلف - أن ابن الجوزي - رحمه الله- قد أخطأ فيها وجانب الصواب؛ فإني - حينئذ - أتعقبه وأرد على خطئه من خلال أقوال علماء السلف وأدلتهم.

.خلاصة في عقيدة ابن الجوزي عموماً :

بعد اطّلاعي على عدد كبير من مؤلفات الشيخ -رحمه الله- المطبوعة والمتيسر من مخطوطاته في العقيدة، فإني خلصتُ إلى نتيجة وقناعة أن الشيخ -رحمه الله- موافق لأهل السنة عموماً، عدا في مسألتين هما : مسألة الصفات الإلهية ، ومسألة التبرك بالقبور؛ فإنه جانب الصواب فيهما، بل هو في المسألة الأولى مضطرب لم يثبت على رأي واحد، فهو تارة يقول بالإثبات، وتارة يقول بالتفويض، وأخرى بالتأويل، وقد بينتُ هذا بصورة تفصيلية في موضعه من هذا الفصل.

.انتساب ابن الجوزي :

إن ما وقع فيه ابن الجوزي -رحمه الله- من أخطاء عقدية، هي - في نظري - زلة عالم، لا يتّبع عليها، ولا يُقتدى به فيها.

غير أن هذه الأخطاءلم تصدر عنه من واقع انتساب إلى مذهب بدعي أو فرقة ضالة، بل ابتلي بذلك بسبب تقليده لبعض العلماء كابن عقيل وغيره. زيادة على أن الخطأ من سمات البشر، والعصمة للأنبياء؛ لذلك لا ندّعي العصمة لابن الجوزي ــ رحمه الله ــ، وما وقع منه من خطأ كان سببه الغلوّ الذي كان من بعضهم في الإثبات، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: «وقع الاعتداء في النفي والإثبات في الحنابلة مما دبَّ إليهم من غيرهم الذين اعتدوا حدود الله بزيادة في النفي والإثبات»[1].

وهذه بعض الملامح العامة لمنهج الإمام ابن الجوزي في التلقي والاستدلال على العقيدة، وبعد ذلك يكون الحكم للأغلب،ويُحمل الخطأ على القصورالبشري

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٧٠).

وتأثير الشيوخ على التلاميذ سلباً وإيجاباً، والله يعفو عن الجميع بمنّه وكرمه.

١. حثّه على لزوم السُّنة واجتناب البدعة:

عقد الإمام ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ عدة أبواب في كتبه، ساق فيها النصوص التي تحث على لزوم السُّنة واجتناب البدعة[١].

كما اعتنى ببيان معنى السُّنة والمقصود بأهلها، وأنهم: «أهل النّقل والأثر، المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث»[٢]، وقال عنهم ــ مادحاً لهم ــ إن «كلمتهم ظاهرة، ومذهبهم مشهور، والعاقبة لهم»[٣].

وقد سلك ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ في هذا المضمار منهجاً متميزاً في ترجمته للأعلام في كتابه «المنتظم»، بحيث يحرص على ذكر مذهب المترجم له ثناءً إن كان ملتزماً بالسُّنة صحيح العقيدة، وذمّاً إن كان بخلاف ذلك[٤].

كما نافح عن الإمام ابن بطّة ودافع عنه بشدة وغيرة كبيرة[٥].

وعلى غرار السُّنة وأهلها، تطرق ابن الجوزي إلى البدعة وأهلها، وعرّفهم بأنهم

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ــ القسم المحقق ــ (ص٨٢،١٤)؛ وصيد الخاطر (ص١٧٢)؛ والحدائق (١/٥٣٧-٥٤٨).

(٢) القسم المحقق (ص ١٣٥). وانظر : الحدائق (١/٥٣٧-٥٤٨).

(٣) القسم المحقق (ص١٥٠).

(٤) انظر: المنتظم (١٠/٢٤٦)،(١١/٦٧)،(١١/٢٣٩)،(١٤/١٤)، (١٤/٢٨٤)،(١٤/ ٣٨٠)،(١٥/٩٦)،(١٥/١٨٨)،(١٥/٢٦٨)،(١٥/٣٣٨)، (١٦/١٠٥)،(١٦/ ١٤٨)، (١٦/١٩٤)، (١٧/١٥٣)،(١٧/٢٧٤)،(١٨/٢٢)، (١٨/٢٥)، (١٨/٣١)، (١٨/٤٥)، (١٨/٥٧).

(٥) انظر: المنتظم (١٦/١٣٣)، (١٤/٣٩٠).

«المظهرون شيئاً لم يكن قبلُ، لا مستند له»[١]، وشدد على أن «الأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة، إذ يوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان»[٢].

ومن أقواله ـــ رحمه الله ـــ في التحذير من المبتدعة، قوله: «فالله الله من مخالطة المبتدعة، وعليكم بالكتاب والسُّنة ترشدوا»[٣].

٣. ذمُّه للكلام وأهله[٤]:

حذَّر الإمام ابن الجوزي ـــ رحمه الله ـــ من خطر «علم الكلام»، فكتب ووعظ في ذلك لشدة إدراكه لعاقبة الخوض فيه؛ فقد أفضى الكلام بأكثر من خاض فيه (إلى الشكوك، وبعضهم إلى الإلحاد)[٥].

كما كان يبيّن ـــ رحمه الله ـــ أن الالتزام بالكتاب والسُّنة وترك الكلام هو السبيل القويم، ليس عجزاً عن الكلام وجهلاً بمسالكه، ولكن طلباً للنجاة لأنه داءٌ

---

(١) القسم المحقق (ص١٥٠).

(٢) القسم المحقق (ص١٣٦). وانظر: كشف المشكل (١/٣١٠)؛ والتذكرة في الوعظ(ص٣٦).

(٣) صيد الخاطر (ص٦٠٣).

(٤) قد يقول قائل: إن ابن الجوزي ـــ رحمه الله ـــ قد خاض في بعض الكلام. والجواب عن هذا أنّه كان يرى استعمال ذلك الأسلوب من العالم العارف بمزالق الكلام يسوغ ويجوز للحاجة، من باب الردّ على أهل الاصطلاح باصطلاحهم، و لم يجعله منهجاً مطّرداً، وطريقة متبعة.
انظر: أبو الفرج ابن الجوزي آراؤه الكلامية والأخلاقية للدكتورة آمنة نصير (ص٥٥،٥٦).

(٥) القسم المحقق (٤٨٨).

وليس بدواء. ولذلك قال رداً على من يتعالم على السّلف: «لم يسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً، ولكنهم رأوا أنّه لا يشفي غليلاً، ثم يردّ الصحيح عليلاً، فأمسكوا عنه، ونهوا عن الخوض فيه»[1].

ومن كلامه الجامع قوله: «ليُعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلّف الأعراب سوى مجرد الإيمان، ولم تتكلم الصحابة في الجواهر والأعراض. فمن مات على طريقهم مات مؤمناً سليماً من بدعة. ومن تعرّض لساحل البحر، وهو لا يحسن السباحة، فالظاهر غَرَقُه»[2].

٣. تعظيمه للنقل:

لا شك أن ارتباط ابن الجوزي ـــ رحمه الله ـــ بعلوم الكتاب والسُّنة دراسةً وتدريساً، أنشأ في نفسه تعظيماً لنصوصهما، وتقديمهما على أي مصدرٍ آخر للعلوم.

ومن الأمثلة على ذلك، ما علّل به منعه لأن يُقال: (ملك الملوك)، وهو أنه (قد صحّ في الحديث ما يدلّ على المنع، ولكن الفقهاء المتأخرين عن النقل بمعزل) [3].

كما جرت عادته ـــ رحمه الله ـــ في كتابه «تلبيس إبليس» أنه يردّ على جميع الانحرافات بما ثبت في الكتاب والسُّنة[4].

وفي أثناء مناقشته للمتكلمين قال: «بالله تأملوا، أليس قد وجب علينا هجر

(١) القسم المحقق (٤٨٨). وانظر: صيد الخاطر (ص٣٦٣)؛ (ص٦٠٣).

(٢) صيد الخاطر (ص٤٥٠). وانظر في المصدر نفسه: (ص٣٦٣، ٤٥٠، ٦٠٣).

(٣) المنتظم (١٥/٢٦٥).

(٤) انظر على سبيل المثال: القسم المحقق (ص٤٠٢، ٤٠٨، ٤٢٢، ٤٣٧، ٤٤٧، ٤٧٠، ٤٨٢، ٥٧٧، ٦١٥، ٧٤٤، ٨٢٢، ١٠٧١، ١١٥١، ١١٨١، ١٣٢٨).

الرّبا بقوله تعالى: ﴿لا تأكلوا الرّبا﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وهجر الزنـا بقـول: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ [الإسراء: ٣٢]؟ فأي فائدة لنا في ذكر قراءة ومقروء وتـلاوة ومتلو، وقديم ومحدث.

فإن قيل: فلا بدّ من اعتقاده. قلنا: طريق السّلف أوضح محجّة؛ لأنّا لا نقولـه تقليداً، بل بالدليل، ولكنا لم نستفده عن جوهر وعرض، وجزء لا يتجزأ، بل بأدلة النقل، مع مساعدة العقل، من غير بحث عما لا يُحتاج إليه»[1].

وكلام المصنف يحتاج إلى تفصيل مفاده : أن هذه الأسماء لها معان وبينها فروق معلومة، وهي معروفة للصحابة وإن لم يتكلموا بها لعدم الحاجة إلى ذلـك، ولمـا حدثت البدع احتاج العلماء إلى ذكر هذه الأسماء وبيان معانيها، وما بينهـا مـن فروق ليزول الاشتباه الناشيء عن الاشتراك اللفظي والمعنوي.

٤.الإيمان بكل ما نُخبر به عن الصادق المصدوق:

هذه قاعدة عظيمة، وهي من أصول الإيمان، وشرط الشهادة لمحمد بن عبد الله بالرسالة. ولهذا كان الصّديق أبو بكر رضي الله عنه أفضل الناس بعد الأنبياء لكمـال تصديقه بخبر النبي ﷺ.

والشيخ ـ رحمه الله ـ ذكر هذه القاعدة في أثناء شرحه لحديث احتجاج آدم وموسى ـ عليهما السّلام ـ الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما[2].

فأورد إشكالاً، مفاده: كيف اجتمعا ومتى اجتمعا؟ (أي آدم وموسى).

فأجاب رحمه الله بقوله: «إنه يجب الإيمان بكل ما نُخبر بـه عـن الصـادق المصدوق، وإن لم نطلع على كيفيته... وليس هذا بأوّل خبرٍ يجب علينا الإيمان بـه،

---

(١) صيد الخاطر (ص٣٦٣-٣٦٤).

(٢) البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

وإن جهلنا معناه[١]، فإن عذاب القبر ونعيمه، وسؤال منكر ونكير فيه حـــق، ولا يطّلع على حقيقة ذلك، ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات للإحساس لم يبق إلاّ فرض التسليم»[٢].

٥.التسليم وترك التأويل:

المقصود بهذه القاعدة هو عدم الخوض في الأخبار المتلقاة عـــن الله ورســـوله بالآراء والأهواء، ولذلك لما تكلم الطحاوي ــ رحمه الله ــ عن رؤيـــة الله عـــزّ وجلّ، وأنها حق غير أنها بغير إحاطة ولا كيفية قال: «وتفسيره على ما أراد الله وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأوّلين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا؛ فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله عزّ وجلّ ولرســـوله، وردّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه»[٣].

والإمام ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ له عدة إشارات إلى هذا المعنى الجليـــل، منها قوله: «أيها السامع لما جاء من أحاديث الصفات والآثار المشكلات، ســـلّم الأمور إلى باريها، واترك تأويلها إن كنت تاليها وقاريها»[٤].

ومنها قوله أيضاً: «جادة التسليم سليمة، وادي النقل بلا نقع[٥]، انزل عن علو

---

(١) لو قال الشيخ: (وإن جهلنا كنهه أو كيفيته) لكان أولى، كما ذكر هـــو نفســـه في القاعدة.

(٢) كشف مشكل الصحيحين (٣/٣٨٢-٣٨٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٠٧).

(٤) بستان الواعظين (ص١١١).

(٥) نقع الماء: إذا اصفرّ وتغيّر. شبّه المصنف النصوص بالوادي الذي ماؤه عذب وصاف لم يتكدّر. انظر: القاموس المحيط (نقع).

غلو التشبيه، ولا تعلُ قُلل[١] أباطيل التعطيل، فالوادي بين جبلَين، المشبه متلوث بفرث التجسيم ، والمعطل نجس بدم الجحود ، ونصيب المحق لبن خالص هو التنزيه[٢]»[٣] .

ومن توجيهاته للمتصدين للتعليم والوعظ قوله: «لا ينبغي للواعظ أن يتكلم في الأصول، إلا أن يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأخبار الصفات تمرّ كما جاءت »[٤] .

غير أن الشيخ ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ خرم هذه القاعدة، واستعمل التأويل في توجيه جملة من نصوص الصفات. وهذا المسلك خطأ من الشيخ ــ رحمه الله لكني بتأمّل كلامه وتتبعه في هذا المضمار، وجدتُّه خاضه لعدة أسباب، منها:

الأول: وهذا ــ في رأيي ــ أهمها، وهو ظنّه أن الإمام أحمد ــ وقد كان ابن الجوزي من المعظّمين له جداً ــ أوّل بعض النّصوص، وقد ذكر ابن الجوزي هذا في تفسيره نقلاً عن القاضي أبي يعلى عن أحمد أنه قال في قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ﴾ المراد به قدرته وأمره[٥] .

فابن الجوزي ــ رحمه الله ــ لم يمحّص هذه الرواية عن الإمام أحمد، ويسبر

---

(١) قُلل : جمع قلّة، وهي أعلى كل شيء، من رأس أوسنام أو جبل. انظر القاموس المحيط (قلل).

(٢) المناسب لما سبق من كلامه أن يقول : الإثبات بلا تشبيه، والتنزيه بلا تعطيل.

(٣) المدهش (ص١٣٧).

(٤) القُصّاص والمذكّرين (ص٣٦٧). وانظر: القسم المحقق (ص ٥٣١)؛ وزاد المسير (١/٥٤)؛ و(٣/٢١٣)؛ والتبصرة (١/٣٢).

(٥) انظر : زاد المسير لابن الجوزي (١/٢٢٥)، وكشف مشكل الصحيحين (٣/٣٧٩).

طريقها ليتحقق من صحتها أو ضعفها[1]، بل سلَّم بها، وجعل منها مسوغاً للتأويل، وأن الحكم يتعدى من هذه الصفة إلى سائر الصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلامه عن هذه الرواية : (ثم من يذهب منهم إلى التأويل - كابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما - يجعلون هذه عمدتهم، حتى يذكرها أبو الفرج بن الجوزي في تفسيره ولا يذكر من كلام أحمد والسلف ما يناقضها)[2].

السبب الثاني: متابعته لشيخه المبجّل ــ وإن لم يلتق به ــ أبي الوفاء ابن عقيل[3]، فقد كان غارقاً ــ قبل توبته ــ في أقوال أهل الكلام وآرائهم، مما أنشأ عنده شبهات حاول إزالتها بالمبالغة في تنزيه الباري تعالى، فجرّه ذلك إلى الغلو في النّفي والإغراق في التأويل.

السبب الثالث: اعتماده ــ رحمه الله ــ على سعة اللغة العربية، فأخذ منها الغثّ والسمين لإثبات العقائد الدينية أو نفيها، بل لقد وقع في تناقضات كثيرة في هذا المجال، بحيث أثبت بحجة اللغة ما نفاه بالحجة نفسها[4] .

---

(١) فالرواية لا تثبت عن الإمام أحمد، وقد أجيب عنها بعدة أجوبة، منها: أن الرواية من طريق حنبل، وهي مما تفردّ به وقد خالفت المتواتر والمشهور عن الإمام أحمد. ومنها: أن الإمام أحمد قالها إلزاماً لخصومه المعتزلة. انظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى(ص٦١)؛ ومجموع الفتاوى (٥/٤٠٠)، و(١٦/٤٠٥)؛ والاستقامة لابن تيمية (١/٧٤-٧٨)؛ ومختصر الصواعق لابن القيم (٢/٢٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٤٠٠).

(٣) انظر : (ص ٣٩-٤٣) من هذه المقدمة.

(٤) انظر: رسالة أبي إسحاق العلثي التي ذكرها ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (٤/٢١٠) في الإنكار على ابن الجوزي فيما تأوله؛ ومجالس ابن الجوزي (مخطوط)

ولهذا ردّ عليه كثير من العلماء في عصره وبعده :

فقد أرسل إليه أبو إسحاق العلثي رسالة مناصحة قال له فيها : (اعلم أنه قد كثر النكير عليك من العلماء... بمقالتك الفاسدة في الصفات، وقد أبانوا وهاء مقالتك) ثم قال مبينا تناقضه : (ثم لك قصيدة مسموعة عليك في سائر الآفاق، اعتقدها قوم وماتوا بخلاف اعتقادك الآن فيما يبلغ عنك)[١] .

وقال عنه موفق الدين المقدسي : (كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ.. وكان حافظاً للحديث، وصنف فيه، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة وطريقته فيها)[٢].

وقال ابن رجب : (ومنها وهو الذي من أجله نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من المقادسة والعلثيين، من ميله إلى التأويل في بعض كلامه، واشتد نكرهم عليه في ذلك، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف)[٣].

والخلاصة هي ما فصّل فيه الحكم بالحق والعدل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إذ قال: «إن أبا الفرج ــ يعني ابن الجوزي ــ نفسه متناقض في هذا الباب، لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات؛ بل له كلام في الإثبات نظماً

(ق١/ب)؛ ودفع شبه التشبيه (ص١١٥) فما ينسبه للمعتزلة في رسالة المجالس ويرد عليه، وهو تفسير صفة اليد بالقدرة والنعمة، يقول به في كتاب دفع الشبه!

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٤٠٦، ٤٠٩).

(٢) المصدر السابق (٣/٤١٥).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٣/٤١٤). وبيّن الدكتور أحمد الزهراني في رسالته الماجستير « ابن الجوزي بين التأويل والتفويض » (ص١٥٤) أن ابن الجوزي مثبت لصفات المعاني، ومضطرب في الصفات الخبرية و لم يستقر على رأي.

ونثراً ما أثبت به كثيراً من الصفات التي أنكرها في هذا المصنّف[١]. فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس، يثبتون تارة وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات، كما هو حال أبي الوفاء ابن عقيل وأبي حامد الغزالي»[٢].

---

(١) يعني كتاب « دفع شبه التشبيه».

(٢) مجموع الفتاوى (١٦٩/٤).

المبحث الثاني

عقيدته في التوحيد

وفيه مطالب .

المطلب الأول: توحيد الربوبية:

اهتم ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ بهذا القسم من التوحيد، وساق لإثباته أنواعاً عديدة من الأدلة، إما تقريراً له أو ردّاً على شبه الملحدين، من دهرية وطبائعيين.

وكان سلاحه في ذلك الجهاد العظيم، آيات القرآن العظيم التي عوّل عليها متأمّلاً فمفسّراً. كما كان يحثّ دائماً على استعمال نعمة العقل للتدبّر والتفكر والاستدلال على وجود الباري تعالى وأنّه تعالى المتفرّد بالخلق والتدبير؛ وفي مقابل ذلك ينفي أن يكون الحسّ أداةً صالحة للتعرّف على وجود الله تعالى، حتى قال في ذلك: «وإنما يخبّط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحسّ»[١].

وقد تضمّن تقريره لتوحيد الربوبية، وردّه لشبه الدهرية والطبائعيين جملة من الأدلّة، أطلق عليها المتكلّمون مصطلحات معيّنة، لكنّ ابن الجوزي خالفهم في ذلك منهجاً وتطبيقاً.

فمن حيث المنهج، نجد أن الإمام ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ جعل المجادلة والرّد وسيلة لتقرير العقيدة الصحيحة التي تليق بمقام الرّب جلّ وعلا، واستعمل لذلك الآيات الباهرة من الكتاب المتلو، ومن الكون المنظور.

أما المتكلمون فقد كان أكثر همّهم الجدل والمراء، وإبطال أدلة الخصم وإن كانت صحيحة!

أما من حيث التطبيق، فلم يُطلق عليها تلك الأسماء؛ وقد تضمن منهجه الأدلة التالية[٢]:

---

(١) القسم المحقق (ص٣٠٣).

(٢) انظر: أبو الفرج ابن الجوزي: آراؤه الكلامية والأخلاقية (ص١١٢ وما بعدها).

أولًا: إثباته لحقيقة دور العقل السليم: وهو الاستدلال على وجود الحق تبارك وتعالى، لا أن يكون وسيلة للضلال والانحراف؛ فقال عن فضيلة العقل من جهة الاستنباط: «إنما تتبين فضيلة الشيء بثمرته وفائدته، وقد عرفت ثمرة العقل وفائدته، فإنّه هو الذي دلّ على الإله، وأمر بطاعته وامتثال أمره، وثبّت معجزات الرسل وأمر بطاعتهم، وتأمّل العواقب فاعتبرها فراقبها وعمل بمقتضى مصالحها، وقاوم الهوى... وحثّ على الفضائل ونهى عن الرذائل»[1].

وقال عن الدهرية ناعياً: «وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس، ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه. وهل يشك ذو عقل في وجود صانع؟!»[2].

ثانياً: الخَلْق دليل على الخالق: «أو دليل الخلق والاختراع»:

وقد ملأ تفسيره بالرّدود على الطبائعيين ومن على شاكلتهم ممن يشكّ في الخالق جلّ وعلاّ أو يجحده. فعند تفسيره لقول الله تبارك وتعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ [يونس: ١٠١] قال: «قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله، انظروا بالتفكر والاعتبار ماذا في السماوات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته، ونفاذ قدرته، كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، وكل هذا يقتضي خالقاً مدبّراً»[3].

ومما ذكره في كتابه التلبيس قوله: «فإن الإنسان لو مرّ بقاعٍ ليس فيه بنيان، ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أن لا بدّ له من بانٍ بناه. فهذا المهاد الموضوع، وهذا

---

(١) ذم الهوى (ص١٧).

(٢) القسم المحقق (ص٣٠١).

(٣) زاد المسير (٤/٦٨). وانظر كذلك في هذا الموضوع: زاد المسير (١/١٦٨)، (٤/٦٨)، (٨/٣٣)؛ اللطائف (ص١٤٢-١٤٣)؛ تنبيه النائم الغمر (ص٨٣)؛ أحكام النساء (ص١٣٠)؛ المنتظم (١/١١٨-١١٩)، صيد الخاطر (ص٤٦٧).

السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدّل على صانع؟!»[١].

ثالثاً: تدبير الأمر دليل على ربوبية الخالق: «أو دليل العناية»:

فالباري جلّ وعلا لم يترك خلقه سُدىً، بل ربّاهم ورعاهم من أضعف مخلوق إلى أعظم، إمّا بالتنشئة والخلق، وإمّا بالرزق والهداية.

وللتنبيه على هذا الدليل، قال ابن الجوزي: «من تأمّل تحديد الأسنان لتقطع، وتعريض الأضراس لتطحن،واللسان يقلّب الممضوغ، وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ثم يُنفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء... والعقل الذي يرشد إلى المصالح، وكل شيء من هذه الأشياء ينادي: أفي الله شك؟!»[٢].

وقال ـ أيضاً ـ: «لما تلمّحت تدبير الصانع في سَوْق رزقي بتسخير السحاب وإنزال المطر برفق، والبذر دفين تحت الأرض كالموتى قد عفن ينتظر نفخة من صور الحياة، فإذا أصابته اهتز خضراً، وإذا انقطع عنه الماء مدّيد الطلب يستعطي، وأمال رأسه خاضعاً ولبس حلل التغير، فهو محتاج إلى ما أنا محتاج إليه، من حرارة الشمس، وبرودة الماء، ولطف النسيم»[٣].

رابعاً: دليل النفس:

وقد استدلّ ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ بهذا الدليل ليثبت به أمرْين:

الأول: وقد مرّ معنا في دليل الخلق، والعناية، وقد ذكر هذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم﴾ [الذاريات: ٢١] فقال: «آياتٌ إذ كنتم نُطفاً، ثم عظاماً،

---

(١) القسم المحقق (ص٣٠٢).

(٢) القسم المحقق (ص٣٠٢).

(٣) صيد الخاطر (ص١٢٧).

ثم علقاً، ثم مُضغاً...»[١]... ولا داعي للتفصيل في هذا دفعاً للتكرار.

الثاني: ومضمون هذا الدليل أن النفس مقطوع بوجودها، رغم أن الحس لم يثبت ذلك فضلاً عن أن يحيط بها علماً؛ فإذا صحّ هذا في النفس وهي مخلوقة أفلا يكون الخالق عزَّ وجلَّ أولى أن لا تدركه الحواس.

وهذا من أعظم الأدلة التي حاجّ بها ابن الجوزي عقول الملحدين المعاندين.

وهذه بعض أقواله الجامعة في ذلك: «لنا أشياء لا تدرك إلا جملة كالنفس والعقل، ولم يمتنع أحدٌ من إثبات وجودهما»[٢].

وقال أيضاً: «من أكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه، هذه النفس الناطقة المميزة المحركة للبدن على مقتضى إرادتها، فقد دبّرت مصالحها، وترقت إلى معرفة الأفلاك، واكتسبت ما أمكن تحصيله من العلوم... فلم يحجبها سترٌ وإن تكاثف، ولا يُعرف مع هذا ماهيتها، ولا كيفيتها، ولا جوهرها، ولا محلها...

وهذا كله يوجب عليها أن لها مدبِّراً وخالقاً، وكفى بذلك دليلاً عليه، إذ لو كانت وُجدت بها لما خفيت أحوالها عليها، فسبحانه سبحانه»[٣].

خامساً: دليل حلول الحوادث:

استدل ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ للمرة الوحيدة ـ فيما وقفتُ عليه ـ بهذا الدليل الكلامي على وجود الخالق تعالى، وقد علّقتُ على هذا في موطنه، وبيّنتُ حقيقة هذا الدليل وما يترتّب عليه عند أهل الكلام[٤]، غير أن ابن الجوزي قد

(١) زاد المسير (٨/٣٣).

(٢) القسم المحقق (ص٣٠٣).

(٣) صيد الخاطر(ص٣٤٠-٣٤١).

(٤) القسم المحقق (ص٣٠٥).

خالف المتكلمين ــ كما قدّمتُ سابقاً ــ في الاستدلال به، فلم يتمـاد في ذكـر لوازمه الباطلة، من نفي الصفات عن المولى تعالى ذكره، ومن نفي قدرتـه تعـالى على الفعل... في تفاصيل خطيرة؛ بل اختصره فقال: «ومن الأدلة القطعيـة علـى وجوده: أن العالم حادث، بدليل أنّه لا يخلو من الحوادث، وكل ما لا ينفك عـن الحوادث حادث، ولا بدّ لحدوث هذا الحادث من سبب وهو الخالق سبحانه»(١).

وهذه طريقة ابن عقيل فيما ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية(٢).

المطلب الثاني: توحيد الألوهية:

لا شكّ أن اعتناء الإمام ابن الجوزي بعلوم الكتاب والسُّنة، والتصنيف فيها؛ قد ترك أثراً قويّاً لديه من حيث الاعتقاد والتمسك بمقتضى تلك العلـوم. فوجدتـه موافقاً للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح فيما وقفتُ عليه من موضوعات هذا التوحيد، عدا كلامه في موضوع التبرك كما سيأتي.

وسأورد بعض ما وقفتُ عليه من كلامه وتحريراته في ذلك الخصوص:

أولاً: استحقاق الربّ جلّ وعلا للعبادة وحده، دون سواه؛ لكونه خالقاً:

فالذي يخلق هو الذي يُعبد، قال ابن الجوزي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ومـا خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ [الأنبياء: ١٦]: «أي: لم نخلق ذلـك عبثاً، إنما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبر الناس بخلقـه، فيعلمـوا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقه...»(٣).

---

(١) القسم المحقق (ص٣٠٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/١٦٠).

(٣) زاد المسير (٥/٣٤٣).

ثانياً: استحقاق الربّ جلّ وعلا للعبادة وحده، دون سواه؛ لكونه رازقاً:

قال ــ رحمه الله ــ في تفسير قول الله جلّ وعلا: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض، قل الله﴾ [سبأ: ٢٤]: «إنما أُمر أن يسأل الكفار عن هــذا، احتجاجاً عليهم بأن الذي يرزق هو المستحق للعبادة، وهم لا يثبتون رازقاً سواه؛ ولهذا قيل له: ﴿قُلِ اللهُ﴾ لأنهم لا يجيبون بغير هذا»[1].

ثالثاً: عدم جواز اتخاذ معبود غير الله:

قال في معنى قوله تعالى: ﴿هذا ذكر من معي، وذكر مَنْ قبلــي﴾ [الأنبياء: ٢٤]: «المعنى: هذا القرآن، وهذه الكتب التي أُنزلت قبله، فانظروا هل في واحــدٍ منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه؟ فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود غيره من حيث الأمرُ به»[2].

كما تكلم الإمام ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ في بعض التفــاصيل المتعلقــة بتوحيد العبادة، ومن ذلك :

١. النهي عن تعظيم القبور، والصلاة عندها:

ففتنة القبور من أعظم ما كاد به إبليسُ بني آدم، إذ سوّل لهم الغلوّ في القبــور بدعاء الموتى، والطواف حول قبورهم، فهوَوْا في دركات الشرك؛ ولهذا لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في نزعات الموت - بأبي هــو وأمّــي- اليهــود

---

(١) زاد المسير (٦/٤٥٤).

(٢) زاد المسير (٥/٣٤٦).

والنصارى[١]؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، والغاية من ذلك هي: التحذير من صنيعهم.

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ :«وأمّا نهيُه عن اتخاذ القبور مساجد فلئلا تُعظَّم، لأن الصلاة عند الشيء تعظيم له، وقد أغرب أهل زماننا بالصلوات عند قبر معروف[٢]وغيره، وذلك لغلبة الجهل وملكة العادات»[٣].

وقال - رحمه الله - : (أصل عبادة الأوثان والأصنام من تعظيم قبور الأولياء والصالحين، ولهذا نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن تعظيم القبور والصلاة عندهاوالعكوف عليها، فإن ذلك هو الذي أوقع الأمم الماضية في الشرك الأكبر.

ولهذا نجد أيضاً في هذا الزمان أقواماً من الضُّلال الذين استحوذ عليهم الشيطان يتضرعون عند القبور، وعند سماع ذكر مشايخهم ويخشعون عندها، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد ولا في السَّحَر، ومنهم من يسجد للقبر، فهذا هو الشرك بالله نعوذ بالله).[٤]

٣. منع الحلف بغير الله:

علّل ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ النهي عن الحلف بغير الله، لما فيه من تعظيم لذلك الشيء المحلوف به، فقال في معرض تعليقه على قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»[٥] : (كان من عادة العرب أن يحلفوا

(١) أخرجه البخاري في الصلاة (١/٥٣٢ برقم ٤٣٥-٤٣٦) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (١/٣٧٧ برقم ٥٣١) من حديث عائشة وابن عباس.

(٢) أي الكرخي.

(٣) كشف المشكل (٢٠/٥٠). انظر المصدر نفسه (٣/٣٣٤).

(٤) تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر لابن الجوزي (مخطوط) (ق٤).

(٥) البخاري في الأيمان والنذور، باب لاتحلفوا بآبائكم (١١/٥٣٠برقم ٦٦٤٧)؛

بآبائهم. والحلف بالشيء تعظيم له، فنهى رسول الله عن تعظيم غير الله بالقسم به)[١] .

٣.النهي عن سبّ الدهر:

بين ابن الجوزي ـــ رحمه الله ـــ أن العرب كانوا إذا أصابتهم مصيبة يسبّون الدهر، وينسبون ذلك إليه، ويرونه الفاعل لتلك الأشياء، ولا يرونها من قضاء الله عزّ وجلّ.

وقال في معنى حديث: «لاتسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[٢] أي هو الذي يصيبكم بهذه المصائب، فإذا سببتم فاعلها فكأنكم قصدتم الخالق)[٣] .

٤.النهي عن قول: مطرنا بنوء كذا:

نقل أقوال العلماء في الأنواء وهي النجوم، وأن العرب كانت تنسب كل غيث يكون بعد طلوع نجم وسقوط آخر إلى ذلك النجم الساقط، فيقولون: مُطرنا بنوء كذا. ولا شك أن هذا شرك عظيم بربّ العالمين.

ثم بين الضابط الصحيح في ذلك فقال: «ومن لم يكن اعتقاده أن الكوكب يفعل لم يضرّه هذا القول. وقد أجاز العلماء أن يُقال: مُطرنا في نوء كذا، ولا يقال: بنوء كذا»[٤]

ومسلم فيه، باب النهي عن الحلف بغير الله (١٢٦٦/٣برقم١٦٤٦).

(١) كشف المشكل (٥١/١).

(٢) رواه مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر (١٧٦٢/٤برقم ٢٢٤٦).

(٣) كشف المشكل (٣٤٦/٣-٣٤٧). وانظر في هذا الموضوع: صيد الخاطر (ص٥٠٣-٥٠٤).

(٤) كشف المشكل (٢٦٢/٢).

٥.النهي عن التطيّر:

عرّف التطيرّ بقوله: (الطيرة: من التطيرّ، وهو التشاؤم بالشيء تراه أو تسمعه وتتوهّم وقوع المكروه به)[١].

وعلّل نفي النبي صلى الله عليه وسلم للعدوى بقوله: « لا عدوى » بأنه إنّما أراد إضافة الأشياء إلى القدر، لئلا يقف الإنسان مع السبب وينسى المسبّب، والله تعالى قد يعمل الأسباب وقد يبطلها؛ فأراد النبي صلى الله عليه وسلم إضافة الواقعات من الضرر والنفع إلى الله عزّ وجل[٢].

أخطاء الشيخ في هذا النوع من التوحيد :

مرّ فيما سبق نهي ابن الجوزي -رحمه الله - عن تعظيم القبور والصلاة عندها، وتحذيره من ذلك، إلا أنه أخطأ في بعض كتبه عندما ذكر شيئاً من التبرك غير المشروع، كالتبرك بقبور الصالحين ، من ذلك :

١ـ ما نقله عن جعفر الخلدي[٣] دون أن يعلّق على ذلك النقل ويبيّن بطلانه؛ أنه قال: (كان بي جرب عظيم فتمسحت بتراب قبر الحسين، فغفوت فانتبهت وليس عليّ منه شيء. وزرت قبر الحسين فغفوت عند القبر غفوة، فرأيت كأن القبر قد شُقّ وخرج منه إنسان، فقلت: إلى أين يا ابن رسول الله؟ فقال: من يد هؤلاء)[٤].

ومثل هذا الفعل إن كان عن اعتقاد البركة في تراب القبر، فهو حرام ووسيلة

---

(١) كشف المشكل (٢/٤٧٢). وانظر: (١/٤٨٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/٤٧١-٤٧٢)؛ (٢/٢٦٨)؛ (٤/٣٧٦-٣٧٧).

(٣) ستأتي ترجمته عند الأثر برقم [٢٢].

(٤) المنتظم: (٥/٣٤٦-٣٤٧).

إلى الشرك الأكبر؛ وإن كان عن اعتقاد أن الميت هو الذي يشفي، فذلك شرك في الربوبية، ودعاؤه والاستغاثة به شرك في العبادة.

٢ـــ قال في ترجمة أحمد القزويني: كان من الأولياء المحدثين... وقـــبره ظـــاهر يتبرك به في الطريق إلى معروف الكرخي[1])[2].

٣ـــ ما أورده من قصص ومنامات في فضل قبور بعض الصالحين[3].

وما أورده ابن الجوزي - رحمه الله - في التبرك بقبور الصالحين، كله داخل في التبرك الممنوع الذي لا يجوز، لعدم وجود ما يدلّ على مشروعيته مـــن الكتـــاب والسنة، ولا فعَلَه أو أرشد إلى فعله أحد من الصحابة وتابعيهم بإحسان. أو أئمـــة الدين المتبوعين.

بل الوارد هو النهي الشديد عن ذلك، ومن ذلك قول النبي : « ...إن مـــن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك »[4] .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (لو كان الدعاء عند القبور، والصـــلاة عندها، والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحاً، لفعل ذلك المهـــاجرون والأنصـــار، وسنّوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلـــوف الـــتي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل؛ وقد كـــان

---

(١) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [١٣٤].

(٢) المنتظم (١٥٦/١٧).

(٣) انظر: مناقب بغداد لابن الجوزي (ص٢٩)؛ مناقب الإمام أحمـــد (ص١٩٤)؛ بحـــر الدموع (ص٣٩)، المنتظم (٣٤٦/٥)، (٢١١/١١).

(٤) أخرجه مسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصـــور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٣٧٧/١ برقم٥٣٢).

عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير، وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب، ولا دعاه، ولا دعا به، ولا دعا عنده، ولا استشفى به، ولا استسقى به، ولا استنصر به. ومن المعلوم أن هذا مما تتوفر الهمم على نقله بل على نقل ما دونه)[١].

المطلب الثالث: عقيدته في صفات الله تعالى:

تردد موقف الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في مسألة صفات الربّ تعالى، بين النفي والإثبات. فتارة يثبت الصفات على طريقة السّلف، وتارة أخرى يجنح إلى التفويض، وتارة يميل إلى التأويل كما هو بارز في كتابه " دفع شبه التشبيه" الذي أوّل فيه كثيرا من نصوص الكتاب والسنة الواردة في صفات الله عزّ وجلّ.

وكان اضطرابه واختلاف أقواله في هذا الموضوع ناتجاً عن بعض القواعد المجانبة للصواب، والتي بنى عليها اعتقاده في الصفات الإلهية.

ومن هذه القواعد ما يلي[٢]:

١ـ تسميته لأخبار الصفات إضافات، وقررّ أن (ليس كل مضاف صفة)[٣]، ثم حكم بأنه (قد ابتدع من سمى المضاف صفة)[٤].

ولا شك في كون ابن الجوزي تأثر في هذا المصطلح بشيخه ابن عقيل؛ إذ هو

---

(١) إغاثة اللهفان (٣١٩/١). وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٦٨١/٢).

(٢) انظر: دفع شبه التشبيه (ص١٠٤-١٠٧).

(٣) المصدر نفسه (ص ١٠٤).

(٤) المصدر نفسه (ص ١٠٤).

الذي أُثر عنه استعمال هذا المصطلح اتّباعاً منه للمعتزلة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه كان من أذكياء العالم، كثير الفكر والنظر في كلام الناس؛ فتارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخبرية، وينكر على من يسمّيها صفات، ويقول: إنما هي إضافات موافقة للمعتزلة، كما فعله في كتابه « ذم التشبيه وإثبات التنزيه» وغيره من كتبه، واتبعه على ذلك أبو الفرج بن الجوزي في كتابه «كف التشبيه بكف التنزيه»، وفي كتابه «منهاج الوصول»»[1].

٢ـ أن آيات الصفات من المتشابه، فلا ظاهر لها يجب أن تحمل عليه، وقد استقر في ذهنه أن الظاهر هو المألوف عند الخلق فقال: (فهل ظاهر الاستواء إلا القعود، وظاهر النزول إلا الانتقال)[2].

وهذا الرأي باطل ، إذ مؤداه إلى القول بعدم الاستفادة من الكتاب والسنة شيئاً من العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (من قال عن جبريل ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما، وعن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين والجماعة: إنهم كانوا لا يعرفون شيئاً من معاني هذه الآيات، بل استأثر الله بعلم معناها، كما استأثر بعلم وقت الساعة، وإنما كانوا يقرأون ألفاظاً لا يفهمون لها معنى، كما يقرأ الإنسان كلاما لا يفهم منه شيئاً، فقد كذب على القوم، والنقول المتواترة عنهم تدلّ على نقيض هذا، وأنهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن)[3].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/٦٠).

(٢) دفع شبه التشبيه (ص١٠٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/٤٢٥).

وقال الشيخ الشنقيطي - صاحب أضواء البيان - : (آيات الصفات لا يطلق عليها اسم المتشابه... لأن معناها معلوم في اللغة العربية، وليس متشابهاً، ولكن كيفية اتصافه جلّ وعلا بها ليست معلومة للخلق، وإذا فسرنا المتشابه بأنه هو ما استأثر الله بعلمه دون خلقه، كانت كيفية الاتصاف داخلة فيه، لا نفس الصفة)[١]

٣ـ استعمال التأويل، ظنّاً منه أنه أُثر عن الإمام أحمد، وقد سبقت لي الإشارة إلى ذلك عند حديثي عن منهجه العام في العقيدة[٢] .

٤ـ شبهة أن إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم، وقد تأثر في هذا الجانب بما حدث من بعض مثبتة الصفات من غلوّ.

وهذه أيضاً شبهة باطلة ناتجة عن عدم تنزيه الله تعالى واعتقاد صفاته تجسيماً وتشبيهاً بصفات المخلوقين.

لأن الله تعالى يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وصفاً حقيقياً تفصيلياً، يليق بجلاله وعظمته، مع الاعتقاد الجازم بأن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وهذا الاعتقاد لا يجاوز ما جاء في القرآن والسنة.[٣]

هذه أهم القواعد التي ـ في رأيي ـ بنى عليها الإمام ابن الجوزي -رحمه الله - أقواله وآراءه في باب « صفات الله تعالى ».

لكنه ـ كما أسلفت ـ لم يثبت على رأيٍ واحدٍ، فقد كان أحياناً يخفّف من

---

(١) مذكرة في أصول الفقه (ص ٦٥).

(٢) انظر: (ص٨١ وما بعدها) من هذه المقدمة.

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٥/٢٦)، ومنهج القرطبي في أصول الدين (وهي رسالتي للماجستير مطبوعة على الآلة) (١/١٢٧-٢٣٢).

التأويل إلى القول بالتفويض[١]، اعتقاداً منه أن ذلك الموقف هو الـذي يقتضيه النصّ؛ أو هروباً من التعطيل الذي كان لا يرتضيه، ويهاجم أصحاب ذلك المذهب الرديّ وعلى رأسهم الجهمية.

والخلاصة أن ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ لم يتمحّص و لم يثبت علـى قـول واحد، كما أن له كلاماً في تقرير عقيدة التوحيد في الأسماء والصفات موافقاً لما أُثر عن السَّلف، وهذا لا يمكن أن نتجاهله، أو نطّرحه بسبب ما ورد عنه من الأقوال المخالفة لذلك.

وأشدّد على أن سلوك الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ هذا الاتجـاه - أي مسلك التأويل - ليس من مبدأ انتساب إلى فرقة مبتدعة، ولا استناداً إلى حججهم العقلية والكلامية المستمدة من غير مناهج المسلمين؛ بل إنه أُتي من عدم كونه ـ في هذا الباب ـ على درجة كبيرة من التحقيق والنظر في كلام الطوائف المناوئـة للسنة في باب «توحيد الأسماء والصفات» على وجه الخصوص.

ولهذا نجد له كلاماً في إثبات بعض الصفات يكون غاية في الصحة والصواب، بل قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن لابن الجوزي (من الكـلام في الإثبات نظْماً ونثراً ما أثبت به كثيراً من الصفات)[٢] .

ولأهمية هذه المسألة، ودحضاً لشبهات من يصف الشيخ ـ رحمـه الله ـ بالتجهم، أو بمعاداة مذهب السَّلف والأئمة الأعلام، أرى لزاماً عليّ أن أذكر جُمَلاً من كلام الشيخ ـ رحمه الله ـ في الإثبات والتنزيه وافق فيها منهج السَّلف.

---

(١) انظر القسم المحقق (ص٥٢٥-٥٢٦)

(٢) مجموع الفتاوى (١٦٩/٤).

أولاً: بعض عباراته الجامعة:

ـ في تفسيره لمعنى «العرش» وعرضه لمختلف الآراء في معناه قال: (وإجماع السّلف منعقد على ألاّ يزيدوا على قراءة الآية، وقد شذّ قوم فقالوا: العرش بمعنى المُلك، وهو عدول عن الحقيقة إلى التجوّز مع مخالفة الأثر، ألم يسمعوا قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ أفتراه كان المُلك على الماء؟!)[1].

(إذا أثبتنا ذاتاً قديمة خارجة عما يُعرف، فليُعلم أن الصفات تابعة لتلك الذات، فلا يجوز لنا أن نقيس شيئاً منها على ما نفعله ونفهمه، بل نؤمن به ونسلّمه)[2].

وكلام الشيخ ـ رحمه الله ـ هنا منسجم تماماً مع قاعدة: (القول في الصفات كالقول في الذات)[3].

ـ وقال عند حديثه عن صفة «الإصبع» لله تعالى: (ومذهب علماء السّلف السكوت عن مثل هذا الحديث، وأن يُمرّ على ما جاء من غير تشبيه ولا تأويل)[4].

ـ وقال: (وأخبار الصفات تُمرّ كما جاءت)[5].

ـ وقال: (فإن قيل : عبت طريق المقلدين في الأصول وطريقة المتكلمين، فما الطريق السليم من تلبيس إبليس؟

فالجواب : أنه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعوهم

---

(١) زاد المسير (٣/٢١٣).

(٢) صيد الخاطر (ص٤٢٤).

(٣) التدمرية لابن تيمية (ص٤٣).

(٤) كشف المشكل (١/٢٧٠).

(٥) كتاب القصّاص (ص٣٦٧).

بإحسان، من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار ، من غير تنقير ولا بحث عما ليس في قوى البشر إدراكه)[١].

ـ وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وكلّم الله موسى تكليماً ﴾ [النساء:١٦٤]: (تأكيد « كلّم » بالمصدر يدلّ على أنه سمع كلام الله حقيقة. ثم ذكر من طريق ثعلب[٢] قوله : (لولا أن تعالى أكّد الفعل بالمصدر، لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلمتُ لك فلاناً، بمعنى : كتبت إليه رقعة، أو بعثت إليه رسولا، فلما قال : « تكليماً » لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله)[٣] .

ـ ومما نظمه في صفات الله تعالى على طريقة السلف، قصيدته الدالية في السنة. ومما جاء فيها:

قوله:

صفاتُه كذاتِه قديمةٌ   سبحانه من ملك جواد

وقوله:

وهو على العرش كذا أخبر   نا وكرر القول على العباد

نزوله إلى السماء ثابت في   الليل فاهجر لذة الرقاد

وقوله:

كلامه صوت وحرف وبه   نادى الكليم جلّ من منادي

---

(١) القسم المحقق (ص٥٣١).

(٢) هو أحمد بن يحي بن يزيدن الشيباني، مولاهم. أبو العباس البغدادي، العلامة المحدث، إمام النحو، صاحب « الفصيح والتصانيف ». قال الخطيب : ثقة حجة، ديّن صالح، مشهور بالحفظ. مات سنة ٢٩١هـ. انظر : (تاريخ بغداد ٢٠٤/٥، السير ٥/١٤).

(٣) زاد المسير (٢٥٦/٢).

وقوله:

واتبع مقال السلف الذين ما   زادوا ولا قالوا برأي بادي[١]

وقال عن صفة «الحياء»: (صفات الحق عزّ وجلّ لا يُطلّع لها على ماهية، وإنّما تمّر كما جاءت)[٢] .

ثانياً: بعض تحريراته ومناقشاته:

١- ناقش ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ وردّ على من فسّر الاستواء بأنه الاستيلاء، فقال: (وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى؛ ويحتج بقول الشاعر:

حتى استوى بشرٌ على العراق   من غير سيف ودمٍ مُهراق[٣]

وبقول الشاعر :

هما استويا بفضلهما جميعا   على عرش الملوك بغير زور

وهذا مُنكر عند اللّغويين، قال ابن الأعرابي[٤] : العرب لا تعرف استوى بمعنى

---

(١) الدالية في السنة لابن الجوزي (مخطوط) (ق١/أ،ب، ق٢/أ).

(٢) زاد المسير (١/٥٤).

(٣) انظر لسان العرب (سوى) (١٤/٤١٤) والصحاح للجوهري (٦/٢٣٨٥).

وهذا البيت لم ينسب لقائل معين، بل قال فيه شيخ الإسلام : (لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة). مجموع الفتاوى (٥/١٤٦). وانظر : مختصر الصواعق المرسلة (ص٣٨٨).

(٤) هو محمد بن زياد بن الأعرابي، أبو عبدالله الهاشمي مولاهم، إمام اللغة، النسّابة. قال ثعلب : انتهى إليه علم اللغة والحفظ. وقال الأزهري : صالح، زاهد، ورع صدوق. مات بسامراء سنة ٢٣١هـ. ينظر : (معجم الأدباء ١٨/١٨٩، السير ١٠/٦٨٧، المزهر للسيوطي ٢/٤١١).

استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال: استولى فلان على كـذا، إذا كان بعيداً منه غير متمكّن منه ثمّ تمكّن منه؛ والله عزّ وجلّ لم يزل مُستولياً علـى الأشياء؛ والبيتان لا يُعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي. ولو صحّا، فـلا حجة فيهما لما بيّنا من استيلاء من لم يكن مستولياً. نعوذ بالله من تعطيل الملحـدة وتشبيه المجسمة). اهـ[١].

٢- كما أجاد ــ عليه رحمة الله ــ في تحرير مسألة رؤية الله عزّ وجلّ يـوم القيامة بالأبصار، ومما قاله بهذا الخصوص:

(رؤية الله عزّ وجلّ حقٌّ لا شكّ فيه. والأحاديث فيها صحاح)[٢].

وفي تفسير قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لن تراني﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: (تعلّق بها نفاة الرؤية وقالوا: (لن) لنفي الأبد، وذلك غلط، لأنها قد وردت وليـس المراد بها الأبد في قوله: ﴿ولن يَتَمَنَّوْهُ أبداً بما قدمت أيديهم﴾ [البقرة: ٩٥] ثم أخبر عنهم بتمنّيه في النار بقوله: ﴿يا مالك ليقض علينا ربّك﴾ [الزخرف: ٧٧]...

وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية، لأن موسى مع علمه بالله تعالى سـألها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثـل ذلك؛ لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة، وإنما منعه من الرؤية. ولو استحالت عليه لقال: (لا أُرى)، ألا ترى أن نوحاً لمـا قال: ﴿إن ابني من أهلي﴾ [هود: ٤٥] أنكر عليه بقوله: ﴿إنه ليس من أهلـك﴾ [هود: ٤٦].

وممّا يدّل على جواز الرؤية أنّه علّقها باستقرار الجبل، وذلـك جـائز غـير

(١) زاد المسير (٣/٢١٣). وانظر مختصر الصواعق (ص٣٨٨).

(٢) المصدر السابق (٨/٤٢٢-٤٢٣). وانظر: (٣/٩٨ــ٩٩) من المصدر نفسه.

مستحيل، فدلّ على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علّقه بمستحيل، فقال: ﴿حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياط﴾ [الأعراف: ٤٠]) اهـ[١] .

٣- وفي مناقشته للمعتزلة في تفسيرهم لصفة «اليد» في قوله تعالى : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » [ص : ٧٥] بأنها القدرة، قال: (وقول المعتزلة: إن المراد باليد القدرة، باطل لأنّه يؤدي إلى أن تكون للحق سبحانه قدرتان، فإنه قال بيديه. وأجمع المسلمون قاطبة أنه لا يجوز أن تكون لله قدرتان...

وكذلك لا يجوز أن يُقال: إن الحق تعالى خلقه بنعمتين، لأن النعمة مخلوقة...)[٢].

ولعلّ في هذا القدر كفاية للدلالة على المقصود من هذا المبحث.

---

(١) زاد المسير (٢٥٦/٣).

(٢) مجالس ابن الجوزي (مخطوط) (ق١/ب).

المبحث الثالث

عقيدته في الإيمان

وفيه مطالب .

للإمام ابن الجوزي ـــ رحمه الله ـــ إشارات إلى مسائل تتعلق بمباحث الإيمان، سأذكر ما وقفتُ عليه من ذلك:

المطلب الأول : مسائل في الإيمان:

١. تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً، ودخول الأعمال في مسمّى الإيمان:

قال في معنى قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة: ٣]: (الإيمان في اللغة: التصديق. والشرع أقّره على ذلك، وزاد فيه القول والعمل)[١].

وبعد نقله لقول ابن قتيبة وابن خزيمة في معنى «الإيمان» في قوله تعالى، ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى: ٥٢] وأن المراد به: (شرائع الإيمان ومعالمه، وهي كلها إيمان؛ وقد سمىّ الصلاة إيماناً بقوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة: ١٤٣])[٢] قال: (والقول ما اختاره ابن قتيبة وابن خزيمة)[٢].

٢. زيادة الإيمان ونقصانه :

قال في قوله تعالى : ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾[التوبة:١٢٥]: (لأنهم إذا صدقوا بها وعملوا بما فيها، زادتهم إيماناً)[٣].

٣. من أهل الكبائر من يدخل النار لكن لا يخلد فيها:

فقد عاب على المرجئة قولهم بأن من أقرّ بالشهادتين وأتى بجميع المعاصي لم يدخل النار أصلاً، وعقّب على قولهم بقوله: (وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحّدين من النار)[٤].

---

(١) زاد المسير (١/٢٤).

(٢) المصدر السابق (٧/٢٩٨). وانظر: (١/١٥٥-١٥٦) من المصدر نفسه.

(٣) زاد المسير (٣/٥١٨-٥١٩).

(٤) القسم المحقق (ص٤٩٤). وانظر: كشف المشكل (٣/٤٥٣).

وفي هذا ردّ على المرجئة والوعيدية من الخوارج والمعتزلة.

المطلب الثاني : مسائل في الإيمان بالرسل:

١.دلائل النبوة:

قال ابن الجوزي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف: ١١٢]: (أي في خبر يوسف وإخوته... ﴿عبرة﴾ أي عظة، ﴿لأُولي الألباب﴾ أي: لذوي العقول السليمة، وذلك من وجهْين:

أحدهما: ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليكه بعد استعباده، فإن من فعل ذلك به قادرٌ على إعزاز محمد ﷺ وتعلية كلمته.

والثاني: أنّ من تفكّر، علم أن محمداً صلى الله عليه وسلم مع كونه أمّياً، لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة من قِبل نفسه، فاستدلّ بذلك على صحة نبوته)[1].

وقال أيضاً: (لما خصّهم ـ أي الإنس والجنّ ـ بقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ [الإسراء:٨٨] فلم يكن في وسعهم، عجّزهم، فكأنّه يقول: قد أوضحت لكم بما سبق من الآيات ما يدلّ على نبوتي، ومن ذلك: التحدّي بمثل هذا القرآن...)[2].

وتكلّم ابن الجوزي عن بعض أوجه الإعجاز في القرآن العظيم، وأنّه من أعظم الأدلة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وصحة نبوته، فقال: (ما تضمن من

---

(١) زاد المسير (٢٩٧/٤).

(٢) زاد المسير (٨٨/٥).

أخبار الأمم السّالفة وسير الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب، مع كون الآتي بها أميّاً لا يكتب ولا يقرأ، ولا عُلم بمجالسة الأحبار ولا الكهّان، ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأحبار لم يدرك ما أخبر به القرآن... إخباره عن الغيوب المستقبلة الدالة على صدقه قطعاً لوقوعها على ما أخبر... أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض[(١)].

٣.التفضيل بين الأنبياء:

قد فضّل الله تعالى بعض الأنبياء والرسل على بعض، قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض﴾ [الإسراء: ٥٥].

ولهذا التفاضل أوجهٌ، قال ابن الجوزي: (وكذلك فضل بعض النبيين على بعض، وذلك عن حكمة منه وعلم؛ فخلق آدم بيده، ورفع إدريس، وجعل الذرية لنوح، واتخذ إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وجعل عيسى روحاً، وأعطى سليمان ملكاً جسيماً، ورفع محمداً صلى الله عليه وسلم فوق السماوات، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر)[(٢)].

وبين في توجيه النهي الوارد في تفضيل بعض الأنبياء على بعض، كما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يقولنّ أحدكم إني خيرٌ من يونس بن متّى»[(٣)]؛ أنّه خوف الانتقاص من قدر المفضول. ثم قال: (والمعنى: قولوا ما قيل

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى (٢٦٩/١-٢٧٠). وانظر: كلاماً رائعاً للمصنّف في صيد الخاطر (ص٥١٧-٥١٨).

(٢) زاد المسير (٤٨/٥)، وانظر: مباحث المفاضلة في العقيدة د. الشظيفي (ص ١٢٠-١٣١).

(٣) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى :﴿ وإن يونس لمن

لكم ولا تخيّروا برأيكم، وليس المراد أن لا تعتقدوا تفضيل قوم على قوم، فقد قال الله تعالى: ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض﴾ [البقرة: ٢٥٣])[1].

٣.موت الخضر:

يرى ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ أن الخضر[2] العبد الصالح ميّت، وأنّه (قد زعم قوم أن الخضر حيّ إلى الآن، واحتجوا بأحاديث لا تثبت، وحكايات عن أقوام ــ سليمي الصدور ــ ويقول أحدهم: لقيت الخضر)[3].

ثم سرد جملة من تلك الأحاديث وقال: (وكل هذه الأحاديث لا تثبت)[4]، وعن تلك الحكايات قال معلقاً: (وربما ظهر الشيطان لشخص فكلمه، وربما قال بعض المتّهمين لبعض: أنا الخضر. وأعجب الأشياء أن يصدّق القائل أنا الخضر، وليس لنا فيه علامة نعرفه بها)[4].

ومما نقله من كلام الحسين بن المنادي [5] في مسألة حياة الخضر، قوله: (أين

المرسلين﴾ (٦/٤٥٠ برقم ٣٤١٢).

(١) كشف المشكل (٣/٤٦٦-٤٦٧).

(٢) انظر ترجمته في : تاريخ الطبري (١/٣٦٥-٣٧٦)، التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن للسهيلي (ص١٨٨-١٩١)، المنتظم (١/٣٦٠-٣٦٥).

(٣) المنتظم (١/٣٦١).

(٤) المنتظم (١/٣٦٣).

(٥) هو أحمد بن جعفر بن محمد، أبو الحسين بن المنادي، الإمام المقرئ الحافظ البغدادي، صاحب التواليف. قال أبو عمرو الداني : مقرئ جليل غاية في الإتقان، فصيح اللسان، عالم بالآثار، نهاية في علم العربية، صاحب سنة، ثقة مأمون. مات سنة ٣٣٦هـ. ينظر :(تاريخ بغداد٤/٦٩، طبقات الحنابلة ٢/٣، السير ١٥/٣٦١).

كان الخضر عند تبشير أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالخلافة. وهذه الأخبار واهية الصدور والأعجاز لا تخلوا في حالها من أحد أمرين:

ـ أن تكون أُدخلت من حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالاً.

ـ وإما أن يكون القوم عرفوا حالها فرووها على وجه التعجّب، فنسبت إليهم على وجه التحقيق.

وقال: والتخليد لا يكون لبشر لقول الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وسلم: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخُلدَ أفَإنْ مِتَّ فهُمُ الخالدون﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ونقل قول إبراهيم الحربي[1] وقد سُئل عن تعمير الخضر، فأنكر ذلك، وقال: هو متقادم الموت.

قال: وروجع غيره في تعميره، وأن طائفة من أهل زماننا يرونه ويروون عنه، فقال: من أحال على غائب حيّ أو مفقود ميت لم يُنْتَصف منه، وما ألقى ذكر هذا بين الناس إلا الشيطان...)[2].

ولابن الجوزي ـ رحمه الله ـ كتاب حول الخضر، سمّاه: «عجالة المنتظم بشرح حال الخضر»، قال عنه: (ذكرتُ فيه هذه الأحاديث والحكايات ونظائرها وبيّنتُ خطأها)[3].

---

(١) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [١٣٦].

(٢) المنتظم (١/٣٦٣-٣٦٤).

(٣) المنتظم (١/٣٦٣).

المطلب الثالث: مسائل في الإيمان باليوم الآخر:

١. عذاب القبر: دليله وحكم الإيمان به:

عند تعليق ابن الجوزي ـــ رحمه الله ـــ على حديث أبي أيوب الأنصاري أنه: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما غربت الشمس، فسمع صوتاً فقال: ﴿يهود تعذّب في قبورها﴾[١]؛ قال: (قد دلّ هذا الحديث على عذاب القبر. واعلم أن الإيمان بعذاب القبر واجب للأحاديث الواردة فيه)[٢].

وقال أيضاً: (قد أشكل على الناس أمر النفس وماهيتها، مع إجماعهم على وجودها... ثم أشكل عليهم مصيرها بعد الموت، ومذهب أهل الحق أن لها وجوداً بعد موتها، وأنها تنعم وتعذب)[٣].

٢. أشراط السَّاعة:

خروج الدابّة: قال عنها: (هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّةً من الأرض تكلّمهم﴾ [النمل: ٨٢]، وهي دابّةٌ تخرج في آخر الزمان، تكلم الإنس، وتنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فيسودّ وجهه،

---

(١) رواه البخاري في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (٢٤١/٣برقم١٣٧٥) ومسلم في باب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه (٢١٩٩/٤برقم٢٨٦٩).

(٢) كشف المشكل (٨٤/٢).

(٣) صيد الخاطر (ص٧٤). وانظر من المصدر نفسه (ص٧٥).

وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه، فيعرف المؤمن من الكـــافر[١]...

وإنما تخرج هذه الدابّة لعقوبة الكفّار وفضيحتهم؛ فإنهم رأوا من الآيات ما يشفي ويكفي فلم ينتفعوا بما رأوا، فخرجوا بالإعراض عن فهم الدليل عن حيّز الآدميـــة إلى حيّز الحيوان البهيم، فأُخرجت لعقوبتهم دابّة)[٢].

طلوع الشمس من مغربها: وقال عن هذه الآية العظيمة: (طلوع الشمس من مغربها آية تعم الكلّ، وتدلّ على الصانع المقلّب للأشياء، وقد ســبق الوعــد بذلك في القرآن، فإذا اضطرّهم ذلك إلى التصديق لم يُقبلْ إيمانُ من يؤمن حينئـــذ. ولقد زعم الملحدون وأهل النجوم أن ذلك لا يكون، فَيُبيّن كذبهم، ويظهر القدرة على ما طلبه الخليل من نمرود بقوله: ﴿فأت بها من المغرب﴾ [البقرة: ٢٥٨])[٣].

المطلب الرابع : مسائل في الإيمان بالقدر:

١.الإيمان بالقدر:

بوّب ابن الجوزي في كتابه الحدائق في علم الحديث والزهديات[٤]باباً ترجمـــه بقوله: باب الإيمان بالقدر، وسرد تحته الأحاديث الدالة على ذلك.

٢.الفرق بين الإرادة والمحبة :

قال في التفسير : (الإرادة معنى غير المحبة، فإن الإنسان قد يتناول المرّ ويريـــد

---

(١) ذكر المصنّف هذا بناءً على ما رواه الطبري في تفسيره من حديث ابن عمر موقوفـــاً (١٥/٢٠).

(٢) كشف المشكل (٤٧٦/٣). وقد فصّل القول فيها في تفسيره (١٩٠/٦-١٩٣).

(٣) كشف المشكل (٤٧٦/٣).

(٤) (٥٤٩/٣).

بط الجرح ولا يحب شيئاً من ذلك.

وإذا بان في المعقول الفرق بين الإرادة والمحبة، بطل ادعاؤهم التساوي بينهما، وهذا جواب معتمد)[١].

٣. خلق أفعال العباد:

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قال أتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٥ ـ ٩٦] بعد أن نقل كلام الطبري في معنى «ما»: (وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله)[٢].

٤. الاحتجاج بالقدر على المعاصي:

قال في التفسير: (قوله تعالى: ﴿ سيقول الذين أشركوا﴾: أي إذا لزمتهم الحجة، وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله «لو شاء الله ما أشركنا» فجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل؛ فكأنهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه... فيقال لهم: لِمَ تقولون عن مخالفيكم إنهم ضالّون؟! وإنما هم على المشيئة أيضاً، فلا حجة لهم، لأنهم تعلّقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر؛ ومشيئة الله تعم جميع الكائنات، وأمره لا يعم مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلّل بالمشيئة بعد ورود الأمر)[٣].

---

(١) زاد المسير (١/٢٢٢). وانظر: (٧/١٦٤).

(٢) زاد المسير (٧/٧٠).

(٣) زاد المسير (٣/١٤٥). وانظر: القسم المحقق (ص٤٠٩).

المبحث الرابع

موقفه من الفرق

وفيه مطالب .

اهتم الإمام ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ بآراء الفرق المخالفة للإسلام، سواء المنتسبة إليه أو الخارجة عنه بالكلية. فاطلع على آرائها وناقشها، وردّ عليها وفندها. وقد ظهر هذا جلياً هنا في كتاب « تلبيس إبليس » ، وسأركز في عرضها على ما تناوله ابن الجوزي بالردّ والمناقشة؛ لنطلع على جانب من جهود الشيخ ــ رحمه الله ــ في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، ودحض الشبهات التي أثيرت حولها، سواء من قِبل النحل الكافرة، أو الفِرق المبتدعة..

المطلب الأول : الملل والنحل الخارجة عن الإسلام:

١.السوفسطائية[١]:

عرض لآرائهم وردّ عليها بأقوال العلماء، وكان في مناقشته متهكماً بهم لمخالفتهم أدنى قضايا العقول السليمة.

٢.الدهرية[٢]:

عرّف مقالتهم المادية الصرفة، وعابهم في تركهم استعمال العقل في معرفة الخالق؛ ثم عرض لأدلة الخلق المنصوبة الدالة على وجود الخالق المدبّر رداً عليهم ودحضاً لآرائهم.

٣.الطبائعيون[٣]:

وهم القائلون بأن الطبيعة هي التي أوجدت هذا الكون بما فيه، وذلك باجتماع الطبائع الأربع.. وبهذا الدليل الذي زعموه أبطل ابن الجوزي نظريتهم المتهافتة بكون امتزاج الطبائع واجتماعها دليلاً على أنها مقهورة؛ كما استدل على عجز

---

(١) انظر: القسم المحقق (ص٢٨٧-٣٠٠).

(٢) انظر: القسم المحقق (ص٣٠١-٣٠٦).

(٣) انظر: القسم المحقق (ص٣٠٧-٣٠٩)؛ وزاد المسير (٣٠٣/٤).

الطبيعة عن الخلق، بكون هذا الأخير في منتهى الدقة التي لا تصدر إلا عن حكيم خبير، وهم قد سلّموا بأن الطبيعة ليست حية ولا عالمة ولا قادرة.

٤.الثنوية[١]:

ذكر مختلف آرائهم الناتجة عن شبهة أن الشيئين المتضادّين لا يمكن أن يصدرا من أصل واحد، فقالوا بالأصلين!

وقد ردّ عليهم بدليل التمانع الذي يستحيل معه وجود إلهين.

٥.الفلاسفة وتابعوهم[٢]:

فبيّن آفتهم وهي: الاعتماد على العقول، ودعوى الاستغناء عن الأنبياء. ثم فَصَّل القول في مختلف آرائهم ودخل معهم في مناقشات، وردّ على أكثر ما أورده من مقالاتهم، وأعرض عن بعضها لتهافتها في نفسها.

وممن ردّ عليهم ابن الجوزي في هذا الباب، أتباع الفلاسفة ممن انتسب إلى الإسلام لكن رفض شرعه، وأهمل الصلاة، ولابس المحظورات، حتى صار اليهود والنصارى أعذر منهم؛ لأنهم متمسكون بشرائع دلت عليها معجزات، وصار المبتدعة في الدين أعذر منهم لأنهم يدّعون النظر في الأدلّة؛ أما أولئك المتفلسفة فلا مستند لكفرهم إلا اغترارهم بحكمة الفلاسفة.

وختم كلامه بذكر ما آل إليه حال أولئك المتفلسفة من تحيّر وتخبط وشكّ.

---

(١) انظر: القسم المحقق (ص٣١٠-٣١٥).

(٢) انظر: القسم المحقق (ص٣١٦-٣٣٩).

٦. البراهمة[١]:

ركّز على ذكر شبهاتهم في إنكار النبوات، فعرضها شبهة شبهة، وردّ عليها جميعاً بالمنقول والمعقول.

٧. اليهود والنصارى[٢]:

عدّد بعض فرقهم مع ذكر آراء كلٍّ منها، وكان ـــ على عادته ـــ يناقشهم ويردّ عليهم. وتكلّم في خصائص الأنبياء ودلائل نبوتهم، بما يهدم مزاعم اليهود والنصارى وافتراءهم على الأنبياء.

المطلب الثاني: الفرق المنتسبة للإسلام وليست منه:

١. الباطنية[٣]:

تكلّم ابن الجوزي ـــ رحمه الله ـــ عن هذه الطائفة الخبيثة بإسهاب كبير، وبيّن بعض أسرارها، وكشف حقيقة مذهبهم، وأنهم قومٌ تستّروا بالإسلام ومالوا إلى الرّفض، كما بيّن إلحادهم، وأن محصول قولهم هو: تعطيل الباري تعالى، وإبطال النبوات والعبادات، وإنكار البعث.

وقد ذكر مختلف أسمائهم وألقابهم التي تلقبوا بها حتى يكشف أمرهم ويهتك أستارهم؛ كما فضح أساليبهم في الدعوة إلى مذهبهم.

---

(١) انظر: القسم المحقق (ص٤١٠-٤٢٨).

(٢) انظر: القسم المحقق (ص٤٢٨- ٤٤٩).

(٣) انظر: القسم المحقق (ص٦٢٢-٦٥٩)؛ والمنتظم (١٢/ وما بعدها)؛ والوفا بأحوال المصطفى (١/٣٥٠).

٣.الملحدون والزنادقة[١]:

وقد ركّز في هذا على ابن الراوندي[٢] وتطاوله على كتاب الله تعالى، وردّ عليه وسفّه رأيه بكلامه وكلام شيخه ابن عقيل.

كما تصدّى لزندقة أبي العلاء المعرّي وفضحه، وبيّن زندقته وكفره بالبعث وتنقّصه من الأنبياء.

المطلب الثالث : الفِرق الإسلامية:

١.الخوارج[٣]:

فقد كانوا من أكثر الفرق التي اهتم ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ ببيان فساد منهجهم في الاستدلال والاعتقاد، كما أكثر من ذكر أخبارهم.

كما بين أصل ضلالهم وهو: ردّهم للسُّنة وارتضاؤهم برأيهم. كما فعل ذو الخويصرة. ثم أشار ــ رحمه الله ــ إلى المنهج الصحيح بقوله: (لو أن هذا الرجل ــ أي ذو الخويصرة ــ وُفّق لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ)[٤].

٢.الرافضة[٥]:

يرى ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ أن مذهب الرافضة يقوم على الطعن في أصل

---

(١) انظر: القسم المحقق (ص٥٤٤-٥٨٨)؛ والمنتظم (٢٩/٨)، (١٠٨/١٣ وما بعدها)، (٢٣/١٦ وما بعدها).

(٢) ستأتي ترجمته في الصفحة (٤٢٠) من القسم المحقق.

(٣) انظر: القسم المحقق (ص٥٤٠-٥٨٣)؛ والمنتظم (١٢٣/٥)، (١٦٦/٦، ١٩٣).

(٤) كشف المشكل (١١٩/٣).

(٥) انظر: القسم المحقق (ص٥٨٩-٦٢١).

الدين والنبوة، وأثبت ذلك من كلام شيخه ابن عقيل[١]، وقال عنهم: (والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسُّنة يتجاهرون بسب الصحابة، ويسرّون اعتقاد الكفر ومذهب الإباحة)[٢].

وكان ــ رحمه الله ــ في ترجمته لبعضهم يقول عنه: (كان رافضياً رديء المذهب)[٣].

ومن كلامه الدال على بغضهم ما عبّر به في مواضع من كتابه «المنتظم»، ومنها:

ــ يذكر أن في سنة (٥٦٧هـ) تُرك الدعاء للعبيديين[٤]، فقال: (وانكمد الروافض)[٥].

ــ كما يذكر ما حدث معه سنة (٥٧١هـ) فقال: (وكان الرفض في هذه الأيام قد كثر، فكتب صاحب المخزن إلى أمير المؤمنين: إن لم تقوّ يدي ابن الجوزي لم تطق على دفع البدع. فكتب أمير المؤمنين بتقوية يدي، فأخبرت الناس بذلك على المنبر وقلت: إن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد بلغه كثرة الرفض،

---

(١) انظر: القسم المحقق (ص٦٠٥).

(٢) المنتظم (١٥/١٩٥).

(٣) المنتظم (١٥/٨٦).

(٤) نسبة لعبيد الله بن محمد المهدي مؤسس الدولة العبيدية الشيعية الخبيثة، المتوفى سنة٣٢٢هـ. أول ما قامت هذه الدولة بالقيروان سنة ٢٩٦هـ، ثم انتقل مركزها إلى القاهرة، وأصبحت تعرف في تلك الفترة بالدولة الفاطمية. تعاقب عليها أربعة عشر مستخلفا، أطولهم مدة المستنصر بالله معد بن علي، حيث أقام في الحكم ستين سنة وأربعة أشهر. انظر : (السير ١٥/١٤١-٢١٥، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٤٥٠-٤٥١).

(٥) المنتظم (١٠/٢٣٧).

وقد خرج توقيعه بتقوية يدي في إزالة البدع، فمن سمعتموه من العـــوام ينتقــص الصحابة فأخبروني حتى أنقض داره وأخلّده في الحبس، وإن كان مـــن الوعـــاظ حدرته المشان[١] ؛ فانكفّ الناس)[٢] .

ـــ وذكر من حوادث سنة (٥٧٤هـــ) ما جرى لرجل رافضي من قطع لسانه بعدما عُرف بسبّ الصحابة، ثم قتله، فقال ابن الجوزي معقباً: (ثم روّع جماعة من الروافض، فجعلوا يحرقون كتباً عندهم من غير أن يطلع عليها مخافة أن يُنمّ عليهم، وخمدت جمرتهم بمرّة، وصاروا أذل من اليهود)[٣].

٣.المعتزلة:

ـــ ذكر من فضائل الخليفة القادر بالله أنه عمل كتاباً طويلاً، يتضمّن الوعـــظ وتفضيل مذهب السُّنة، والطعن على المعتزلة وإيراد الأخبار الكثيرة في ذلك عـــن النبي ﷺ والصحابة... والطعن على من يقول بخلق القرآن وتفسيقه[٤].

ـــ وذكر في حوادث سنة (٤٠٨هـــ) أن القادر بالله استتاب المعتزلة؛ فقـــال: (في سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله أمير المؤمنين فقهاء المعتزلـــة الحنفيـــة، فأظهروا الرجوع، وتبرأوا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام)[٥].

---

(١) يقال مشنه بالسوط مشناً أي ضربه به. وحدر الجلد ورم وغلظ من الضرب. فيكـــون المعنى : أضربه بالسوط حتى يتورّم جلده. انظر : القاموس المحيط (حدر)، والمعجم الوسيط (ص ٨٧٢).

(٢) المنتظم (١٠/٢٥٩).

(٣) المنتظم (١٨/٢٥١).

(٤) انظر: المنتظم (١٥/١٩٦-١٩٩).

(٥) المنتظم (١٥/١٢٥).

ـ وقال عن أبي الهذيل العلاّف[١] شيخ المعتزلة: (كان فاسقاً في باب الدين)[٢].

٤.الأشاعرة:

بعد تتبعي لتراجم بعض الأشاعرة في كتاب «المنتظم» تبيّن لي أن ابن الجوزي لا يرتضي هذا المذهب بل يعيبه، ويراه مما يشين مُعتقِدَه.

ـ ففي ترجمة أبي الحسن الأشعري[٣] قال: (تشاغل بالكلام وكان على مذهب المعتزلة زماناً طويلاً، ثم عنّ له مخالفتهم وأظهر مقالة خبطت عقائد الناس، وأوجبت الفتن المتصلة... ثم تبع قومٌ من السلاطين مذهبَه فتعصبوا له، وكثر أتباعه حتى تركت الشافعية معتقد الشافعي[٤] رضي الله عنه، ودانوا بقول الأشعري)[٥]. ـ وفي ترجمة الباقلاني[٦]، ذكر سماعه للحديث، وبعض شيوخه، ثم قال: (إلا أنه كان متكلماً على مذهب الأشعري)[٧].

---

(١) ستأتي ترجمته في الصفحة (٢٩٣) من القسم المحقق.

(٢) المنتظم (١١/٢٣٤).

(٣) انظر ترجمته في الصفحة (٥٨٧) من القسم المحقق.

(٤) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [٢٧].

(٥) درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم (ص٤٥-٤٦). وانظر : صيد الخاطر (ص٣٠٢).

(٦) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي، المعروف بابن الباقلاني، أو الباقلاني. المصري ، المالكي، إمام المتكلمين ورأس الشاعرة، صاحب التصانيف. أخذ علم النظر عن أبي عبد الله بن مجاهد الطائي، صاحب الأشعري. مات سنة ٤٠٣هـ.
ينظر : (تاريخ بغداد ٣٧٩/٥، الأنساب ٥١/٢، السير ١٩٠/١٧، شذرات الذهب ١٦٨/٣).

(٧) المنتظم (٩٦/١٥).

ـ وقال عن أبي نعيم الأصبهاني[١] والخطيب البغدادي[٢]: (كانا يتعصبان للمتكلمين والأشاعرة. وما يليق هذا بأصحاب الحديث؛ لأن الحديث جاء في ذم الكلام)[٣].

ـ وقال: (غير أن الخطيب يبهرج بعصبية باردة في ذم أصحابنا، وإذا ذكر المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم فخّم أمرهم، وذكر من فضائلهم ما يقارب الاستحالة)[٤].

ـ وقال عن القشيري[٥]: (اختلف إلى أبي بكر بن فورك فأخذ عنه الكلام، وصار رأساً في الأشاعرة)[٦].

ـ وفي ترجمة محمد بن أحمد السمناني[٧] قال: (... وكان عالماً فاضلاً سخيّاً لكنه كان يعتقد في الأصول مذهب الأشعري)[٨].

---

(١) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [١٣].

(٢) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [٤٥].

(٣) المنتظم (١٦/١٣٤).

(٤) درء اللوم والضيم في صوم يوم الغيم (ص٤٥-٤٦).وانظر: صيد الخاطر (ص٣٠٢).

(٥) ستأتي ترجمته في الصفحة (٩٥٣) من القسم المحقق.

(٦) المنتظم (١٦/١٤٨).

(٧) هو محمد بن أحمد بن محمد السمناني، أبو جعفر الحنفي، قاضي الموصل، حدّث عن علي بن عمر السكري، وأبي الحسن الدارقطني وابن حبابة وغيرهم، ولازم ابن الباقلاني. قال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقا، فاضلا حنفيا، يعتقد مذهب الأشعري، وله تصانيف. مات سنة ٤٤٤هـ.
ينظر : (تاريخ بغداد ١/٣٥٥، المنتظم ١٥/٣٣٨، السير ١٧/٦٥١).

(٨) المنتظم (١٥/٣٣٨).

٥.الصوفية:

لا شك أن ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ يُعدّ من أقدم وأشهر نُقّاد مذهب التصوف، وكتابه «تلبيس إبليس» خير شاهد على ذلك؛ إذ خصّص أكثر من نصف الكتاب لنقد هذا المذهب المبتدع، كما لم تخل بعض كتبه الأخرى من ذكر لذلك المذهب.

وقد سار في نقد هذه الطائفة على النحو التالي :

- ذكر نسبة الصوفية.
- التركيز على الفرق بين الزهد الشرعي وبين التصوف وغلوه.
- ذكر ما آل إليه التصوف من العقائد المنحرفة الإلحادية، كالقول بالحلول والاتحاد.
- نقد مسالك الصوفية في ترك كثير من الواجبات والمباحات تزهّداً، فتركوا العلم ونفّروا عنه، وتركوا الجماعات في المساجد، إذ استبدلوا المساجد بالأربطة التي كانت مرتعاً للبطالة والكسل، كما تركوا النكاح، ولبسوا المرقعات...
- نقد انحرافهم في عقيدة التوكل، إذ فهموها على أنها ترك الأسباب بالكلية.

وغير هذا كثير.

ويكفي في معرفة موقف ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ من التصوف، أنه تصدى لهذا المذهب وهو في أوج قوّته وانتشاره في بغداد خاصة.

كما انتقد أشهر المؤلفين المتصوفة وأهم مؤلفاتهم[١]؛ ومنها: اللمع للطوسي، والرسالة للقشيري، وقوت القلوب للمكي، وإحياء علوم الدين للغزالي، والحلية

---

(١) انظر: القسم المحقق (ص٩٤٧-٩٦٦).

لأبي نُعيم، والصفوة للمقدسي.

وختاماً لعلّي أكون بهذا العرض قد قدّمت صورة واضحة لمعتقد الإمام ابـــن الجوزي ــ رحمه الله ــ الذي حرص فيه على الالتزام بنصوص الكتاب والســـنة، وما وقع فيه من خطأ كما في باب صفات الله تعالى ومسألة التبرك بالقبور، فقـــد بينتُ خطأه والأسباب التي أوقعته في ذلك، كما نقلت بعض أقوال أهل العلـــم في الردّ عليه.

وفي أمثال ابن الجوزي -رحمه الله- يقول الإمام ابن القيم - رحمـــه الله - : (من يعلم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له قدم صـــالح وآثـــار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلّة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتّبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانتـــه وإمامتـــه ومنزلته في قلوب المسلمين).[1]

ويقول الإمام الذهبي - رحمه الله - : (إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه وعُلم تحرّيه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعـــه؛ يغفر زلـــله،ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي بـــه في بدعتـــه وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك).[2]

(١) إعلام الموقعين (٣/٢٨٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٩).

الفصل الثالث

التعريف بالكتاب

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف.

المبحث الثاني: مصادر المؤلف ومنهجه في الكتاب.

المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية.

المبحث الرابع: وصف النسخ الخطية.

المبحث الأول

اسم الكتاب ونسبته للمؤلف

وفيه مطالب :

المطلب الأوّل: اسم الكتاب.

اسم الكتاب أو عنوانه : هو ذلك اللفظ أو الألفاظ التي تكون على واجهة الكتاب وطرّته، ويُراد بها أن تكون علامة للكتاب تميزه عن غيره، وتنبىء عن مضمونه، ويكون من وضع المؤلف نفسه غالباً[١].

والذي يظهر من خلال تتّبع من ذكر كتابنا هذا، ومن خلال النّسخ المعتمدة في التحقيق أن اسمه هو «**تلبيس إبليس**»[٢] ، لأمور، منها:

١ــ أن المؤلّف نفسه صرّح بما ذكرناه من اسمه في مقدمته للكتاب[٣].

٢ــ أن هذا الاسم، وهو «**تلبيس إبليس**» جاء مثبتاً على طرّة النّسخ التي اعتمدتها في التحقيق[٤].

٣ــ أن غالب من ترجم لابن الجوزي ــ رحمه الله ــ اتفقوا على هذه التسمية، وفيهم من هو أعرف النّاس بالمصنّف ومؤلّفاته، كسبطه أبي المظفّر في مرآة الزمان[٥]، وتلميذه ابن الدبيثي[٦]، ....

(١) انظر: العنوان الصحيح للكتاب تعريفه وأهميته لحاتم العوني (ص ١٦ــ١٧)

(٢) جاء في بعض نسخ الكتاب المختصرة تسميته بــ « كشف تلبيس إبليس » أو « الناموس في تلبيس إبليس » ، أو « كشف الناموس » ولم أجد لهذه التسميات ذكراً في كتب ابن الجوزي، ولا من ترجم له من المتقدمين.

(٣) انظر مقدّمة المؤلّف (ص ١٢) من القسم المحقق.

(٤) سيأتي الكلام عليها عند وصف النسخ المعتمدة في التحقيق.

(٥) (٤٨٤/٨).

(٦) كما في المختصر المحتاج إليه للذهبي (٢٠٧/٢).

وغيرهما[١].

ولعل هذه التسمية وفكرة التأليف في هذا الموضوع أخذها ابن الجوزي من أبي حامد الغزالي، حيث ذكر هذا الأخير في كتابه « إحياء علوم الدين »[٢] أنه ينوي التصنيف في مكايد الشيطان كتاباً يسميه « تلبيس إبليس »، ثم ذكر في كتابه « منهاج العابدين إلى رب العالمين »[٣] أنه قد صنف هذا الكتاب فقال : (وقد صنفنا كتاباً سميناه : تلبيس إبليس).

المطلب الثاني: توثيق نسبة الكتاب للمؤلّف.

لا يتطرق أدنى شكّ أن هذا الكتاب (تلبيس إبليس) من تأليف الحافظ أبي الفرج بن الجوزي، ويدلّ على ذلك عدّة أمور، وهي:

١ـ ذكر ابن الجوزي له في مؤلفاته الأخرى، كالمنتظم[٤] ، وصيد الخاطر[٥] ، وصفة الصفوة[٦] ، وأحكام النّساء[٧] ، وكشف مشكل الصحيحين[٨] ، ومنهاج القاصدين[٩].

---

(١) وسيأتي فيما يلي ذكر جملة منها في توثيق نسبة الكتاب للمؤلّف.

(٢) (٣/٣٠)

(٣) (ص١٣٥).

(٤) (١٤/٢٨٨)، و(١٥/١٤٨).

(٥) انظر: الصفحات (١٨٠-٤٣٩-٥١٨ - ٥٢٣).

(٦) (١/١٠).

(٧) (ص ٢٩٦).

(٨) (٤/٢٧٤).

(٩) وهو مخطوط، واختصره ابن قدامة وسماه : « مختصر منهاج القاصدين »، وهو مطبوع. انظر الصفحات : (١٧، ١٨٤، ٤٧٣).

٢- ذكر ابن الجوزي عددا من مؤلفاته في كتابه « تلبيس إبليس » كـ « المنتظم »[١] و « كتاب القصاص والمذكرين »[٢] و « منهاج الوصول إلى علم الأصول »[٣] و « ذم الهوى »[٤] و « لقط المنافع »[٥] و « أخبار النساء »[٦].

٣ـ ذكر غالب من ترجم لابن الجوزي له في كتبهم، كسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان[٧]، والذهبي في السير[٨]، وابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة[٩]، والداوودي في طبقات المفسرين[١٠]، وحاجي خليفة في كشف الظنون[١١]، وغيرهم.

٥ـ النقول منه والعزو إليه مع تسميته ونسبته له، وسيأتي تفصيلها في مبحث « قيمة الكتاب العلمية » من هذه الدراسة.

٦ـ أن أسانيده التي روى بها جملة من الكتب في التلبيس، كمسند أحمد والزهد له، والصحيحين، والسنن، والحلية، وغيرها، هي نفسها أسانيده التي ذكرها

(١) انظر (ص ٦٥٩) من القسم المحقق.

(٢) انظر (ص ٧١٥) من القسم المحقق.

(٣) انظر (ص ٥٢٠) من القسم المحقق.

(٤) انظر تلبيس إبليس (ط. المنيرية) (ص ٢٧١).

(٥) انظر المصدر السابق (ص ٢٨٧).

(٦) انظر المصدر السابق (ص ٤٠٢).

(٧) (٤٨٤/٨).

(٨) (٣٦٨/٢١).

(٩) (٤١٩/١).

(١٠) (٢٧٧/١).

(١١) (٤٧١/١).

في مقدّمة كتابه الحدائق[١] وكذا في مشيخته، وهذا ابتداء من شيوخه إلى أصحاب تلك الكتب.

٧ــ منهجه في الكتاب، وأسلوبه فيه يدلّ على أنّه من تأليفه.

المطلب الثالث: موضوع الكتاب.

يدور موضوع هذا الكتاب حول تلبيس إبليس ـ لعنه الله ـ على الخلق وغرورهم به، على مختلف أنواع طبقاتهم، والتلبيس كما فسّره المؤلّف في كتابه هذا[1] هو: إظهار الباطل في صوره الحقّ. وأمّا الغرور فهو نوعُ جهلٍ يُوجبُ اعتقاد الفاسدِ صحيحاً، والرديء جيداً، وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك.

فرأى ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ كما بيّن في مقدّمة كتابه حيث قال: «فرأيت أن أحذّر من مكايده، وأدل على مصايده، فإن في تعريف الشرّ تحذيراً من الوقوع فيه»[2].

وقسّم المؤلّف كتابه إلى ثلاثة عشر باباً، جعل الأبواب الأربعة الأولى منها كمدخلٍ لموضوع التلبيس، حيث ذكر فيها الأحاديث والآثار الواردة عن السلف في الأمر بلزوم السنة والجماعة، ثم ذمّ البدع والمبتدعين، ثم التحذير من فتن إبليس ومكايده عموماً، مع بيان معنى التلبيس والغرور.

ثم ذكر في بقية الأبواب تلبيس إبليس على أصحاب العقائد والديانات من السوفسطائية، والدهرية، والطبائعيين، والثنوية، والفلاسفة، وأصحاب الهياكل، وعبّاد الأصنام، وعابدي النار والشمس والقمر، والجاهلية، وجاحدي النبوات واليهود والنصارى،والصابئة، والمجوس، والمنجمين، وجاحدي البعث، والقائلين بالتناسخ، والخوارج، والرافضة، والباطنية.

ثم ذكر في الباب السادس: تلبيس إبليس على العلماء في مختلف أنواع تخصصاتهم من محدّثين وفقهاء وقرّاء وشعراء ولغويين وقصّاص ونحوهم.

---

(١) انظر: (ص ٢٨٠) من القسم المحقّق.

(٢) (ص ٨) من القسم المحقّق.

وأفرد الباب السابع للولاة والسلاطين.

وفي الباب الثامن والتاسع ذكر تلبيس إبليس على العبّاد والزهّاد.

وأما في الباب العاشر فقد أفرده للصوفية، حيث توسّع فيه أكثر ما غيره، وكان هذا الباب أطول أبواب الكتاب، وقد أتى فيه ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ على كل ما يُؤخذ على الصوفية، **ومن أهم ما يذكر في ذلك:**

١ـ تفريق المُؤلّف بين الزهد والتصوف.

٢ـ بيّن أن التصوف كان مطية للضلال، حيث أدى إلى القول بالحلول وترك الفرائض، وأدى إلى استحلال الحرام وتحريم الحلال، وظهور مذهب الإباحة، إلى غير ذلك.

٣ـ نقد ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ مسالك الصوفية في ترك العلم والزهد فيه.

٤ـ ذكر تلبيس إبليس عليهم في بناء الأربطة واستغنائهم بها عن المساجد، وفي تجردهم من الأموال مما يدخل في باب الإسراف من ناحية، وفي باب السؤال والتضييق على الفقراء من ناحية أخرى. كما لبّس عليهم في لُبس المرقعات، والتقليل من المطاعم وفق ترتيبات أدّت ببعضهم إلى التشبة بالبهائم في أكل ورق الشجر وما إلى ذلك.

٥ـ بيّن ـ رحمه الله ـ انحراف الصوفية في عقيدة التوكل، وأنه ترك الأسباب بالكلية عندهم.

٦ـ نقد ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ بعض الكتب المؤلّفة لترويج التصوف والابتعاد عن هدي الكتاب والسنة، ومنها: الإحياء للغزالي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وطبقات الصوفية للسُّلمي.

وقد سار المؤلّف في هذا الكتاب على بيان الشبه التي يلبس بها إبليس على العباد، سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات، كما شمل ذلك التلبيس طوائف كثيرة من الناس، منهم العلماء، والقراء، والمحدّثون، والوعاظ، وأهل اللغة، والسلاطين، والعباد والزهاد، والصوفية.

وكرّ على كل صور التلبيس التي ذكرها بالتحليل والنقد، وكشف زيفها شبهةً شبهةً مستعيناً على ذلك بأدلة الكتاب والسنة.

المبحث الثاني

مصادر المؤلف ومنهجه في الكتاب

وفيه مطلبان .

اهتم الإمام ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ في هذا الكتاب اهتماماً بالغاً بالرجوع إلى المصادر الأصلية التي يرويها بسنده في الغالب، والتي يكون بعضها من مصادر الطائفة التي تناولها بالمناقشة والردّ في التلبيس، مما يضفي عليه صفة الأصالة والأمانة العلمية.

وسأذكر أولاً مصادر المؤلف في الكتاب ثم منهجه فيه.

المطلب الأول: مصادر المؤلّف في الكتاب.

لما كان ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ من الحفّاظ المشاهير، فقد جاء كتابه التلبيس في الغالب بنصوص مسندة بسلسلة من الرواة، وعلى الرغم من صعوبة الوقوف على أسماء الكتب التي روى من طريقها، وما يكتنف بعضها من غموض،إذ قليلاً ما كان يذكر المصدر الذي روى عنه؛ فإنني - ولله الحمد - استطعت من خلال المقارنة بين النّصوص التي أوردها وبين مواطن ورودها، ومن خلال البحث في تراجم رجال الإسناد، أن أعرف أغلب مصادر الكتاب الرئيسة التي اعتمدها ابن الجوزي.

وأما بالنسبة للمصادر غير المسندة فمنها ما صرّح المؤلف بأسمائها، ومنها ما صرّح بأسماء مؤلفيها، ومنها مصادر تبيّنت بعد التحقيق.

وقد قسمت مصادر المؤلّف إلى قسمين: مسندة وغير مسندة، ثم أعقبت ذلك بخلاصة لتلك المصادر مرتبة على الفنون.

وإليك الآن أسماء تلك المصادر:

أ. المصادر التي رواها بإسناده إلى مؤلِّفيها[1]:

١ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت (٢٤١ هـ) [٢-٣-٨-٩-١٠-٣٠-٣٣-٣٤-٣٥-٣٧-٦٠-٦١-٦٤-٦٦-٦٧-٦٨-٧٠-٨٩-٩٠-٩١-٩٣-٩٤-٩٧-١١٤-١٢٢-١٢٦-١٤٠-١٤٣-١٤٧-١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٧٢-٢٠٠-٢١٦-٢١٧-٢١٨-٢١٩-٢٢٠-٢٢١-٢٣٣-٢٤٠-٢٤١-٢٤٥-٢٥١-٢٧٧-٢٨٩-٣١١-٣١٢-٣١٤-٢١٧]، المجموع: (٥٤ نصّاً).

٢ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ت (٤٣٠ هـ) [١٣-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٨-٣٦-٤١-٤٦-٤٨-٤٩-٥٣-٥٧-٥٩-٧٦-٨٧-٩٩-١٠٩-١٢٠-١٢١-١٤٥-١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧١-١٧٤-١٧٥-١٨١-١٨٢-١٩٢-١٩٤-١٩٩-٢٠١-٢١٢-٢٢٤-٢٢٧-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٧-٢٦٠-٢٨٨-٢٩٠-٢٩٢-٣٠١]، المجموع: (٤٩ نصّاً).

٣ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ت (٤٦٣ هـ) [١١٠-١١٦-١٢٨-١٣٥-١٤٢-١٦٣-١٦٥-١٨٤-١٨٥-١٨٧-١٩٤-١٩٥-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢٢٤-٢٣٩-٢٥٩-٢٨٣-٢٨٤-٣٠٩-٣١٨-٣٢٥]، المجموع: (٢٨ نصّاً).

٤ـ مكائد الشيطان، لابن أبي الدنيا القرشي، ت (٢٨١ هـ) [٦٩-٧٤-

---

(١) ما بين المعقوفين إحالة على أرقام الأحاديث والآثار. ولم أعتمد في هذا السرد الترتيب الأبجدي ولا الزماني، وإنما آثرتُ ترتيبها على حسب كثرة نقل المؤلف عنها.

٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٩٥-٩٦-٩٨-١٤٩]،
المجموع: (١٦ نصّاً).

٥ــشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لهبة الله بن الحسن اللالكائي، ت (٤١٧ هــ). [١-١٢-١٤-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-١١٧-١١٨-١٢٧-١٣٠-١٣١] مجموع النّصوص (١٤ نصّاً).

٦ــالطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، ت (٢٣٠ هــ) [٥٨-١١١-١١٣-١٢٥-٢٢٣-٢٥٢-٢٦٩-٢٩٤-٣٢١-٣٢٢-٢٧٠-٢٧١-٢٧٢]،
المجموع: (١٣ نصاً).

٧ــكتاب الزّهد للإمام أحمد [٧٠-٧١-٧٢-٧٣-١٤٠] المجموع: (٥ نصوص).

٨ــكتاب الأصنام، لهشام بن محمد بن السائب الكلبي، ت (٢٠٤ هــ) [١٠٣ــ١٠٤ــ١٠٥ــ١٠٦ــ١٠٧]، المجموع: (٥ نصوص).

٩ــمصارع العشّاق، لجعفر بن أحمد السرّاج، ت (٥٠٠ هــ) [٢٩-١٧٣-٢٩٧-٢٩٨-٣٠٣]. المجموع (٥ نصوص).

١٠ــطبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السُّلمي، ت (٤١٢ هــ) [١٨٣-١٨٩-١٩٥-٢٣٨] المجموع: (٤ نصوص).

١١ــالرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن القشيري، ت (٤٦٥ هــ). [٣٠٤ــ٣٠٥ــ٣١٥ــ٣١٩]، المجموع: (٤ نصوص).

١٢ــالنّور من كلمات أبي طيفور، لأبي الفضل محمد بن علي السهلكي، ت (٤٧٦ هــ) [١٩٠-١٩١-٣٠٠-٣٠٨]، المجموع: (٤ نصوص).

١٣ــسنن الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي [١٩٣-٢٨٧-٣٠٢]. المجموع: (٣ نصوص).

١٤ــالمعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي، ت (٢٧٧ هـ) [١٢٣-١٣٨-١٣٩]. المجموع: (٣ نصوص).

١٥ــأنساب قريش، للزبير بن بكّار، ت (٢٥٦ هـ) [١٧٧-١٧٨-١٧٩]، المجموع: (٣ نصوص).

١٦ــكتاب الزهد، لهنّاد بن السري، ت (٢٤٣ هـ) [١٨٠-٢٤٦-٢٤٧]، المجموع: (٣ نصوص).

١٧ــسنن الترمذي، للترمذي، ت (٢٧٩ هـ) [١١-٦٢-٦٣]. المجموع: (٣ نصوص).

١٨ــالأدب المفرد، للبخاري، ت (٢٥٦ هـ) [٢١٧-٢٥٦].

١٩ــالمصنّف، لعبد الرزاق بن همّام الصنعاني، ت (٢١١ هـ) [٣٧-٩٣].

٢٠ــالمنتخب، لعبد بن حميد، ت (٢٤٩ هـ). [١٥٠ــ٢٩٣].

٢١ــالكامل في ضعفاء الرّجال، لعبد الله بن عدي، ت (٣٦٥ هـ). [٢٦-٢٤٨].

٢٢ــالجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي [٤٥-٢٥٩].

٢٣ــنشوار المحاضرة، للقاضي أبي علي التّنوخي، ت (٣٤٩ هـ). [١١٥-١٣٢].

٢٤ــغريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم الجُمحي، ت (١٢٤ هـ)

[٥].

٢٥ــ جزء لوين، لمحمد بن سليمان المصّيصي، المعروف بلوين، ت (٢٤٦ هـ)، [٣٠].

٢٦ــ كتاب الشّكر لابن أبي الدنيا [٢٧٦].

٢٧ــ الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي [٢٠٩].

٢٨ــ اقتضاء العلم العمل، له أيضاً [١٣٤].

٢٩ــ المصنّف، لابن أبي شيبة، ت (٢٣٥ هـ)، [١٥٢].

٣٠ــ كتاب الأمّ للشافعي، ت (٢٠٤ هـ)، [١٣٣].

٣١ــ فتيا فقيه العرب، لأبي الحسين بن فارس، ت (٣٩٥)، [١٤١].

٣٢ــ صحيح مسلم، لمسلم بن الحجّاج، ت (٢٦١ هـ). [٢٨١].

٣٣ــ التاريخ الكبير، للبخاري [٣٢٣].

٣٤ــ محن الصوفية، لأبي عبد الرحمن السُّلمي [١٨٨].

٣٥ــ أمالي أبي الحسن القزويني، ت (٤٤٢ هـ) [٣٠٧].

٣٦ــ اللمع، لأبي نصر السرّاج الطوسي، ت (٣٧٨ هـ) [٢٠٣].

٣٧ــ صفوة التصوف، لمحمد بن طاهر المقدسي، ت (٥٠٧ هـ). [٢٣٤].

٣٨ــ الحثّ على التجارة، لأبي بكر الخلاّل، ت (٣١١ هـ) [٢٢٢].

فيكون مجموع تلك النصوص التي نقلها ابن الجوزي بإسناده (٢٤٤ نصّاً)، وقد تعرّفت على أسماء الكتب المذكورة من خلال تخريجي لتلك النّصوص، حيث

وجدتها مثبتة في تلك الكتب كما نقلها ابن الجوزي ـــ رحمه الله ـــ كما أشرت إلى ذلك في مقدّمة هذا المبحث، على أن هناك عدداً ليس بالقليل من النّصوص المسندة لم أهتد إلى أسماء الكتب التي وردت فيها، فلعلها مما سمعه من شيوخه بإسناده ولا يلزم أن تكون في كتاب، وقد وقفت عليها من طرق أخرى، وبعضها لم أقف عليه أصلاً وعددها قليل، وهي[1]:

١ــ نصوص نقلها من طريق أبي عبد الله بن باكويه ت (٤٢٨ هــ)، ويغلب على الظنّ أنها من كتابه (أخبار الصوفية) و لم أقف عليه، وأرقامها: [١٣٧-١٩٦-١٩٧-١٩٨-٢٠٢-٢١٣-٢١٤-٢٢٥-٢٣١-٢٣٥-٢٣٦-٢٣٧-٢٦٢-٢٦٤-٢٩٥-٢٩٩-٣٠٦].

٢ــ نصوص نقلها من طريق البيهقي والحاكم معاً، ولعلّها من (تاريخ نيسابور) للحاكم[2]، وهو مفقود، وأرقامها: [٥١-١٧٢-٢٥٠-٢٦١-٢٨٦].

٣ــ نصوص نقلها من طريق عبد الله بن محمد البغوي، صاحب معجم الصحابة، وأرقامها: [٣١-٣٢-١٢٩].

٤ــ نصوص نقلها من طريق الدارقطني، وأرقامها [٧-٢٧٥].

٥ــ نصوص نقلها من طريق أبي بكر المرّوذي، وأرقامها: [٥٥-٣١٤].

٦ــ نصوص نقلها من طريق أبي بكر الخلاّل، وأرقامها: [٣١٢-٣١٣].

---

(١) أعني المصادر التي لم أهتد إلى أسمائها.

(٢) وقد صرّح بالنقل عنه في هذا الكتاب ، انظر (ص٢٤٢) من الطبعة المنيرية.

ب ـ المصادر التي نقل منها المؤلّف بغير إسناد، وصرّح بأسمائها[1].

١ـ كتاب المقالات، لأبي القاسم البلحي، ت (٣١٩ هـ). [ص ٢٩٦-٤٧٦-٤٩٣].

٢ـ كتاب الآراء والديانات، لأبي محمد النوبختي، ت بعد (٣٠٠ هـ). [ص ٢٨٩-٢٩٨-٣٠٠-٣٢١-٤٠٩-٤١١-٤٤٥-٤٦٣-٤٦٦-٤٩٠-٥٠٧-٥٩٤].

٣ـ كتاب المقتبس، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين، المعروف بابن الفرّاء، ت (٤٥٨ هـ)، [ص ٤٩٢].

٤ـ إحياء علوم الدين، للغزالي (ص ١٠٥٣-١٠٥٨-١٢٨٢-١٢٨٥-١٣١٦).

٥ـ المفصح بالأحوال، له أيضاً (ص ٩٦٥).

٦ـ سنن الصوفية، لأبي عبد الرحمن السُّلمي [ص ١٠٨٧].

٧ـ قوت القلوب، لأبي طالب المكي، ت (٣٨٦ هـ) [ص ١٢٨٣].

٨ـ الرياضة وأدب النّفس (ذكره بعنوان: رياضة النفوس)، للحكيم الترمذي، [ص ١٢٨٤].

٩ـ صفوة التصوف، للمقدسي [ص ١٠٤٤-١١٤١-١١٤٣-١١٤٩].

١٠ـ اللمع، لأبي نصر الطوسي السرّاج [ص ١٠٠٨-١٠٠٩-١٠١١].

---

(١) ما بين القوسيْن إحالة على أرقام الصفحات في القسم المحقق.

١١ــالصحيحان [ص ٢٧٥-٨١٣-٨١٥-٨٤٢-٨٩٥-٩٠٤].

١٢ــصحيح البخاري [ص ٨٣١].

١٣ــسنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني،[ص ٤٠-١٠٩٣-١٠٩٤].

١٤ــتاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، [ص ٣٩٥-٦٢٦].

١٥ــكتاب السنة لأبي بكر الخلاّل [ص ٩٧٨].

١٦ــأنساب قريش، للزبير بن بكّار [ص ٩٢٦].

١٧ــمسائل الإمام أحمد، لإسحاق بن إبراهيم بن هانىء، ت (٢٧٥ هــ)، [ص ١٢٥٠].

١٨ــالرسالة القشيرية، للقشيري، [من ص ٩٥٣ إلى ص ٩٦١].

ج ـ مصادر صرّح بأسماء مؤلّفيها فقط:

وهناك كتبٌ أخرى نقل منها ابن الجوزي كثيراً، لكنه لم يصرّح بأسمائها، وإنما ذكر أسماء أصحابها فقط. وقد وقفتُ منها على ما يلي :

١ــ فضائح الباطنية للغزالي (ص٦٣٩).

٢ــ المعتمد لأبي يعلى (ص ١٠٠٣).

٣ــ إصلاح غلط المحدثين للخطابي (ص٢٥٨) و(ص ٦٧٨).

٤ــ معالم السنن للخطابي (ص ٦٧٨).

٥ــ تهذيب الآثار للطبري (ص ١٠٨٩).

٦ــ النصائح للحارث المحاسبي (ص ١٠٤٣).

٧ــ غريب الحديث لابن قتيبة (ص ١١٠٧).

٨ــ المعارف لابن قتيبة (ص ٤٠٢).

٩ــ كتاب الأنواء في مواسم العرب لابن قتيبة (ص ٤٠٠).

١٠ــ كتاب الحيوان للجاحظ (ص ٣٩٦).

وأخرى لم أستطع الجزم بأسمائها لعدم وقوفي على تلك النّصوص، وهي:

١ــ نصوص نقلها عن أبي الوفاء بن عقيل، ويغلب على الظن أنها من كتابه (الفنون)[1]، وهو من أكبر مصنفاته، وقد وقع لابن الجوزي منه مائة وخمسون مجلداً[2]، وانظر الصفحات التالية من القسم المحقّق [ص ٢٩١-٤٢٠-٥٠١-٦٠٥-٦٥٠-٦٥١-٧١٣-٧٥٤-٧٨١-٨٥٧-١٠٩٥-١١٣٨-١١٧٧-١٣١٧].

٢ــ يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي، وقد ذكر ابن الجوزي في كتابنا هذا (ص ٣٢٣) أنه نقل كلامه من نسخة وقف عليها بالنظامية، وقال: إنّها كُتبت منذ مائتين وعشرين سنة، ولم أقف على ترجمة هذا الرّجل، ولا على اسم كتابه، والنّصوص التي نقلها ابن الجوزي من نسخته أغلبها في الفرق وعلم الكلام، وانظرها في الصفحات التالية من الرسالة: [ص ٣١٣-٣١٧-٣٢٢-٣٢٣-٣٤٢-٣٩٢-٤٥٨-٤٧٧].

---

(١) كتاب الفنون مفقود أكثره، ويوجد منه قطعة طبعت في مجلدين عن مخطوطة باريس الوحيدة، تحقيق جورج المقدسي، ونشرته مكتبة لينة بدمنهور، مصر، سنة ١٤١١هـ.

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد (ص ٧٠٠).

وهناك أئمة آخرون نقل عنهم، كأبي بكر بن الأنباري اللغوي[١].

د. مصادر أغفل أسماءها وأسماء مؤلفيها:

إن ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ لم يلتزم في بعض الحالات بذكر اسم المصدر الذي استقى منه مادته العلمية ولا اسم مؤلفه؛ فنجده يُغفل اسم المؤلّف وعنوان الكتاب الذي اعتمده في النقل. وبالبحث والمقارنة توصّلت إلى أن ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ اعتمد على المصادر التالية من هذا القبيل:

١ــ بيان وآثار وعلامات الاثنتين وسبعين فرقة، للبلخي. انظر: (ص ١٦٦ وما بعدها).

٢ــ الفِرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة، للعراقي. عاش في القرن السادس انظر: (ص ١٦٩ وما بعدها).

٣ــ الملل والنّحل، للشهرستاني. انظر: (ص ٣٢١، ٣٩٥، ٤٠٢).

٤ــ تهافت الفلاسفة، للغزالي. انظر: (ص ٣١٨-٣٢٠-٣٢٩).

٥ــ مروج الذهب، للمسعودي. انظر (ص ٤٠٢).

(١) انظر: (ص ٢٧٧).

المطلب الثاني : منهجه في الكتاب :

سار ابن الجوزي – رحمه الله – في هذا الكتاب على نسقٍ واحد، ومنهج مطّرد هو عرض المخالفة التي سوّلها إبليس لكل مخالف للحق، سواء كانت تلك المخالفة كفراً وإلحاداً أم بدعةً وانحرافاً؛ ثم الكرّ عليها بالردّ والنقض.

وكان سلاحه في هذا المضمار ما امتاز به من قوة الحافظة واستحضار نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف، وغزارة المصادر التي اطّلع عليها وكثرتها، إضافة إلى ما أوتي من قوة في الحِجاج العقلي.

فنجده طويل النفَس في الاستشهاد بالنصوص، حريصاً على سَوقها بأسانيده الخاصة، مستقصياً في عرض الآراء التي خالفت بها كل طائفة الكتاب والسنة، وذكر الشبهات التي عرضت لها؛ ثم نراه مستجمعاً كل قوته العلمية والعقلية في ردّ تلك المخالفات ودحض الشبهات.

وتفصيلاً في عرض منهج ابن الجوزي في كتابه « تلبيس إبليس » ، فسأذكر أهم السمات التي ميزت ذلك المنهج :

١- الغرض من كتاب « تلبيس إبليس » :

أبان المصنف – رحمه الله – عن غرضه من تأليف هذا الكتاب، وهو التحذير من فتن إبليس وكشف تلبيساته، فقال : (وقد وضعتُ هذا الكتاب محذرا من فتنه، ومخوفا من محنه، وكاشفاً عن مستوره، وفاضحاً له في خفيّ غروره).[١]

وقد وفّى المصنف – رحمه الله – بهذا الغرض في أغلب كتابه، وقد تجنّب الاستطرادات التي غالباً ما تخرج عن غرض التأليف وهدفه.

---

(١) القسم المحقق (ص ١٢).

٢- تقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول :

سلك ابن الجوزي - رحمه الله - في كتابه هذا درباً منظّماً جداً، حيث قسّم كتابه إلى أبواب، كما أدرج في كل باب مجموعة فصول تنتظم بمجموعها غالب مسائل الباب الواحد.

كما ابتدأ هذا النظم بمقدمة عامة للموضوع وهو كيد إبليس، اشتملت على ما أنعم الله به على البشر من نعمة العقل، ثم تعزيزها بنعمة الشرع التي لا يقوى إبليس معها على إضلال بني آدم.

كما اشتملت على ذكر بداية ضلال البشر، واختلافهم بسبب اتباعهم للهوى، واستجابتهم لداعي إبليس.

وهي - بهذا - مقدمة موطّئة للموضوع، ذكر بعدها عنوان الكتاب وأبوابه.[1]

٣- توضيح معاني المصطلحات :

استعمل المصنف - رحمه الله - جملة من المصطلحات في كتابه، فكان من منهجه توضيح معاني تلك المصطلحات، حتى جعل الباب الرابع من الكتاب في بيان معنى التلبيس والغرور[2]. كما عرّف السنة والبدعة في فصل كامل.[3]

كما بيّن الفروق بين بعض المصطلحات التي قد تشتبه معانيها على كثير من

(١) انظر القسم المحقق (ص ١٢-١٣).

(٢) انظر القسم المحقق (ص ٢٨١).

(٣) انظر القسم المحقق (ص ١٣٥).

الناس لشيوع تماثلها وعدم الفرق بينها في أذهانهم، والأمر في حقيقته خلاف ذلك. وقد برز ذلك جلياً في حرصه - رحمه الله - على التفرقة بين « الزهد » و«التصوف ».[١]

٤- إرشاد القارئ إلى مواضع بسط بعض المباحث :

ربط المصنف - رحمه الله - بين جزئيات المبحث الواحد من المباحث التي تطرّق إليها، فأحال القارئ على مواضع بسطها ليكتمل تصوره عن المبحث الواحد، وفي ذلك فوائد علمية جليلة. وكانت إحالاته على ضربين :

الضرب الأول : الإحالة داخل كتاب « تلبيس إبليس » نفسه، كقوله : (قد بيّنا أن القوم...)[٢] ، وقوله : (قد ذكرنا هذا الحديث في الباب الذي قبله)[٣]، وقوله : (وسيأتي في غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع)[٤] ، وقوله : (قد ذكرنا كيف لبّس عليهم في عبادة الأصنام)[٥]، وقوله : (وقد سبق ذكر شبههم وجوابها)[٦]، وقوله : (وقد زدنا هذا شرحاً في الردّ على الفلاسفة)[٧] ، وقوله : (قد أسلفنا جواب هذا)[٨]، وقوله : (كما ذكرنا في حق القراء)[٩]،

---

(١) انظر القسم المحقق (ص ٩٥٣).

(٢) انظر القسم المحقق (ص ١٤٩).

(٣) القسم المحقق (ص ١٥٧).

(٤) القسم المحقق (ص ٢٥٢).

(٥) القسم المحقق (ص٤٠٢).

(٦) القسم المحقق (ص ٤٦٣).

(٧) القسم المحقق (ص٤٧٣).

(٨) القسم المحقق (ص٥٤٢).

(٩) القسم المحقق (ص ٧١٢).

وقوله : (قد سبق ذكر جملة من تلبيس إبليس على القراء)[١]، وقوله : (وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد..) [٢] ، وقوله : (سنذكر منها ما يصلح ذكره..)[٣] ، وقوله : (وقد روينا في أول كتابنا هذا..)[٤]... وغير هذه من الإحالات.

الضرب الثاني : الإحالة على مواضع بسط بعض المباحث في مصنفاته الأخرى مثل :

- كتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول » : حيث قال : (وقد ذكرنا جمهور كلامهم في كتابنا المسمى « منهاج الوصول إلى علم الأصول ») [٥].

- كتاب « الموضوعات » : قال : . وقد ذكرتُ منها جملة في كتاب «الموضوعات »)[٦] .

- كتاب « المنتظم » أي التاريخ، قال : (وقد ذكرنا من صفة إقدامهم على القوم في « التاريخ » أحوالا عجيبة، فلم نر التطويل بها ههنا)[٧] . وقال : (وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين في « التاريخ » فلم نر التطويل بذلك)[٨] .

---

(١) القسم المحقق (ص ٨٢٣).

(٢) القسم المحقق (ص٩١٨).

(٣) القسم المحقق (ص٩٦٢).

(٤) القسم المحقق (ص٩٧٠).

(٥) القسم المحقق (ص ٥٢٠).

(٦) القسم المحقق (ص٦٠٦).

(٧) القسم المحقق (ص ٦٥٩).

(٨) القسم المحقق (ص٦٦٣).

- كتاب « القصاص والمذكرين »: حيث قال : (وقد ذكرنا آفاتهم في كتاب « القصاص والمذكرين »)[1] .

٥- الأمانة العلمية في توثيق النقول وعزوها إلى مصادرها :

حرص ابن الجوزي -رحمه الله- على نسبة الأقوال إلى قائليها، أو إلى الكتب التي نقل منها.

وأكتفي هنا بعبارة واحدة تجنباً للتكرار، ودلالة على أمانته العلمية - رحمه الله-، ففي حديثه عن آراء الرافضة الفقهية قال: (ولهم مذاهب في الفقه ابتدعوها تخالف الإجماع، فنقلتُ منها مسائل من خطّ ابن عقيل، قال : نقلتُها من كتاب المرتضى «فيما انفردت به الإمامية »)[2] .

٦- الوقوف عند المسائل المهمة مع الاختيار والترجيح :

لم يكن من منهج ابن الجوزي - رحمه الله - سرد الأقوال دون مناقشة أو اختيار أو ترجيح لما يراه صواباً، بل على العكس من ذلك فإنه كان يقف عند المسائل المهمة فيبدي رأيه ويستدرك على ما يراه محتاجاً لذلك[3] .

---

(١) القسم المحقق (ص ٧١٥).

(٢) القسم المحقق (ص٦٠٧).

(٣) انظر القسم المحقق (ص ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٩١، ٥٢٤، ٥٢٦، ٦٧٢، ٧٣١، ٩١٧، ٩٣٧، ١٠١٢).

٧- الاستشهاد بالنصوص:

كثر استشهاد المصنف - رحمه الله - بالنصوص من الكتاب والسنة وآثار الصحابة وأقوال السلف رحمة الله عليهم، حيث زاد عدد الأحاديث والآثار - المسندة وغيرها - في القسم المحقق وحده عن خمسمائة حديث وأثر.

٨- الشمول والاستيعاب:

جاء كتاب « تلبيس إبليس » شاملاً ومستوعباً لأغلب المخالفات الظاهرة والسائدة في الأمم والجماعات الخارجة عن الإسلام، أو المنتمية إليه.

وكذلك الطوائف الإسلامية وما ظهر فيها من انحراف سوّله إبليس للجميع سواء من الناحية العقدية والعلمية، أو من الناحية العملية.

فالكتاب جاء مستوعبا لأغلب صور التلبيس التي من أجلها أُلّف الكتاب.

٩- طول النفَس والصبر:

سار المصنف - رحمه الله - من أول كتابه إلى نهايته على منوال واحد من طول النفس والمداومة على عرض الآراء المخالفة للحق التي لبّس بها إبليس على الخلق؛ فلم يتعجل - رحمه الله - في ذلك، اللهم إلا إذا رأى أنه قد بسط مبحثاً معيناً في مصنف آخر له، فإنه يحيل عليه تجنباً للإطالة والتكرار.

١٠- الرد على الفرق المنحرفة:

لم يكتف المصنف -رحمه الله- بنقل أقوال الفرق وآرائها المنحرفة، كما هو الحال في كثير من كتب الفرق والمقالات، بل نجده يرد على أقوالهم، وينقض آراءهم بالكتاب والسنة والحجج العقلية، والفطرة السليمة.

١١- الاختصار :

نصّ المصنف -رحمه الله- على أنه يسلك في هذا الكتاب مسلك الاختصار، فقال في آخر الكتاب : (وينبغي أن نكفّ عنان القلم اقتصاراً على هذه النبذة، فإن هذا الأمر يطول. ولو بسطنا النبذ المذكورة فيهذا الكتاب ، أو شيدنا ردّنا على من رددنا عليه بالأحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات).[١]

١٢- طريقته في إيراد النصوص :

تنوّعت طريقة المصنف - رحمه الله - في إيراد النصوص على عدة أوجه، وبما أن الكتاب غلب عليه إيراد النصوص المسندة، فإن المصنف سلك فيه مسلك المحدّثين في إيراد النصوص بأسانيده المستقلة إلى صاحب القول، سواء كان ذلك النص حديثاً مرفوعاً، أو أثراً عن صحابي أو من دونه من الأئمة والعلماء وغيرهم، وباعتبار أن أسانيده إلى كتب في الغالب[٢] ، فإنه التزم الألفاظ المروية في تلك الكتب في أكثر نقله[٣]، لكنه قد ينقل بالمعنى خاصة في الأحاديث والآثار التي يذكرها من غير سند[٤] .

وأما النصوص الأخرى غير المسندة، فهو تارة يكشف عن اسم المؤلف والكتاب[٥]، وتارة أخرى يقتصر على اسم المصنّف فقط[٦]، وقد يقتصر على اسم

---

(١) تلبيس إبليس (ط.المنيرية) (ص٤٠٣-٤٠٤).

(٢) كمسند الإمام أحمد، وتاريخ بغداد للخطيب، والحلية لأبي نعيم.

(٣) انظر مثلاً : (رقم ١٦،١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ ...) وغيرها.

(٤) انظر مثلاً : (ص ٨٦١، ٨٦٢، ١٢٥٠، ١٢٨٧، ١٢٩٣).

(٥) انظر مثلاً : (ص ٢٨٨، ٢٩٥، ٤٨٩، ٩٢١، ٩٤٩، ٩٧٢، ١٠٣٦).

(٦) انظر مثلاً : (ص ٢٥٨، ٤٠٢، ٦٣٩، ١٠٠٣، ١٠٨٩، ١١٠٧).

القائل فقط[١].

١٣- الصناعة الحديثية في الكتاب :

ـ لم يشترط المؤلف - رحمه الله - الصحة فيما يورده من أحاديث وآثار، بل يورد الصحيح وغيره، لكن الغالب على أحاديث الكتاب الصحة أو الحسن، فالكثير منها في الصحيحين[٢]، أو أحدهما[٣]، أو في بعض الكتب الستة[٤]، أو مسند الإمام أحمد[٥]، ولم يلتزم ذكر درجة الحديث أو الأثر اعتماداً منه على الإسناد، إذ من أسند فقد أحالك.

ـ قد يتكلم المؤلف على بعض الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً[٦]، خاصة عند ردّه على بعض ادعاءات الصوفية.

ـ يشير أحياناً بعد روايته للحديث بإسناده إلى من خرّجه من الأئمة المشهورين، كأن يقول : أخرجاه في الصحيحين[٧]، أو انفرد بإخراجه البخاري[٨]،

---

(١) انظر مثلاً : (ص ٢٧٦، ٢٩٠، ٣١٣، ٣٩٥، ١٠٩٧).

(٢) انظر مثلاً : (رقم ٣٠، ٣١، ٣٥، ٦٠، ٩٣، ٩٧، ١٢٢، ١٥٥، ٢١٨).

(٣) انظر مثلاً : (رقم ٣٢، ٣٣، ٦١، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٩٠، ٢١٧).

(٤) انظر مثلاً : (٢، ٣، ٦، ١١، ٣٤، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٩٦، ١٢٠، ١٥٠، ٢١٩).

(٥) انظر مثلاً : (رقم ٨، ٩، ٣٠، ٣٣، ٣٧، ٦٠، ٦٧، ٩٠، ١١٤، ١٢٢، ١٢٦، ١٤٠، ١٦٠، ١٧٢، ٢١٩، ٢٣٣، ٣١١) وغيرها.

(٦) انظر مثلاً : (ص١٠٧٥، ١٠٨١، ١١٦٥، ١٢٩٧، ١٣١٩).

(٧) انظر مثلاً : (ص ٢٧٥، ٨١٥، ٨٣٤).

(٨) انظر مثلاً : (رقم ٣٣).

أو انفرد بإخراجه مسلم[١]، ويذكر أحياناً من خرّج الحديث من غير روايتـــه لـــه بسنده، كأن يقول : وفي الصحيحين من حديث فلان[٢]، أو في أفراد البخاري من حديث فلان[٣]، أو في أفراد مسلم من حديث فلان[٤]، أو روى أبـــو داود مـــن حديث فلان[٥]، وهكذا.

ـــ استدلاله بالأحاديث الضعيفة أحياناً[٦] .

ـــ كلامه في الرواة أحياناً جرحاً أو تعديلاً مع نقل كلام أهل العلم فيهم[٧].

ـــ وقوعه في الوهم في الإحالة أحياناً، كأن يعزو الحديث إلى البخاري -مثلاً- وليس عنده باللفظ المذكور[٨]، أو يعزوه إلى الصحيحين معاً وليس عند أحدهما[٩].

---

(١) انظر مثلاً : (رقم ٩٢).

(٢) انظر مثلاً : (ص ٩٠٠).

(٣) انظر مثلاً : (ص٨٣١).

(٤) انظر مثلا : (ص ٨٠٣).

(٥) انظر مثلاً : (ص٤٠، ١٠٩٣).

(٦) انظر مثلاً : (ص١٠١٣).

(٧) انظر مثلاً : (ص١٠٧٥، ١٠٧٧، ١٢٩٧).

(٨) انظر مثلاً : (رقم ٣٣، ٩٧).

(٩) انظر مثلاً : (رقم ٩٧).

المبحث الثالث

قيمة الكتاب العلمية

من الكتب التي صنّفها ابن الجوزي -رحمه الله- وانتفع بها خلق لا يحصون من الناس، كتاب « تلبيس إبليس ». وهذا راجع لما للكتاب من قيمة علمية، الأمر الذي سأحاول في هذا المبحث أن أجلي بعض عناصره، ثم أختمه بالحديث عن بعض السلبيات في الكتاب لا تنقص من قيمته العلمية، بل تؤكد حقيقة أن الكمال لله وحده، وأن النقص من سمات البشر التي لا تفتأ تنفك عنهم.

فمما يبرز قيمة هذا الكتاب العلمية العناصر التالية :

١ـ مؤلف الكتاب علم مشهور من علماء المسلمين، ذو اطلاع واسع على كثير من العلوم.

٢ ـ اهتمام المصنّف -رحمه الله- برواية أغلب أحاديث الكتاب وآثاره بأسانيده الخاصة.

٣ـ موضوع الكتاب من الموضوعات التي لم تُتناول بالتفصيل الذي تناوله به المصنّف -رحمه الله-، حيث إنه أتى على أغلب صور التلبيس التي يكيد بها إبليس بني آدم، حتى أضلّهم عن سواء السبيل، وصدق فيهم قول الله تعالى : ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ [سبأ : ٢٠].

٤ـ في كتاب التلبيس هتكٌ للنحل الخارجة عن الإسلام، والفرق المنتسبة إليه وليست منه، والفرق المبتدعة وردٌّ عليها.

وقد أطال المؤلف النفس في الرد على الصوفية.

لذلك فإن أهمية كتاب « تلبيس إبليس » تكمن في كونه من أقدم وأقوى المصادر التي أُفردت للتصدي للتيار الصوفي، ونقد رجالاته وكتبه ومناهجه، وهو في قوته وحظوة رجاله في عصر ابن الجوزي -رحمه الله-.

٥ـ كثرة المصادر التي رجع إليها المصنّف -رحمه الله- وأصالتها، خاصة إذا عرفنا أن بعضها مفقود، ككتاب « المقتبس » لأبي يعلى، وكتاب « المقالات » للبلخي، و« الآراء والديانات » للنوبختي، وكتاب « أخبار الحلاج » لابن باكويه، وكتاب « سنن الصوفية » لأبي عبد الرحمن السلمي؛ ولا يخفى ما للتنصيص على هذه المصادر من فوائد علمية - خاصة وقد فُقدت الآن - منها : حفظ بعض نصوص تلك الكتب، ومنها: توثيق نسبة تلك الكتب إلى مؤلفيها.

٦- كون كتاب « التلبيس » من موارد بعض الأئمة والعلماء، وكونه موضوعاً من أعمال بعض العلماء.

وبالنظر إلى اهتمام العلماء بهذا الكتاب، يمكننا تصنيف هذا الاهتمام إلى ثلاثة أقسام :

• من اقتبس من الكتاب ونصّ على ذلك:

١- الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في كتابه « إغاثة اللهفان »[(١)] وكتابه « مسألة في السماع »[(٢)] .

٢- الإمام ابن رجب الحنبلي -رحمه الله- في كتابه « ذيل طبقات الحنابلة»[(٣)].

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان (تحقيق عفيفي) (١/٢١٠-٢١١، ٢٥٢).

(٢) مسألة في السماع لابن القيم (ص١٤٣).

(٣) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (١/٤٣٣).

٣- الإمام ابن الوزير اليماني -رحمه الله- في كتابه « العواصم والقواصم »[١].

٤- جلال الدين السيوطي -رحمه الله- في كتابه « صون المنطق »[٢].

٥- الشيخ الآلوسي -رحمه الله- في كتابه « جلاء العينين في محاكمة الأحمدَيْن »[٣].

٦- الشيخ ابن بدران الحنبلي -رحمه الله- في كتابه « المدخل إلى مذهب الإمام أحمد »[٤].

ومما قاله الشيخ ابن بدران في كتابه : (وأما مناهضة أهل البدع، فأجمع كتاب رأيته لأصحابنا كتاب « تلبيس إبليس » للحافظ ابن الجوزي... وهو كتاب مجلد نافع جداً، لا يستغني عنه طالب الحق)[٥].

.من اقتبس من الكتاب دون تنصيص، ومنهم :

١- الحافظ ضياء الدين المقدسي -رحمه الله - في كتابه « اتباع السنن واجتناب البدع »[٦].

ــ جلال الدين السيوطي -رحمه الله- في كتابه « الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع »[٧].

---

(١) انظر : العواصم من القواصم (٣/٣٢٤).

(٢) انظر : صون المنطق (ص١٨٣).

(٣) انظر : جلاء العينين (ص٣٥٩).

(٤) انظر : المدخل إلى مذهب الإمام أحمد (ص ٤٥٨-٤٥٩).

(٥) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران (ص٤٥٨-٤٥٩).

(٦) انظر الصفحات : ٥٩، ٦٠، ٦١ ...وغيرها.

(٧) انظر الصفحات : ٩٥، ٩٦، ٩٧...

.من اختصر الكتاب وهذّبه :

- الحافظ ابن حجر -رحمه الله-، له كتاب « مختصر تلبيس إبليس »[١].

٧ـ ومما يبرز القيمة العلمية لكتاب « تلبيس إبليس » كونه أثار حفيظة أتباع مذهب التصوف، بما فضح من خبايا ذلك المذهب، من عقائد فاسدة، وسلوكيات منحرفة، وبدع في العبادات ما أنزل الله بها من سلطان.

فكان أن انبرى للردّ على هذا الكتاب بعض المؤلفين المتصوفة، ومنهم :

- عزالدين بن عبد السلام بن أحمد المقدسي (٦٧٨هـ)، حيث ألف رداً سمّاه : « تفليس إبليس ». ومما قال فيه : (فإني لما اطلعتُ على كتاب « تلبيس إبليس » رأيتُه بئس الجليس، قائد يشتمل على تنقيص أولياء الله والقدح في علوّ مراتبهم...)[٢].

- عبد الله بن أسعد اليافعي، انتقد كتاب « التلبيس » في كتابه « نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية »[٣].

- عبد الرحمن الثعالبي (٨٧٥هـ) فقد شكك في كتابه « رياض الصالحين وتحفة المتقين » في نسبة كتاب « التلبيس » لابن الجوزي، ثم قام بالرد على ما ورد فيه من نقد للصوفية وعلمائهم[٤].

---

(١) انظر نظم العقيان للسيوطي (ص٤٩) ، و « ابن حجر ودراسة مصنفاته » للدكتور شاكر عبد المنعم (ص٦٦٦).

ويبدو أن هذا المختصر مفقود، فقد بحثتُ عنه و لم أجده.

(٢) تفليس إبليس (تحقيق سليم الهلالي) (ص ٢٨).

(٣) انظر (ص٣٨-٤٠) من الكتاب المذكور.

(٤) انظر : مقدمة مشيخة ابن الجوزي (تحقيق محمد محفوظ) (ص ٣١- ٣٢).

- عبد الوهاب الشعراني (٩٧٣هـ) له كتاب سماه « اعتراضات ابن الجوزي على حجة الإسلام الغزالي » قال في أوله : (فهذه كلمات اعترضها ابن الجوزي على الغزالي وغيره من الصوفية في كتابه « تلبيس إبليس »)[1] .

المآخذ على الكتاب :

رغم ما لكتاب « تلبيس إبليس » من مزايا، فإنه لم يخلُ - مع ذلك - من مآخذ ونقائص.

من ذلك :

ـ وقوع مؤلفه في أخطاء عقدية، حيث خالف في تقريرها منهج السلف، وقد علّقتُ على ذلك في مواضعه من التحقيق.

وهذا مأخذ كبير على المؤلف والكتاب.

ـ شدة المصنف على أهل العلم من مختلف الفنون، وبخاصة أهل الحديث منهم، وأهل الفقه.

ـ عدم تحقيقه لبعض ما ينقل عن المصادر، ويبرز ذلك في سرده للفرق الثنتين والسبعين، حيث لم يدقق في الآراء التي نسبها لكل فرقة، وهو في ذلك مقلد

(١) انظر : نوادر المخطوطات العربية في تركيا، رمضان ششن (١/٥٦). وذكر أن كتاب الشعراني هذا يوجد نسخة منه في مكتبة ولي الدين أفندي برقم (١٦٨٤)، تقع في ثماني ورقات، كتبت سنة ١٠٨٩هـ.

للمصدر الذي نقل منه ، وهو - كما أشرتُ في القسم المحقق - كتاب البلخي في الفرق.

وعلى كل حال، فهذه المآخذ لا تنقص من قيمة الكتاب العلمية، فالكتاب - كما قال ابن بدران - نافع، ولا يستغني عنه طالب الحق..

المبحث الرابع

وصف النسخ الخطية

وفيه مطلبان .

ما إن عزمتُ على خدمة كتاب «**تلبيس إبليس**» ليكون موضوعاً لأطروحتي للدكتوراه، حتى بدأت أبحث عن نسخ الكتاب الخطّية، وذلك بتقليب الفهارس والمعاجم التي اهتمت بفهرسة الكتب العربية المخطوطة في مكتبات العالم، ومنها الفهارس الموجودة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود، وجامعة الملك سعود، ومركز الملك فيصل للبحوث، والجامعة الإسلامية بالمدينة، وجامعة أم القرى بمكة، ومكتبة الملك عبدالعزيز بالرياض، ومكتبة الملك فهد بالرياض، ومكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة، واستعنتُ ببعض الأصدقاء من طلبة العلم بكل من المغرب والهند وتركيا، وسافرت من أجل ذلك إلى سوريا، ومصر، والإمارات العربية المتحدة، والكويت.

وبعد البحث والتنقيب، حصلت على أكثر من ست وعشرين نسخة لكتاب «**تلبيس إبليس**». اخترتُ منها أربع نسخ لتكون هي المعتمدة في التحقيق، وباقي النسخ سيأتي ذكرها بعد الانتهاء من وصف النسخ المعتمدة.

المطلب الأول: النسخ المعتمدة في التحقيق:

١ــ نسخة الخزانة العامة بالرباط التابعة لوزارة الأوقاف، وإليها الإشارة بـ (الأصل).

وهي مصورة عن نسخة خطية موجودة بالخزانة العامة بالرباط التابعة لوزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، وهي نسخة كاملة ختمت بخاتم الخزانة، وفي وسط الخاتم كتب رقم النسخة وهو (٢٣٢)، وفي أوّل النّسخة وآخرها ختم آخر باسم (مكتبة الزاوية الناصرية ــ تمكروت) بجنب الختم الأوّل وبداخله رقم (٨٧٠)،

ولعلّ مخطوطات هذه الأخيرة نقلت إلى مكتبة جامع القرويين[1] ، كما نقلت مخطوطات كثيرة من جامع القرويين بفاس إلى الخزانة العامة بالرباط.

وفي أوّل سطر من ظهر الغلاف اسم مالك النسخة وهو «أحمد بن محمد بن ناصر»[2].

كما أن هذه النسخة عليها تملّكات أخرى على ظهر الغلاف، الأوّل باسم «أحمد نجل ناصر الودعي» والثاني باسم «الشيخ أبو العباس أحمد نجل ناصر النبراسي»، ولعلّ ملك هذه النسخة انتقل من المالك الأصلي وهو «أحمد بن محمد بن ناصر» إلى هؤلاء.

وعلى ظهر الغلاف أيضاً كُتبت ترجمة مختصرة لابن الجوزي منقولة من البداية والنهاية لابن كثير كما نصّ كاتبها، واسمه «محمد بن موسى بن محمد بن ناصر»

تاريخ نسخها واسم الناسخ:

جاء في آخر النسخة ما نصّه: «وكان الفراغ من نسخه في أوّل يوم من شهر ذي الحجّة سنة ثلاث عشرة وستمائة على يد العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن

---

(١) انظر : قائمة لنوادر المخطوطات العربية المعروضة في مكتبة جامع القرويين بفاس (رقم ١٢٣).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر، المتوفى سنة ١١٢٩هـ، صاحب الزاوية الناصرية ومكتبتها، التي تولى رئاستها بعد أبيه (أبي عبد الله محمد بن ناصر) وكان من علماء عصره البارزين.

انظر : دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت، للأستاذ محمد المنوني (ص ٢٣، ٢٩).

سعيد بن أحمد النّاسخ». أي بعد وفات المؤلّف بست عشرة سنة.

عدد أوراقها ومسطرتها:

وعدد أوراقها (٢٢٨ ورقة) كما جاء مكتوباً على ظهر الورقة الأولى من صورة الميكروفيلم، في كل ورقة صفحتان، ومقياس الصفحة كما يبدو من القياس (السانتيمتري) الموضوع على وجه الغلاف (٢١×١٣).

عدد الأسطر في كل صفحة (٢٣) سطراً، وقد تنقص أو تزيد قليلاً إذا تخللتها عناوين الفصول والأبواب.

وعدد الكلمات في كل سطر لا تزيد على (١٥) كلمة غالباً.

بيان موضع القسم المحقّق:

يقع الجزء الذي قمت بتحقيقه من أوّل المخطوط إلى نهاية فصل «الصوفية والجوع» من باب «تلبيس إبليس على الصوفية من جملة الزّهاد».

وعدد أوراقه (١٢٥ ورقة)، ويمثل هذا العدد نصف الكتاب تقريباً.

نوع الخطّ:

كتبت هذه النسخة بخط مغربي جميل ومقرؤ بوضوح، تكتب فيه الفاء مثلاً بنقطة واحدة من الأسفل، والقاف بنقطة واحدة من الأعلى، و لم تضبط الأحرف فيها بالشّكل، كما يظهر من خلال تصفّح النّسخة أن ناسخها متقن متحرز عن تشويه الكتاب.

كما مُيّزت عناوين الأبواب والفصول بخطٍّ كبير واضح.

وقد اعتنى الناسخ بكتابة الكلمة الأولى من وجه الصفحة الثانية بآخر الصفحة الأولى تنبيهاً على التصفيح. وهذا واضح في كل ورقة.

ملحوظات عامة على نسخة الأصل:

١ــ يوجد في نسخة الأصل سقطٌ مقداره صفحة ويقع في وسط الورقة (٢أ)، علماً بأن هذا السّقط وقع في الورقة التي كتبت بخطّ آخر مغاير للخطّ المغربي.

٢ــ جاءت بعض الورقات في نسخة الأصل بخط مغاير للخطّ المغربي الــذي كتبت به النســخة وهــي (ق١، ق٢، ق٣أ، ق ٨٧ب، ق ٨٨أ، ق ١٢١ب، ق١٢٢أ).

ويظهر أن هذه النسخة قد أثرت الرطوبة على بعض أوراقها من الأسفل، فقام بعض النّسّاخ بكتابة تلك المواطن بخط مغاير[1].

٣ــ هذه النسخة مقابلة على نسخة أخرى، يدلّ على ذلك وجود دوائــر في آخر السّطر أو الفقرات ووسطها وبداخلها نقطة هكذا ( )، وهي علامة علــى المقابلة.

٤ــ تكرار انتقال بصر ناسخ الأصل[2].

٥ــ عدم التنبيه على الضرب أحيانا[3]، مع الإشارة إلى أن طريقــة كــاتب النسخة في الضرب نظيفة، لم تتشوه النسخة بها.

٦ــ يوجد بهذه النسخة إشارات لحق، غير أن بعضها لا يظهر لوجود بعــض التآكل في النسخة، كما يوجد بها إلحاقات أخرى بخطّ مغاير.

٧ــ ابتداءً من (ق ١٠٢) كتبت عناوين صغيرة في الهوامش.

---

(١) انظر مثلاً : (ق٤، ق٥، ق٦، ق٧٧، ق٧٩، ق٨٠).

(٢) انظر مثلاً : (ق٨٠، ق١١٩أ، ق١٢٢ب).

(٣) انظر مثلاً (ق٤٦أ، ق٥١، ق ٦٠ أ).

٨ــ وقعت في هذه النسخة بعض التحريفات والتصحيفات في الألفاظ وأسماء الرواة، وقد بذلت جهدي لتصحيحها إما من النسخ الأخرى حيث تأتي سليمة من ذلك، أو من كتب التراجم والرواة، وغيرها.

٩ــ جاءت الأوراق الأولى (من ق١ - ق٧) من المخطوط غير مرتبة، فقمت بترتيبها وترقيمها وفق الترتيب الجديد الذي هي عليه الآن.

أسباب اختيار هذه النسخة أصلاً:

اتخذت هذه النسخة أصلاً مقدّماً على غيرها من النّسخ الأخرى للأسباب التالية:

١ــ أنها أقدم النّسخ من حيث التاريخ، فهي نسخة عتيقة جداً، كتبت سنة (٦١٣ هـ) كما ذكر ذلك ناسخها في آخر المخطوط، أي بعد وفاة ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ بــ (١٦ سنة).

٢ــ أنها أكمل النّسخ، خاصة وأنها قد انفردت بجملة من الأسانيد ليست في بقية النّسخ، فالنسخة الأحمدية مثلاً (أ) جاءت أوراقها الأولى مأكولة الجوانب، واضطربت كثيراً في باب الأصنام تقديما وتأخيراً كما سيأتي في وصفها، أما النسخة التركية (ت) فقد اختُصرت منها جملة من الأسانيد، والنسخة التركية الثانية (ك) لا يوجد منها إلا الجزء الثاني.

هذان هما السببان القويان لاتخاذها أصلاً، ومقابلة الباقية عليها.

٢ــ نسخة المكتبة الأحمدية بحلب وإليها الإشارة بــ (أ).

وهي مصورة عن نسخة خطية موجودة بالمكتبة الأحمدية بمدينة حلب، وقد صوّرتها من مكتبة الأسد بدمشق، حيث نقلت أغلب مخطوطات المكتبات العامة

بسورية إليها، كالمكتبة الأحمدية والظاهرية وغيرهما.

وهي نسخة كاملة تقع في (٢٤٦ ورقة) تحت رقم (١٤١١٧)، وتتكون من جزئين:

الجزء الأوّل: من أوّل الكتاب إلى نهاية فصل «الصوفية والجوع»، وينتهي عند الورقة (ق ١١٩)، ويمثّل هذا الجزء القسم الذي أقوم بتحقيقه.

الجزء الثاني: يبدأ من قول المؤلّف: «ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السّماع والرّقص والوجد» عند الورقة (ق ١٢٠) إلى نهاية الكتاب.

وقد كُتب على ورقة الغلاف اسم الكتاب، وهو « تلبيس إبليس »، وعلى الورقة نفسها ختم دائري كُتب في وسطه : (من الكتب التي أوقفها السيد أحمد أفندي ظهر زاده على مدرسة الأحمدية ... سنة ١١٣٥). كما كُتب على الورقة الأولى من المخطوط (وقف المدرسة الأحمدية بمدينة حلب المحمية).

كما يوجد في آخر ورقة من المخطوط أسماء من نظر في هذا الكتاب وطالعه، مما يدلّ على أن هذه النسخة تعاقب على قرائتها والنظر فيها أكثر من واحد، ودونك أسماء هؤلاء متسلسلة:

الأوّل: حسن بن علي بن موسى بن شريك.

الثاني: أحمد بن الحاج عمر بن المرحوم الحاج موسى النجّار.

الثالث: الحاج عبد الله.

تاريخ نسخها واسم ناسخها:

جاء في آخر النسخة ما نصّه: «وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة -نفع الله تعالى بها مالكها ومن كتبها وقابلها ونظر فيها وغفر لهم ولسائر المسلمين آمين

يا رب العالمين - في بكرة نهار الأحد ثاني عشرين شهر ربيع الأول المشرف من شهور سنة، تسع وتسعين وسبعمائة...».

فتاريخ نسخها إذاً هو سنة (٧٩٩ هـ).

مسطرتها:

مقاس الصفحة فيها (٢٣ × ١٤سم).

وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٥ سطراً).

وعدد الكلمات في السطر لا تزيد على (١٢ كلمة) غالباً.

نوع الخطّ:

كتبت بخط نسخي واضح ومقرؤ، وجاءت هذه النسخة غفلاً من التشكيل كسابقتها، كما أهمل ناسخها التنقيط في بعض الكلمات غير أن أغلب الحروف في النّسخة منقوط.

ويضع الناسخ أحياناً فوق الكلمات غير المقروءة حرف «ط».

اللحق:

وهو قليل في هذه النّسخة، ويكتب بعد الانتهاء منه رمز «صحّ» في الغالب.

البياض:

وقع في هذه النسخة بياض في أسفلها من جانبي المخطوط في الأوراق الأولى منه، وعددها (١١ ورقة)، والظاهر أنه من عمل الأرضة أو الرطوبة التي أتت على جوانبه.

التصفيح والتعقيب:

لا تختلف النسخة الأحمدية عن الأصل في هذا الجانب، حيث يكتب فيها الكلمة الأولى من الوجه الثاني في آخر الوجه الأول دلالة على تعقيب الصفحات.

المقابلات:

يوجد بهذه النسخة دوائر منقوطة في وسطها نقطة هكذا ( ). مما يدلّ على أنها مقابلة مع نسخة أخرى.

بعض الملحوظات على هذه النّسخة:

١ــ الاضطراب الشديد في باب الأصنام من هذه النسخة، حيث وقع فيه تقديم وتأخير[1].

٢ــ وقع اضطراب أيضاً في اسم شيخ ابن الجوزي، وهو حمد بن أحمد الحدّاد راوي الحلية عن أبي نعيم، فمرّة يكتبه حمد بن أحمد، ومرّة أحمد بن أحمد.

٣ــ نسخة مكتبة متحف طوبقبي التامة، وإليها الإشارة بــ (ت).

وهي مصورة عن نسخة خطية موجودة بمكتبة متحف طوبقبي باستانبول (تركيا) تحت رقم (٥٠٦٧)، وتقع في مجلد واحد عدد أوراقه (١٨٢ ورقة) وهي نسخة كاملة، وينتهي الجزء الذي أحقّقه عند الورقة (ق ١٠٢).

وأصل هذه النسخة فيما يظهر من المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة بدليل وجود ختم المكتبة على غلاف المخطوط وبداخله، وقد كتب في وسطه: «وقف كتبخانة

---

(١) انظر (ق ٣٠، ٣١، ٣٢).

مدرسة المحمودية في المدينة المنورة» كما يوجد على غلاف المخطوط أيضاً ختم آخر كتب في وسطه «وقف محمد أمين أفندي ابن شيخ الإسلام وليّ الدين أفندي ابن الحاج مصطفى آغا الحاج حسين آغا»، وهو اسم المكتبة التي انتقلت إليها هذه النسخة، ثم ألحقت هذه المكتبة ــ كغيرها ــ بمتحف طوبقبي.

وفي أعلى غلاف المخطوط يوجد بعض التملكات:

الأول على يمين الورقة ونصّه: «من كتب أبي بكر رستم الشرواني».

والثاني في وسط الورقة ونصّه: «في كتب المدين ولي الدين عفي عنه».

والثالث على يسار الورقة ونصّه: «ابن محمد الحنبلي».

تاريخ نسخها واسم ناسخها ومكان النّسخ:

جاء في آخر النسخة ما نصّه: «وافق الفراغ من تعليقه يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الآخر سنة ثماني وعشرين وسبعمائة هجرية على يد العبد الفقير إلى الله تعالى المستغفر من ذنبه الراجي رحمة ربّه يوسف بن حسين بن أبي القاسم الفراهاني غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات بمدينة السّلام بغداد حماها الله تعالى...».

فتاريخ نسخها إذاً هو سنة (٧٢٨ هـ)، وهي أقدم من الأحمدية السابقة الذّكر، غير أني أخرتها عنها لاختصار ناسخها لجملة من أسانيد الأحاديث والآثار.

ومسطرة هذه النّسخة (١٨ × ١٢).

وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٣ سطراً).

وعدد الكلمات لا تزيد على (١٢ كلمة) غالباً.

وكتبت هذه النسخة بخط واضح ومقروء، واعتنى ناسخها بالشكل في كثير من الكلمات بخلاف النّسخ الأخرى، ويكتب أحياناً (بلـغ مقابلـة) كما في (ق١٢أ).

بعض الملحوظات على هذه النّسخة:

١ـ اختصار ناسخها لجملة من أسانيد الكتاب.

٢ـ فيها سقط قدره (٦) ورقات، وهي: (١٠ب، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦). وقد يكون هذا السّقط أيضاً بقدر سطر كما في الورقة (٢٨ ب) مثلاً.

وقد يشير الناسخ إلى السقط أحياناً كما في (ق١٢أ).

٣ـ انفردت هذه النسخة بزيادات كالدعاء في آخر الكلام والتعوّذ ونحوهما، كما يزيد صاحبها كلمات على الهامش من باب التوضيح، كالإشارة إلى باب جديد أو شرح غريب ونحوه. ويظهر أن صاحبها له علم وعناية بالكتب.

٤ـ قدم فصل " التلبيس على الدهرية " على فصل " التلبيس على السوفسطائية " كما في الورقة (١٥ أ).

٤ـ نسخة مكتبة متحف طوبقبي الناقصة، وإليها الإشارة بـ (ك):

وهي مصورة عن نسخة موجودة بمكتبة متحف طوبقبي، وهذه النسخة ناقصة، يوجد منها الجزء الثاني فقط، وعدد أوراقه (١٤٢ ورقة)، ويبدأ من قول المُصنّف: «ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث...» وينتهي عند فصل «الصوفية والجوع» (نهاية القسم المطلوب تحقيقه)، ورقمها بمكتبة طوبقبي (٥٠٦٨).

ولا يوجد على هذه النسخة سماعات أو تملكات، ولم يكتب فيها اسم النّاسخ ولا تاريخ النّسخ، وسبب ذلك أنها جزء من المخطوط.

وكتبت هذه النسخة بخط جيّد ومقروء، وهي نسخة نظيفة، خالية من الضرب والكشط والمحو، ولا يوجد بها بياض.

ومسطرتها هي (١٥ × ١٠).

وعدد الأسطر في كل صفحة (١٥ سطراً).

وعدد الكلمات في كل سطر (٨ كلمات) غالباً.

ويوجد بها دوائر منقوطة في وسطها هكذا ( ) مما يدل على أنها مقابلة مع نسخة أخرى.

ولا يوجد بها تصفيح كما هو في بقية النّسخ، كما لا يوجد بها لحق إلا في مواضع نادرة جداً، لكن اعتنى صاحبها بالشكل أكثر من بقية النّسخ الأخرى.

وأما بالنسبة للسقط في هذه النسخة فهو قليل، ففي الورقة (١١٩ أ) سقطٌ بقدر (٥) صفحات من المطبوع، وفي الورقة (١٤١ أ) سقطٌ بقدر (٥) صفحات من المطبوع.

المطلب الثاني : النسخ الأخرى :

أ- النسخ المسندة (كلياً أو جزئياً) :

١- **نسخة** من مكتبة محمد عبد الحي الكتّاني بفاس (مصورة من معهد المخطوطات بالقاهرة)، وهي نسخة مسندة، لكنها ناقصة، سقط منها (٢١)

صفحة من البداية، وأكثر من (٤٠) صفحة في النهاية مقارنةً بالطبعة المنيرية، كما سقط منها بعض الصفحات في الداخل، ولا يوجد عليها تاريخ نسخها.

كما أن فيها بعض الصفحات غير مقروءة بسبب ما أصابها من رطوبة.

٢- **نسخة** المكتبة الظاهرية بدمشق، تقع في (١٤٧) ورقة، بعضها مسند. وهي برقم (٧٠٣٠).

٣- **نسخة** مكتبة خُدا بخش (بتنا) بالهند، تقع في (١٥١) ورقة، بعضها مسند. وهي برقم (١١٥٠).

٤- **نسخة** مكتبة (بوهار) بالهند، تقع في (٤٦٨) صفحة، نُسخت عام ١٢٩٤هـ، بعضها مسند.

٥- **نسخة** المكتبة المحمودية، وهي بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة، تقع في (٢٢٥) ورقة، مقدار نصف الكتاب تقريباً، بعضها مسند، نُسخت بخط متأخر، وهي برقم (١٣٦) تصوف، (١٧٠٢) عام.

ب – نسخ مختصرة محذوفة الأسانيد :

٦- **نسخة** المكتبة الآصفية، تقع في (٣٧٥) صفحة، نسخت سنة ٩٩٤هـ، وهي برقم (٢٩٩٤).

٧- **نسخة** أخرى من المكتبة الآصفية، تقع في (٢٨٩) صفحة، نسخت سنة ٧٣٤هـ، وهي برقم (١٦٦٨١).

ــ دار الكتب المصرية وفيها سبع نسخ :

٨- **النسخة** الأولى : تقع في (٧٧) ورقة، نسخت عام ٨٧٣هـ، وهي برقم

(٣٢٥١/تصوف).

٩- **النسخة** الثانية : تقع في (٩١) ورقة، نسخت عام ١١١٤هـ، وهي برقم (١٣٩٦/تصوف).

١٠- **النسخة** الثالثة : تقع في (١٤٨) ورقة، وهي برقم (٤٠٦/مباحث إسلامية، طلعت).

١١- **النسخة** الرابعة : تقع في (١٣٩) ورقة، نسخت عام ١١٢١هـ، وهي برقم (تصوف تيمور).

١٢- **النسخة** الخامسة : تقع في (١٤١) ورقة، نسخت عام ١١٧٤هـ، وهي برقم (٤١٤٢/تصوف).

١٣- **النسخة** السادسة: تقع (٤١١) صفحة، وهي برقم (١٦٢/تصوف تيمور).

١٤- **النسخة** السابعة : تقع في (١٦٤) ورقة، وهي برقم (٣٥٧/ مباحث إسلامية طلعت).

١٥- **نسخة** بلدية الإسكندرية، برقم (٣٦٠٤٠/ج)، وهي بعنوان (كشف ناموس تلبيس إبليس).

١٦- **نسخة** جامعة الإسكندرية : تقع في (١٤٨) ورقة، نسخت عام ١١٢٥هـ، وهي برقم (١١٦/جعفر ولي).

١٧- **نسخة** مؤسسة الملك فيصل بالرياض: تقع في (٨٦) ورقة، نسخت عام ١١١٤هـ، وهي برقم (١٠٨/٢ف).

١٨- **نسخة** محمد عبد الحي الكتاني بفاس في الخزانة العامة بالرباط، تقع في (١٥٠) ورقة، نسخت عام ١١١٣هـ، وهي برقم (٤٩٨٣ك).

١٩- **نسخة** آيا صوفيا بتركيا (هي الآن ضمن مكتبة السليمانية)، تقع في (١٨٩) ورقة، وهي برقم (١٧٣٩).

٢٠- **نسخة** مكتبة أسعد أفندي بإستانبول (هي الآن ضمن مكتبة السليمانية)، تقع في (١٩٠) ورقة، برقم (١٦٤١) ، وهي بعنوان (كشف الناموس)، ونسخت عام ١٠٨٣هـ.

٢١- **نسخة** مكتبة شهيد علي بتركيا(هي الآن ضمن مكتبة السليمانية)، نسخت عام ١١١٥هـ، وهي برقم (١٤٧٤).

٢٢- **نسخة** رئيس الكُتّاب بتركيا(هي الآن ضمن مكتبة السليمانية)، تقع في (٨٨) ورقة، نسخت عام ١١١٢هـ، وهي برقم (٥٨٦).

طبعات الكتاب :

طُبع كتاب « تلبيس إبليس » عدة طبعات، وكانت أول طبعة له في الهند سنة ١٣٢٣هـ، وقد طبع آنذاك على الحجر.

ثم طبع بالمطبعة المنيرية، لصاحبها محمد منير الدمشقي - رحمه الله - سنة ١٣٤٠هـ، وسنة ١٣٤٧هـ. وقد ذكر في تلك الطبعة أنه اعتمد على نسختين خطيتين، الأولى منهما كان نسخها سنة ١١٣٥هـ، والثانية سنة ١٠٩٤هـ.

ثم طبعه طبعة ثالثة سنة ١٣٦٨هـ، وذكر فيها أنه حصل على نسخة خطية ثالثة، لم يذكر تاريخ نسخها، وهذه الطبعة هي التي اعتمدها جميع من طبع الكتاب بعد ذلك؛ عدا طبعة محمد علي أبي العباس[1]، فقد اعتمد في طبعته على نسختين خطيتين مختصرتين للكتاب من دار الكتب المصرية.

وأما الطبعة التي حققها د. السيد الجميلي[2]، فقد ذكر أنه اعتمد على نسختين خطيتين للكتاب، الأولى برقم (٣٢٥١/تصوف)، من دار الكتب المصرية، والثانية برقم (٤٠٦/مباحث إسلامية طلعت).

وفي الواقع وبعد المقارنة، تبين لي أنه لم يرجع إلى هاتين النسختين، بل لعله لم يقف عليهما أصلاً، وذلك أن هاتين النسختين المشار إليهما محذوفتا الأسانيد في حين أن طبعته جاءت متضمنة للأسانيد! والخلاصة هي أن طبعته نسخة عن الطبعة المنيرية.

وهذا الكلام نفسه يقال عن صاحب طبعة دار الكتب العلمية، حيث وضع في بداية الكتاب صورة من نسخة آيا صوفيا(برقم ١٧٢٩)، وهي نسخة مختصرة الأسانيد أيضاً، وطبعته جاءت مسندة، مما يجعلنا نشك في رجوعه إلى تلك النسخة الخطية التي أشار إليها.

ويبقى الفضل – بعد الله تعالى – في السبق إلى نشر هذا الكتاب إلى الأستاذ محمد منير الدمشقي ، غير أنه وقع في طبعته ما يقع في الكتب المنشورة عن نسخ متأخرة، أو غير متقنة، بسبب السقط والتحريف التي يصاحبها.

---

(١) نشرتها مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

(٢) نشرتها دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤١٢هـ.

وبمقارنة سريعة لهذه الطبعة مع النسخة المغربية التي اعتمدتها كأصل، والنسخة الأحمدية التي رمزتُ لها بحرف (أ)، وجدت أن الطبعة المنيرية قد سقط منها - في القسم الذي قمتُ بتحقيقه فقط- تسعون سنداً، كما وقع فيها سقط وتحريف في غير الأسانيد مقدار مائة عبارة. أما الأخطاء المطبعية فهي كثيرة.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا، أن أحد المحققين وهو يحي بن خالد بن توفيق قام بتخريج أحاديث الكتاب المرفوعة، وسماه « النفيس في تخريج أحاديث تلبيس إبليس »[1] .

إلا أنه لم يخرج الآثار الواردة في الكتاب، وهي أكثر من الأحاديث المرفوعة، وكذا فإنه لم يستوعب تخريج الأحاديث حيث فاته بعضها، أو أنه لم يقف على تخريجها، أو هي موجودة في بعض الكتب الستة أو مسند الإمام أحمد و لم يعزُ إليها... إلى غير ذلك من الملحوظات التي لا تخل بالجهد الذي قام به لخدمة هذا الكتاب النفيس.

---

(١) نشرته مكتبة التربية الإسلامية للتحقيق والتراث، الجيزة، مصر، ط١، ١٤١٤هـ.

الفصل الرابع

دراسة لأهمّ موضوعات الكتاب

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وجوب لزوم السُّنة واجتناب البدعة

المبحث الثاني: نقد التصوف والمتصوفة

المبحث الأول

وجوب لزوم السُّنة واجتناب البدعة

وفيه مطالب :

المطلب الأول: تعريف السنة والبدعة:

السُّنة لغة: هي الطريقة؛ لأنها مأخوذة من السَّنَن وهو الطريق[١]. والسُّـــنة في الاصطلاح، لها عدة إطلاقات:

١ــ ففي اصطلاح المحدثين هي: «ما جاء عن النَّبي صلى الله عليه وسلم مـــن أقواله وأفعاله وتقريره، وما هَمَّ بفعله»[٢].

٢ــ وفي اصطلاح علماء أصول الفقه هي: «ما جاء منقولاً عن النبي صلى الله ليه وسلم على الخصوص، مما لم يُنص عليه في الكتاب العزيز، بل إنما نصَّ عليه من جهته عليه الصلاة والسَّلام، كان بياناً لما في الكتاب أو لا»[٣].

٣ــ وفي اصطلاح الفقهاء هي: «ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وســـلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب»[٤]. فتكون بمعنى المندوب.

٤ــ وتطلق أيضاً في مقابل «البدعة» وهذا الذي يهمّنا كثيراً في هذا المبحث، فيقال: (فلان على السُّنة: إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي صلـــى الله عليــه وسلم، كان ذلك مما نصّ عليه الكتاب أو لا. ويقال: فلان على بدعة: إذا عمـــل على خلاف ذلك...

ويطلق أيضاً لفظ السُّنة على ما عمل عليه الصحابة، وُجد ذلك في الكتـــاب والسُّنة أو لم يوجد؛ لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تُنقل إلينـــا، أو اجتهـــاداً

---

(١) انظر: اللسان (سنن).

(٢) وهذا تعريف الحافظ ابن حجر. انظر: فتح الباري (١٣/٢٥٤).

(٣) الموافقات للشاطبي (٤/٢٩٠).

(٤) إرشاد الفحول للشوكاني (ص ٣١).

مجتمعاً عليه منهم أو من خلفائهم)[١].

فلزوم السُّنة هو اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ؛ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٢].

أما البدعة في اللغة، فمن معانيها أنها (ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال)[٣].

أما في الاصطلاح فمن أجمع ما عُرّفت به قول الشاطبي -رحمه الله- : (البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية)[٤]، ومنها ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (أن البدعة هي: الدين الذي لم يأمر الله به ورسوله، فمن دان ديناً لم يأمر الله ورسوله به فهو مبتدع بذلك، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى: ٢١][٥].

وقال أيضاً: (فإن البدعة ما لم يشرعه الله من الدين، فكل من دان بشيء لم يشرعه الله فذاك بدعة، وإن كان متأولاً فيه)[٦].

---

(١) الموافقات للشاطبي (٤/٢٩٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٥٧).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٠٩).

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/٣٧) .

(٥) الاستقامة (١/٥).

(٦) الاستقامة (١/٤٢).

المطلب الثاني : الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب لزوم السنة واجتناب البدعة :

وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسُّنة على وجوب لزوم السُّنة واتّباعها، وعلى مفارقة البدع واجتنابها؛ لما في ذلك من تحقيق للسعادة الدنيوية والأخروية، لأن السُّنة النبوية هي الدين، وهي الشرع، وهي حبل الله المتين.

قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]،وقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ [الأحزاب :٢١]، وقال: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣]، وقال: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونُصْلِه جهنّم وساءت مصيرا﴾ [النساء: ١١٥].

وفي حديث العرباض بن سارية[١] أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنه من يعش منكم بعدي سيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[٢].

وعن عائشة[٣] رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)[٤] .

---

(١) ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٣٤].

(٢) رواه أحمد (١٢٦/٤، ١٢٧). وانظر الصفحة (٩٠) من القسم المحقق.

(٣) ستأتي ترجمتها عند الحديث رقم [٣٠].

(٤) انظر تخريجه في الصفحة (٨٥) من القسم المحقق.

وعن عبد الله بن عمرو[١] رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رغب عن سنتي فليس مني)[٢]

كما وردت آثار في ذلك كثيرة، منها:

ما يُروى عن معاذ بن جبل[٣] ـ رضي الله عنه ـ أنّه كان يقول في كل مجلس يجلسه: (هلك المرتابون، إن من ورائكم فِتناً يكثر فيها المال، ويُفتح فيها القرآن حتى يأخذه الرّجل والمرأة، والحرّ والعبد، والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان فيقول: ما بال الناس لا يتّبعوني، قد قرأتُ القرآن، فيقول: ما هم بمتّبعي حتى أبتدع لهم غيره؛ فإياكم وما ابتدع، فإنّ ما ابتُدِعَ ضلالة)[٤].

وعن أبيّ بن كعب[٥] أنه قال: (عليكم بالسبيل والسُّنة، فإنّه ما على الأرض عبدٌ على السبيل والسُّنة وذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله عزّ وجلّ فيعذبه...)[٦].

(١) ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [١١].

(٢) انظر تخريجه في الصفحة (٨٨) من القسم المحقق.

(٣) ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٩].

(٤) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة (١٧/٥ برقم ٤٦١١)، والحاكم (٤٦٦/٠٤)، واللالكائي في أصول السنة (٨٩/١برقم ١١٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢٣٣/١)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (ص٤٤٤). قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٥) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [١٣].

(٦) انظر تخريج هذا الأثر برقم [١٣].

وعن عثمان الأزدي[١] قال : (دخلتُ على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له: أوصني. فقال : عليك بتقوى الله، والاستقامة : اتبع ولا تبتدع)[٢] .

المطلب الثالث : البدعة الفعلية والبدعة التركية :

وكما تكون البدعة - بمفهومها المتقدم - بالفعل، تكون كذلك بالترك إذا كان الترك تديّناً؛ ويتضمن هذا الترك ما هو جائز شرعاً.

ومن أمثلة الترك البدعي:

ما أخرجه الشيخان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني اصلي الليل أبداً. وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال الآخر: أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا، اما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني ».[٣]

---

(١) من التابعين، يروي عن أنس بن مالك وجابر بن عبدالله. قال أبو زرعة: يمانيّ،حميري ثقة. انظر : (تهذيب الكمال ٣٤٩/١٩ ، والتقريب ص٣٨٢).

(٢) أخرجه الدارمي (٤٢/١ برقم ١٤١).

(٣) رواه البخاري في النكاح، باب الترغيب في النكاح (١٠٤/٩ برقم ٥٠٦٣) ، ومسلم في النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٠٢٠/٢برقم ١٤٠١).

وما رواه الترمذي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء، وأخذتني شهوتي ، فحرمتُ علي اللحم. فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً..﴾ [المائدة : ٨٦-٨٧]. [١]

ومن ذلك أيضاً ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه؛ فقالوا: أبو إسرائيل[٢] نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مُرْه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتمّ صومه ». [٣]

فهؤلاء قصدوا التديّن بترك المباحات من النوم والنساء وأكل اللحم، خلافاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهذه الأحاديث وأمثالها تبيّن أن سنته صلى الله عليه وسلم التي هي الاقتصاد في العبادةوفي ترك الشهوات، خيرٌ من رهبانية النصارى التي هي ترك عامة الشهوات من النكاح وغيره، والغلو في العبادات صوماً وصلاةً. وقد خالف سنته هذه بعض العبّاد والفقهاء جهلاً وتأويلاً. [٤]

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، باب من سورة المائدة (٥/٢٣٨برقم ٣٠٥٤) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) قال الحافظ في الفتح (١١/٥٩٠) : أبو إسرائيل المذكور لا يشاركه أحد في كنيته من الصحابة، واختلف في اسمه...وهو قرشي ثم عامري. وانظر : الإصابة (١١/١٢).

(٣) رواه البخاري في الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وهو معصية (١١/٥٨٦برقم ٦٧٠٤).

(٤) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٩٠)، ومجموع الفتاوى (١١/٦١٤).

المطلب الرابع: خطورة البدعة:

تختلف البدعة عن مطلق المعاصي الأخرى من جهة ما يقترن بكلٍّ منها، ومن ذلك:

١- أن العاصي لا يعتقد أنّه بمعصيته يرضي الله تعالى، بخلاف **المبتدع فإنه يعتقد في عمله المحدث أنه إنما يفعله تقرُّباً إلى الله تعالى.**

ومن هنا تنجم خطورة البدعة، وهذا ما يفسر قول من قال من السلف: « إن البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية ».[١]

فالمبتدع لما كان يرجو من بدعته القرب من الله تعالى والتعبد له بها، فإنه لا ينفكّ عن ملازمة عمله ذاك، فضلاً عن أنه يشعر بوجوب التوبة منه. بل يعتقد في في غيره ممن لا يفعل تلك البدعة، أو من ينهى عن فعلها، أنه على ضلال؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (من اعتقد البدع التي ليست واجبة ولا مستحبة، قربة وطاعةً وطريقاً إلى الله وجعلها من تمام الدين، ومما يؤمر به التائب والزاهد والعابد؛ فهو ضالّ خارج عن سبيل الرحمن، متبع لخطوات الشيطان).[٢]

ولهذا السبب تشيعُ البدعة في الناس وتنتشر حتى ينشأ عليها الصغير، ويموت عليها الكبير.

ومما يدل على هذا المعنى كذلك من قول السلف، ما ذُكر عن أبي بكر بن عياش[٣] أنه قال: « كان عندنا فتى يقاتل ويشرب... وذكر أشياء من الفسق. ثم

---

(١) هذا من قول سفيان الثوري -رحمه الله- وسيأتي ذكر المصنف له في القسم المحقق (ص١١٠) فانظر تخريجه هناك.

(٢) مجموع الفتاوى (٢١/١١٨-١١٩).

(٣) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [٤].

إنه تقرّأ فدخل في التشيّع، فسمعت حبيب بن أبي ثابت[١] وهو يقول: لأنت يوم كنت تقاتل وتفعل ما تفعل خيرٌ منك اليوم ».[٢]

ومما ذكره العلماء في عدم توبة المبتدع وعلته ما قاله الإمام الشاطبي في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه »[٣] : (يريد أن كل من دخل من أمته في هوى من تلك الأهواء، ورآها وذهب إليها، فإن هواه يجري فيه مجرى الكَلَب بصاحبه فلا يرجع أبداً عن هواه، ولا يتوب من بدعته).[٤]

٢- **اعتقاد الفضيلة لذلك العمل البدعي**، ولا فضل له في الشرع على الحقيقة؛ فهذا الاعتقاد ضلال في حدّ ذاته، لأنه يجرّ إلى محذور عظيم يمسّ عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصة في تبليغ الرسالة، كما يمس الهدى الذي كان عليه أصحابه رضوان الله عليهم.

يتبيّن هذا بما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله : (لأن ذلك الفضل إن لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه ولا التابعون، ولا سائر

---

(١) ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٢٤١].

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص٧٧برقم ٨٩).

(٣) أخرجه أبو داود في السنة (٥/٥-٦برقم ٤٥٩٧)، وأحمد (١٠٢/٤)، وابن أبي عاصم في السنة (ص٧ برقم ١)، والطبراني في الكبير (٣٧٦/١٩-٣٧٧ برقم ٨٨٤)، والحاكم (١٢٨/١)، واللالكائي في أصول السنة (١١٣/٢ برقم ١٥٠)، وغيرهم من حديث معاوية بن أبي سفيان، مطولا ومختصراً، ونقل الألباني -رحمه الله - في الصحيحة (٣٥٩/١) تصحيحه عن بعض الأئمة.

(٤) الاعتصام للشاطبي (٢٧٠/٢). وانظر (٢٨٠/٢-٢٨١) من المصدر نفسه.

الأئمة، امتنع أن نعلم نحن من الدين الذي يقرب إلى الله ما لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعون، وسائر الأئمة.

وإن علموه، امتنع - مع توفر دواعيهم إلى العمل الصالح، وتعليم الخلق والنصيحة لهم - أن لا يُعلموا أحداً بهذا الفضل، ولا يسارع إليه واحد منهم.

فإذا كان هذا الفضل المدعى مستلزماً لعدم علم الرسول وخير القرون ببعض دين الله، أو لكتمانهم وتركهم ما تقتضي شريعتهم وعاداتهم ألاّ يكتموه، ولا يتركوه. وكل واحد من اللازمين منتفٍ، إما بالشرع وإما بالعادة مع الشرع، عُلم انتفاء الملزوم وهو الفضل المدّعى).[1]

٣- **تعظيم ذلك العمل البدعي وإجلاله:** فمن المحاذير الخطيرة كذلك الناتجة عن ذلك الاعتقاد، ما ينطوي عليه من منازعة للرسل عامة وما جاؤوا به من عند الله من الاعتقادات الصحيحة الواجبة.

كما أن ذلك الاعتقاد قد يتبعه أحوال في القلب كالتعظيم والإجلال لذلك العمل المبتدع، وهذه أحوال باطلة ليست من دين الله تعالى، (ولو فُرض ان الرجل قد يقول: أنا لا أعتقد الفضل، فلا يمكنه مع التعبد أن يزيل الحال الذي في قلبه، من التعظيم والإجلال.

والتعظيم والإجلال لا ينشأ إلا بشعور من جنس الاعتقاد، ولو أنه وهم أو ظنّ أن هذا أمر ضروري، فإن النفس لو خلت عن الشعور بفضل الشيء امتنع مع ذلك أن تعظمه... فهو من حيث اعتقاده أنه بدعة، يقتضي منه ذلك عدم تعظيمه. ومن حيث شعوره بما روي فيه، أو بفعل الناس له، أو بأن فلاناً وفلاناً فعلوه، أو بما يظهر له فيه من المنفعة يقوم بقلبه عظمته.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٦١٠-٦١١).

فعلمتَ أن فعل هذه البدع يناقض الاعتقادات الواجبة، وينازع الرسل ما جاؤوا به عن الله، وأنها تورث القلب نفاقاً، ولو كان نفاقاً خفيفاً).(١)

المطلب الخامس: قاعدة «كل بدعة ضلالة»:

بالإضافة إلى ما سبق من أن البدع تنشأ من الزيادة في التعبد على غير هدي السنة، ومن اعتقاد الفضل في بعض الأعمال - ولا فضل فيها شرعاً - فإن مما يدفع إلى نشوء البدع، كذلك، هو الذهول عن قاعدة عظيمة حددتها السُّنة بحيث لا زيادة بعد ذلك عليها، ألا وهي أن " **كل بدعة ضلالة** " كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم.(٢)

قال الإمام ابن رجب: (فقوله صلى الله عليه وسلم « كل بدعة ضلالة » من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين..........

فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة. والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة).(٣)

فهذه القاعدة الجليلة تُبطل الاعتقاد الفاسد الشائع والسائد بين كثير من الناس ممن يحسّنون البدع، أن من البدع ما هو حسن، ومنها ما هو سيء. بل البدع كلها مذمومة لم يقع فيها استثناء من الشرع، فكل من استثنى في هذه المسألة فليس معه

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٦١١).

(٢) في كتاب الجمعة من صحيحه، باب تخفيف الصلاة والخطبة (١/ ٥٩٢ برقم ٨٦٧).

(٣) جامع العلوم والحكم (ص٢٥٢). وانظر: اللمع في الحوادث والبدع لإدريس التركماني (١/ ١٦ وما بعدها).

دليل صحيح، بل قوله مناقض للأدلة الشرعية الواردة في ذم عموم البدع.فوجب المصير إلى الإطلاق والعموم اللذين وردت بهما تلك القاعدة العظيمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن المحافظة على عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كل بدعة ضلالة » متعيّن، وإنه يجب العمل بعمومه. وأن من أخذ يصنّف البدع إلى حسن وقبيح، ويجعل ذلك ذريعة إلى أن لا يحتج بالبدعة على النهي فقد أخطأ).[1]

كما دلّ على هذه القاعدة إجماع السلف الصالح، من الصحابة والتابعين لهم، على ذم البدع كلها دون استثناء، حكى هذا الإجماع الإمام الشاطبي -رحمه الله- بقوله عند سوقه للأدلة على هذه القاعدة : (إجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم على ذمها كذلك، وتقبيحها والهروب عنها، وعمن اتسم بشيء منها، ولم يقع في ذلك منهم توقف ولا مثنوية. فهو - بحسب الاستقراء - إجماع ثابت، فدل على أن كل بدعة ليست بحق، بل هي من الباطل).[2]

المطلب السادس : أشهر ما استدل به المقسّمون للبدع :

أما أشهر ما استدل به المقسّمون للبدع، فهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح جماعة مع الإمام في المسجد : « نعمت البدعة هذه »[3]،

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣٧٠- ٣٧).

(٢) الاعتصام (١/١٤٢). وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢/ ٥٨٦).

(٣) انظر تخريج هذا الأثر في القسم المحقق (ص ١٤٩). وانظر في الاستدلال بهذا الأثر على تحسين البدع: إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة لعبد الله الغماري (ص ٦١ وما بعدها)، والبدعة للدكتور عزت عطية (ص ٢٠٣). وفي ردّ هذا الاستدلال: تنبيه أولي الأبصار للدكتور صالح السحيمي (ص ٢٠٢ - ٢١٥)، والرد على محسّني البدع لعبد

فقد أجاب العلماء عن هذا الاستدلال بأجوبة دامغة لا يبقى معها مستمسك لمن حاول أن يتخذ من قول عمر رضي الله عنه - وهو حق - مطية وذريعة إلى البدع الكثيرة، وليس إلى بدعة واحدة فقط، بالرغم من أن قول عمر واضح وخصّ به صلاة التراويح جماعة فقط.

فمن تلك الأجوبة :

ما ذكره ابن الجوزي - رحمه الله - في هذا الكتاب، من أن عمر رضي الله عنه جمعهم على أُبيّ لأن صلاة الجماعة مشروعة، ومتى أُسند العمل المحدث إلى أصل مشروع لم يُذم، أما إذا كان ذلك المحدث كالمتمم فهذا فيه اعتقاد نقص الشريعة، وإن كان مضاداً لها فهو أعظم.[1]

ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - [2] وسأورده على شكل أجوبة متتالية مختصراً لها دون إخلال بإذن الله:

١- أن تسمية عمر هي تسمية لغوية وليست شرعية، لأن البدعة في اللغة تعمّ كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق.

أما الشرعية فهي كل ما يدل عليه دليل شرعي، وكل ما دل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ونصّ على استحبابه ، ولم يعمل به إلا بعد موته، فإنه يصحّ تسميته بدعة في اللغة، لأنه عمل مبتدأ.

٢- أن العمل الذي دلّ عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة، ومنه صلاة

القيوم السحيباني (ص ١٥-٤٨).

(١) انظر القسم المحقق (ص ١٤٩-١٥٠).

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٥٩٢-٥٩٨) ، ومجموع الفتاوى (٢٢/٢٣٤)، و(١٠/٣٧١)، و(٢٢/٢٢٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٨٢).

التراويح، فالناس كانوا يصلون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم صلاة التراويح جماعة وفرادى، وقال لهم في الليلة الثالثة أو الرابعة لما اجتمعوا : « إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن تفرض عليكم »، فعلّل صلى الله عليه وسلم عدم الخروج بخشية الافتراض.

فلما كان عهد عمر جمعهم على قاريء واحد، وأسرج المسجد. فصارت هذه الهيئة عملاً لم يكونوا يعملونه من قبل، فسمي بدعة؛ لأنه في اللغة يسمى كذلك، ولم يكن بدعة شرعية ، لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح، لولا خوف الافتراض؛ وخوف الافتراض زال بموته صلى الله عليه وسلم فانتفى المعارض.

٣- أن فعل عمر - وهو من الخلفاء الراشدين - يعتبر سنة، بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ».[١]

ما ذكره الشاطبي -رحمه الله - بقوله : (إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفق أن لم تقع في زمن أبي بكر رضي الله عنه، لا أنها بدعة في المعنى.

فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي، وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه (أي الشرعي) لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه).[٢]

---

(١) انظر تخريج هذا الحديث في القسم المحقق (ص ٩٠). وانظر كلام الحافظ ابن رجب في الهذا المعنى نفسه في كتابه " جامع العلوم والحكم " (ص٢٥٢).

(٢) الاعتصام (١/ ١٩٥).

ومما يمكن الاستدلال به على ذم كل البدع، وأنها كلها ضلالة، هـو واقـع الحال؛ فعند النظر في بعض المحدثات التي يسميها أصحابها بدعا حسنة، ويقصدون بالإقامة عليها التقرب إلى الله تعالى، مع كونها تتهم الشرع بالنقص حيث لم يدل أو لم يأت بما استحدثوه هم من تلقاء أنفسهم بآرائهم وأهوائهم؛ فالناظر في واقع هؤلاء يجد أن تلك البدع قد جلبت على المسلمين المفاسد العظيمة، وأوقعتهـم في المفاسد الجسيمة.

كما في بدعة البناء على القبور وما تبعها مـن أنـواع الشـرك في التوسـل والاستغاثة والدعاء، وهذا من أعظم المفاسد.

وكما في بدعة المولد وما يترتب عليها من فسوق وعصيان باختلاط الرجال مع النساء والمردان، والرقص والغناء، ورواية الأحاديث والأخبار الضعيفة والموضوعة، ونحو ذلك من المفاسد.[١]

المطلب السابع : حكم البدع :

لما كانت كل بدعة ضلالة فلا شك في حرمة اقترافها وإنشائها، وأشد من ذلك الدعوة إلى فعلها، والترغيب فيها؛ غير أنه مما يجدر بنا ويتأكد ذكـره أن أخطـر البدع هو ما تعلق منها بالعقائد، ولهذا كان من البدع بدعٌ مكفرة وأخرى غـير مكفرة وإن كانت مفسقة.

والبدع الاعتقادية هي اعتقاد شيء على خلاف ما عليه النبي صلى الله عليـه وسلم وأصحابه سواء أكان مع الاعتقاد عمل أم لا .[١]

---

(١) انظر : حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي (٢/١٤٢-١٤٣).

(١) انظر : الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ (ص ٥٤).

ومن أمثلة البدع الاعتقادية: بدع الخوارج، والمعتزلة، والجهمية، والقدرية، والرافضة، والمرجئة.[٢]

إلا أن بدعة الجهمية من البدع المكفّرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : (المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية، وهم المعطلة لصفات الرحمن، فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب، وحقيقة قولهم جحود الصانع، ففيه جحود الربّ وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله...) إلى أن قال : (ولهذا كفّروا من يقول: إن القرآن مخلوق، وإن الله لا يُرى في الآخرة، وإن الله ليس على العرش، وإن الله ليس له علم، ولا قدرة، ولا رحمة، ولا غضب... ونحو ذلك من صفاته)[٣] .

ومن هذا النوع أيضاً : بدعة الحلولية والاتحادية من الصوفية[٤] .

وما اختُلف في كفره من هذه الفرق، كالقدرية المقرين بالعلم، والرافضة غير الغالية، والخوارج، فأقل أحوال بدعهم أنها مفسقة[٥] ؛ ولذلك ردّ بعض الأئمة شهادة المبتدعة مطلقاً، وهذا ما ذهب إليه الإمام مالك - رحمه الله - كما نقل ذلك الونشريسي من المالكية[٦] عن بعض الأصحاب أنه سئل عن شهادة الخوارج

---

(٢) جميع هذه الفرق سيأتي التعريف بها في القسم المحقق.

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/٤٨٥). وانظر: معارج القبول للشيخ الحكمي (٢/٦١٦-٦١٧).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٢/١٤٠-١٤١، ٤٩٠).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٣/٣٥٢) ، (٧/٥٠٧) ، (١٢/٤٨٦).

(٦) هو أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي، التلمساني، أبو العباس. فقيه مالكي، أخذ عن علماء تلمسان، ونُقم عليه أمرٌ فانتهبت داره، ففرّ إلى فاس وتوطنها إلى أن مات بها سنة ٩١٤هـ. انظر : (شجرة النور الزكية ١/٢٤٧-٢٤٨، فهرس الفهارس للكتاني

بعضهم على بعض أو على سني... فأجاب :

« مذهب مالك وأصحابه عدم جواز شهادتهم مطلقاً، وغيرهم من العلماء يجيزها للضرورة لبعضهم على بعض، وحيث لا يوجد غيرهم أو هم الأغلب في البلد كلها)[١] .

وردّ شهادتهم بعض الأئمة إذا كانوا دعاة إلى بدعهم مع علمهم بالحق، وهذا ما ذكره ابن القيم - رحمه الله - وغيره.

قال ابن القيم في هذا القسم من المبتدعة - وهم الدعاة - :(أن يسأل ويطلب، ويتبين له الهدى، ويتركه تقليداً وتعصباً، أو بغضاً ومعاداة لأصحابه، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقاً، وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل. فإن كان معلناً داعيةً رُدّت شهادته وفتاويه وأحكامه، مع القدرة على ذلك. ولم تُقبل له شهادة، ولا فتوى ولا حكم إلا عند الضرورة)[٢] .

وهذه الأحكام التي رآها أئمة الدين في هؤلاء المبتدعة إنما هي هجراً لهم وزجراً، لينكفّ ضرر بدعتهم عن المسلمين؛ لأن في قبول شهادتهم، والصلاة خلفهم، واستقضائهم وتنفيذ أحكامهم، رضى ببدعتهم وإقراراً لهم عليها، وتعريضاً لقبولها منهم.[٣]

وهناك أحكام أخرى نصّ عليها علماء أهل السنة تتعلق بالمبتدعة، منها:

٢/٤٣٨-٤٣٩).

(١) المعيار المعرب للونشريسي (١٠/١٩١).

(٢) الطرق الحكمية لابن القيم (ص١٧٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٧٢).

ـ مسألة لعن المبتدعة. ـ مسألة الصلاة خلف المبتدعة.

ـ مسألة مناكحة أهل البدع. ـ مسألة توبة المبتدعة.

ـ مسألة أكل ذبائح أهل البدع.

ـ مسألة شهود جنائز أهل البدع.

وغيرها من المسائل - التي ليس هذا مجال تفصيلها - مما يدلّ على خطورة البدعة على الدين، بحيث استدعى الأمر إصدار مثل هذه الأحكام التي قد تشابه في بعض صورها الأحكام الخاصة بالكفار.

ولهذا شدد علماء الإسلام على اجتناب البدع بكل صورها، كما حثّوا على لزوم السنة والاعتصام بها، لأن سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي الشريعة، وهي الدين الذي لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كمُل، بشهادة ربّ العالمين على ذلك، وكفى بالله شهيداً، حيث قال: ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣].

كما أنه صلى الله عليه وسلم قد بلّغ هذه الشريعة بكمالها، ولم يكتم منها شيئاً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: « من حدّثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته ﴾ [المائدة : ٦٧].[١]

فإذا ثبت بهذه النصوص من آيات القرآن العظيم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وآثار الصحابة والتابعين، إذا ثبت أنّا أُمرنا بالاتباع والتمسك بأثر النبي صلى الله عليه وسلم، ولزوم ما شرعه لنا من الدين والسنة؛ فهذا يعني

---

(١) رواه البخاري في التفسير، باب « يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك » (٢٧٥/٨برقم ٤٦١٢) واللفظ له، ومسلم في الإيمان (١٥٩/١ برقم ١٧٧) مطولاً.

التمسك بكل ما جاء به ﷺ، وترك كل ما خالفه، في الاعتقاد والعمل.

المبحث الثاني

نقد التصوف والمتصوفة

وفيه مطالب:

المطلب الأول: نسبة التصوف واشتقاقه:

كثرت الأقوال في النسبة الحقيقيَّة لمصطلح التصوف وتنوَّعتْ بين ناظر إلى هذا المصطلح من جهة الاشتقاق اللغوي، أو الأصل التاريخي، أو الحقيقة المذهبيَّة.

فمن بين العلماء الذين خاضوا في هذا المضمار في وقتٍ مبكِّرٍ، الإمام ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه «تلبيس إبليس» ، بحيث أورد مختلف الآراء وناقشها ثم رجَّحَ ما رآه صحيحاً في أصل نسبة التصوُّف واشتقاقه[1].

وهذه أهم الآراء التي قيلت في نسبة التصوُّف:

١- النِّسبة إلى الصُّفة[2]:

قال الكلاباذي[3]: (وقال قومٌ: إنما سُمُّوا صوفيةً لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ)[4].

غير أنَّ هذه النِّسبة لا تستقيم على مقتضى اللغة، وقد صرَّح بهذا أئمة

---

(١) انظر: القسم المحقق (ص٩٢١-٩٣٧).

(٢) عرِّفت «الصُّفة» وأهلها في القسم المحقق (ص٩٣٠،٩٣٦).

(٣) هو محمد بن إبراهيم الكلاباذي، أبو بكر البخاري، الصوفي، محدّث. من مؤلفاته: « التعرف إلى مذهب التصوف »، « مفتاح معاني الآثار ». توفي سنة ٣٨٠هـ. ينظر: (كشف الظنون ١/٢٢٥، فهرس مخطوطات الحديث بالمكتبة الظاهرية للبباني ص ٣٨٢).

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلابذي (ص١٠)، وانظر: اللمع للسراج الطوسي (تحقيق عبد الحليم محمود) (ص٤٧)؛ وكشف المحجوب، للهجويري (ص٢٢٧)؛ والرسالة، للقشيري (تحقيق عبد الحليم محمود) (ص٤٦٤)؛ وعوارف المعارف، للسهروردي (ملحق في آخر إحياء علوم الدين) (ص٦٥).

التصوف أنفسهم، لكنَّ بعضهم أجاز ذلك رغم ذلك.

من ذلك ما ذكره القشيري بقوله: (النسبة إلى الصُّفة لا تجيء على نحو الصوفي)[١].

وقال الهجويري[٢]- بعد ما ذكر اشتقاقات كلمة «تصوف»، ومنها الصُّفة- (لكن هذا الاسم على مقتضى اللغة بعيدٌ عن هذه المعاني)[٣].

وممن تكلَّف في هذه النسبة، الكلاباذي في «التعرّف» [٤] فقال: (وإن أضيفت إلى الصَّف أو الصُّفة كانت صَفِية أو صُفية، ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء في لفظ الصوفيّة وزيادتها في لفظ الصَّفية والصُّفية إنما كانت من تداول الألسن).

وكذلك السهروردي[٥] في كتابه «العوارف» [٦] إذ قال: (وهذا وإن كان لا

---

(١) الرسالة القُشيريَّة (ص٤٦٤).

(٢) هو علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي، أبو الحسن الغزنوي، الهجويري. من أشهر مؤلفاته كتاب « كشف المحجوب ». توفي بلاهور (باكستان) سنة ٤٥٦هـ تقريباً. انظر ترجمته في مقدمة كتاب « كشف المحجوب » بقلم د. إسعاد عبدالهادي قنديل، (٤٥-٩٨).

(٣) كشف المحجوب (ص٢٢٧).

(٤) (ص١٧-١٨).

(٥) هو عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه، أبو حفص القرشي، التيمي، البكري، الملقب بشهاب الدين السهروردي، من شيوخ الصوفية وفقهاء الشافعية. ولد بسهرورد، وقدم بغداد في صباه، وسمع منه جماعة من المحدثين كابن نقطة وابن الدبيثي وابن النجار، من مؤلفاته : « عوارف المعارف ». توفي ببغداد سنة ٦٣٢هـ. انظر : وفيات الأعيان ٤٤٦/٣، طبقات الأولياء ص ٢٦٢، السير ٣٧٣/٢٢).

(٦) عوارف المعارف (ص٦٥).

يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي، ولكنه صحيحٌ من حيث المعنى).

كما اعترض على هذه النسبة كذلك:

ابن الجوزي حيث قال: (ونسبة الصوفي إلى أهل الصُّفة غلطٌ، لأنه لو كان كذلك لقيل: صُفّي)[١].

والبيروني [٢] [٣] وابن تيمية [٤].

٢- النسبة إلى الصوف:

هذه النسبة من أشهر ما قيل في اشتقاق لفظة « التصوف »، وهذا القول أرجح ما قيل في هذه النسبة.

قال الأدفوي[٥]: (وقال بعضهم: نسبة إلى لبس الصوف. وهذا صحيحٌ من

---

(١) القسم المحقق (ص٩٣٦).

(٢) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة، للبيروني (ص٢٤-٢٥).

(٣) هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٢هـ، فيلسوف، رياضي، مؤرخ. أقام في الهند مدة. له مصنفات، منها : « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » و « تاريخ الأمم الشرقية » وغيرهما. توفي سنة ٤٤٠هـ. ينظر : (تاريخ حكماء الإسلام ص ٧٢-٧٤، الأعلام للزركلي ٣١٤/٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣٦٩/١٠) ، (٦/١١).

(٥) هو جعفر بن تغلب بن جعفر، أبو الفضل كمال الدين الأدفوي، نسبة إلى أدفو، بلد بصعيد مصر. ولد سنة ٦٨٥هـ، أخذ المذهب الشافعي والعلوم عن علماء ذلك العصر كابن دقيق العيد. كان من فضلاء أهل العلم، له مصنفات، منها : « تاريخ الصعيد »، و « الإمتاع في أحكام السماع »، و « البدر السافر في أحكام المسافر » وغيرها. توفي سنة ٧٤٨هـ. ينظر : (النجوم الزاهرة ٢٣٧/١٠، البدر الطالع ١٨٢/١، شذرات الذهب ١٥٣/٦).

حيث اللغة..) ثم علَّل ذلك بقوله: (بأنه الغالب على من طلب خشونة العيش والتقلل من الدنيا والتقشف فيها) [١].

وأيَّد هذه النسبة ونصرها كلٌّ من:

- السُّهروردي بقوله: (سُمُّوا صوفيةً نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة)[٢]. ثم علَّل ذلك بتعليلات عدة منها:

(واختاروا لبس الصوف لكونه أرفق، ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السَّلام)[٣]، و (لأن لبس الصوف كان غالباً على المتقدمين من سلفهم) [٤]، و (أن نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن تقلّلهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من الملبوس الناعم)[٥].

- وابن تيمية حيث قال: (والنسبة في « الصوفيَّة» إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الزهاد)[٦].

- وابن خلدون[٧] إذ قال: (الأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف،

---

(١) الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، للأدفوي (ص٤٠) ؛ وانظر: اللمع للطوسي (ص٤٠-٤١)؛ والتعرف للكلابذي (ص١٠)؛ والحلية لأبي نعيم (١/١٧)؛ والرسالة للقشيري (ص٤٦٤)؛ ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٣٦٩)، (١١/٦).

(٢) عوارف المعارف (ص٦٤).

(٣) المصدر نفسه (ص٦٥).

(٤) المصدر نفسه (ص٦٥).

(٥) المصدر نفسه (ص٦٥).

(٦) مجموع الفتاوى (١٠/٣٦٩) . وانظر: (١١/٦) من المصدر نفسه.

(٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد التونسي ثم القاهري، المالكي، المعروف بابن خلدون. نشأ بتونس، ورحل إلى عدة بلدان. من مؤلفاته : « العبر...». توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ. ينظر : (الضوء اللامع ٤/١٤٥، شذرات الذهب ٧/٧٦).

وهم في الغالب مختصون بلُبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف)[١].

- وأغلب المحدثين من الباحثين في التصوف على هذا[٢].

هذا، وهناك أقوالٌ اخرى في نسبة التصوف لا تخلو من ضعفٍ في نواحٍ كثيرةٍ لا يتسع المجال لذكرها.

وقد ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- بعضاً من تلك الآراء[٣].

وأيّاً مَّا كانت النسبة، فإنها ليستْ من الكتاب والسُّنة وهدي السَّلف. فإن النِّسبة الصحيحة والشرعيَّة هي ما كان أصلها الألفاظ الشرعيَّة. كما قال ابن الجوزي -رحمه الله-: (كانت النِّسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والإيمان، فيقال: مسلم ومؤمـــن) [٤].

كما كان يقال: مهاجرون وأنصار نسبةً إلى الهجرة والنصرة، وهما من أعظم الأعمال الشرعيَّة، كما كان يقال: بدري نسبةً إلى غزوة بدرٍ، وهي من أعظم غزوات المسلمين. كما يقال: عابدٌ وحامدٌ وذاكرٌ كما قال تعالى{ **التَّائِبُوْنَ**

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١٠٩٧/٣).

(٢) انظر: في التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكولسون (ص٦٦-٦٧)، وتاريخ التصوف الإسلامي د. عبد الرحمن بدوي (ص ١٤) ، والتصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق د. زكي مبارك (٤٢/١) ، والتصوف : المنشأ والمصدر لإحسان إلهي ظهير (ص ٣٥)، ونشأة الفلسفة الصوفية د. عرفان فتاح (ص ١٢٤- ١٢٧).

(٣) انظر: القسم المحقق (ص٩٢١-٩٣٧). وقد ذكر الباحث علي المقوشي في « موقف ابن الجوزي من الصوفية » (رسالة ماجستير) ستة عشر رأياً في نسبة التصوف (ص١٣٨-١٥٦)، وانظر : مدخل إلى التصوف الإسلامي د. السيد محمد المهدي (ص ٤٩-٦٢).

(٤) القسم المحقق (ص٩٢١).

الْعَابِدُوْنَ الْحَامِدُوْنَ السَّائِحُوْنَ الرَّاكِعُوْنَ السَّاجِدُوْنَ الْآمِرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّاهُوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُوْنَ لِحُدُوْدِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [التوبة-١١٢] .

ثم ظهر بعدهم اسم التابعين وتابعيهم؛ ولما اتسعتْ العلوم عُرف المحدِّثون والفقهاء والمفسرون... وهي كلها ألقاب مستمدة من النصوص الشرعيَّة أو العلوم الشرعيَّة التي تعلَّقت بتلك النصوص.

فالصوفيَّة بهذا الاعتبار تُعدُّ غريبةً عن منهج الإسلام، لأن النسبة إليها لم تظهر في رجال خير القرون من الصحابة وتابعيهم بإحسان.

يقول القشيري: (واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين للهجرة)[١].

وقال السهروردي: (هذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله . وقيل: كان في زمن التابعين... وقيل: لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة)[٢].

وقال ابن الجوزي: (وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين)[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك في أثناء المائة الثانية صاروا يعبِّرون عن ذلك -أي الزهد- بلفظ الصوفي ؛ لأن لبس الصوف يكثر في الزهاد)[٤].

وذكر ابن خلدون أنه (لما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا؛ اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفيَّة

(١) الرسالة للقشيري (ص٤٢).

(٢) عوارف المعارف للسهروردي (ص٦٦).

(٣) القسم المحقق (ص٩٣٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٩/١١).

والمتصوفة)[١].

وقد غلا بعض شيوخ التصوف[٢] حينما ادّعوا أن هذا المذهب معروفٌ على زمن رسول اللهصلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: الأصل التاريخي للتصوف:

وهذا الحديث عن أول ظهور التسميّة بالصوفيّة أو المتصوّفة يقودنا إلى البحث عن مصادر هذا المذهب المبتدع، الذي سِمَتُه الغالبة هي الغُلُوّ والمبالغة في السلوك على نحو تعبدي وبقصد القربة إلى الله تعالى.

فكما اختلف في اشتقاق مصطلح «التصوف» وأصله، كذلك اختلف في الأصل التاريخي للتصوف.

ففي حين يرى فريقٌ ممن اهتموا بالتصوف دراسةً وتحليلاً، أن أصل التصوف ومصدره إسلامي نشأ عن الزهد ثم امتزج بعقائد وآراء أجنبية عن الإسلام[٣].

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١٩٠٧/٣). وأيد هذا الرأي من المحدثين: نيكولسون في التصوف الإسلامي وتاريخه (ص٣-٤)، ود. بدوي في تاريخ التصوف الإسلامي (ص ١١-١٢)، وإحسان إلهي ظهير في: التصوف: المنشأ والمصدر (ص ٤٠-٤٨).

(٢) هو الهجويري في كتابه: «كشف المحجوب» (ص٢٢٧).

(٣) انظر: التصوف: المنشأ والمصدر، للشيخ إحسان إلهي ظهير (ص٤٩)؛ والتصوف وتأثره بالنصرانيّة والفلسفات القديمة (رسالة دكتوراه) إعداد: إبراهيم بن خلف التركي (ص٥٨ وما بعدها)؛ والكشف عن حقيقة التصوف، لمحمود القاسم (ص٧٤٨)؛ والتصوف في الإسلام، د. فروخ (ص٢٩)؛ وتاريخ التصوف الإسلامي، د. بدوي (ص٣١)؛ وفي التصوف الإسلامي وتاريخه، لنيكولسون (ص٦٩).

يرى فريقٌ آخر أن مصدر التصوف أجنبي عن الإسلام من كل وَجْه؛ فيقرر أنَّ أصل التصوف إمَّا مصدرٌ أجنبيٌّ واحدٌ ، أو هو مزيجٌ من المصادر الأجنبيَّة اجتمعتْ فيه.

فنجده على النقيض من مذهب الفريق الأول، إذ يرى أن التصوف مذهبٌ غريبٌ ودخيلٌ على الإسلام، بعيدٌ كل البعد عن مبادئه وتعاليمه.

يقول البيروني: (السوفيَّة وهم الحكماء، فإن «سوف» باليونانيَّة الحكمة، وبها سُمي الفيلسوف «فيلاسوفا» أي محب الحكمة.

ولما ذهب في الإسلام قومٌ إلى قريبٍ من رأيهم سُمُّوا باسمهم، ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكل إلى «الصُّفة» ، وأنهم أصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ثم صحّف بعد ذلك فصيّر من صوف التيوس...)[1].

ثم نسب إلى التصوف بعض الآراء الفلسفيَّة وعلّل ذلك بقوله: (وهذه آراء يذهب إليها الصوفيَّة لتشابه الموضوع)[2].

وهذا ما قرَّره بعض الباحثين المعاصرين؛ حيث يقول د. طلعت غنّام: (التصوف في الإسلام من أوله المسمَّى بالزهد وآخره المعروف بالتصوف، إنما هو استيرادٌ أجنبي من خارج الإسلام وليس من صميمه)[3].

وقال د. إبراهيم هلال : (التصوف في أصله وفي لفظه ومعناه متقدمه ومتأخره استيراد أجنبي وليس من الإسلام في شيءٍ)[4].

ويقول الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله-: (عندما نتعمَّق في تعاليم

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص٢٤-٢٥).

(٢) المصدر السابق (ص٢٥).

(٣) أضواء على التصوف د. طلعت الغنام (ص٦٨).

(٤) التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة د. إبراهيم هلال (ص٣٢).

الصوفيَّة الأوائل والأواخر، وأقاويلهم المنقولة منهم، والمأثورة في كتب الصوفيَّة القديمة والحديثة نفسها، نَرى بَوناً شاسعاً بينها وبين تعاليم القرآن والسنة، وكذلك لا نرى جذورها وبذورها في سيرة سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه، وأصحابه الكرام... بل بعكس ذلك نراها مأخوذةً مقتبسةً من الرهبنة المسيحيَّة ، والبرهمة الهندوكيَّة، وتنسُّك اليهوديَّة، وزهد البوذيَّة... والغنوصيَّة[1] اليونانيَّة والأفلاطونيَّة الحديثة لدى الذين جاءوا من بعدهم)[2].

أمَّا الفريق الأول وهو الذي يرى في مذهب التصوف أنه نشأ إسلامياً ثم اختلط بمبادئ ومذاهب أجنبية؛ فقد تبنى هذا الرأي كثيرون،منهم :

ابن الجوزي -رحمه الله- إذ يقول: (الصوفيَّة من جملة الزهاد... إلا أن الصوفيَّة انفردوا عن الزهَّاد بصفاتٍ وأحوالٍ وترسَّموا بسماتٍ.. والتصوف طريقةٌ كان ابتداؤها الزهد الكلي)[3].

ثم ذكر تطور المذهب الصوفي حتى صار منهم من يقول بالحلول، ومنهم من يقول بالاتحاد[4].

وهو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-[5].

ومن المعاصرين الدكتور عبد الرحمن..........................

---

(١) الغنوصية نزعة فلسفية دينية صوفية معاً، وسميت بهذا الاسم لأن شعارها هو أن بداية الكمال هي معرفة غنوص الإنسان، أما معرفة الله فهي الغاية والنهاية) . الموسوعة الفلسفية د. عبد الرحمن بدوي (٢/٨٦-٨٩).

(٢) التصوف: المنشأ والمصدر، للشيخ إحسان إلهي ظهير (ص٥٠). وانظر: الكشف عن حقيقة الصوفيَّة لمحمود القاسم (ص٧٤٧ وما بعدها) فهو يتبنّى هذا الرأي.

(٣) القسم المحقق (ص٩١٨-٩١٩).

(٤) انظر القسم المحقق (ص ٩١٨-٩١٩، ٩٤٤).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٦-١٨).

بدوي [١]، والأستاذ عمر فروخ [٢].

فلا شك بعد هذا العرض أن رأي الفريق القائل بأن التصوف نشأ عن الزهد ثم امتزج بأفكار وآراء أجنبيَّة عن الإسلام وبخاصة في عصوره المتأخرة؛ لا شك أن هذا الرأي هو أعدل القولين.

المطلب الثالث: نقد بعض أصول التصوف وآرائه:

١- في مصدر التلقي والاستدلال:

عندما يتقرر أن مذهب التصوف امتزجتْ به آراء وأفكار أجنبيَّة عن الإسلام، فإن ذلك يعني -لا محالة- أن هذا المذهب قد تأثر بتلك الآراء والأفكار والمذاهب.

وقد ظهر ذلك الأثر في جوانب متعددة من هذا المذهب؛ منها: أن المتصوفة اتخذوا لهم مصادر يتلقون منها الهداية غير الكتاب والسنة خلافاً لما كان يصرِّح به أكابر شيوخهم الذين لم يتدنَّسوا بالآراء الأجنبيَّة، ولما كان حال المذهب في أول نشأته.

وقد نقل ابن الجوزي وغيره كلاماً لشيوخ المذهب الأوائل يفيد أنهم كانوا لا يرضون بغير الكتاب والسنة بديلاً؛ فقد قال ابن الجوزي: (كان أوائل الصوفيَّة يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة)[٣]. ثم نقل بعض أقوال شيوخ الصوفيَّة الدالة على ذلك، ومنها:

---

(١) تاريخ التصوف الإسلامي (ص٤٤-٦٢).

(٢) التصوف في الإسلام (ص ٢٩-٣٠).

(٣) القسم المحقق (ص٩٧٩).

ــ قول أبي سليمان الداراني[١]: (ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة)[٢].

ــ وقول الجنيد[٣]: (مذهبنا هذا مقيد بالأصول: الكتاب والسنة)[٤].

ــ وقول أبي حفص النيسابوري الزاهد[٥]: (من لم يزن أفعاله وأحواله بالكتاب والسنة، ولم يهتمّ خواطره فلا تعده في ديوان الرجال)[٦].

لكن مذهب التصوف لم يلبث أن ينحرف عن هذا المنهج إلى غيره من المناهج الغريبّة عن الأصلين: الكتاب والسنة؛ ولذلك ظهرتْ فيهم الضلالات والشناعات الكثيرة، أبلغها الطعن في إفادة نصوص الكتاب والسنة للهدى والعلم.

يقول أبو الفضل الأحمدي[٧]: (لا تقطعوا بما علمتموه من الكتاب والسنة ولو كان حقاً في نفسه)[٨].

وقال الغزالي: (حدّ الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيقٌ غامضٌ، لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع، ثم إذا انكشفتْ لهم أسرار الأمور على ما هي عليه، نظروا إلى السّمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين، قرروه؛ وما خالف أوّلوه. فأما من يأخذ

(١) انظر ترجمته عند الأثر رقم [١٦٥].

(٢) انظر: تخريج هذا القول في القسم المحقق (ص٩٨٠).

(٣) انظر ترجمته عند الأثر رقم [٢٨].

(٤) انظر: تخريج هذا القول في القسم المحقق (ص٩٨٨).

(٥) انظر: ترجمته في القسم المحقق (ص٩٩٦).

(٦) انظر: تخريج هذا القول في القسم المحقق (ص٩٩٧).

(٧) له ترجمة في الطبقات الكبرى للشعراني (٢/١٧٣).

(٨) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/١٧٥).

معرفة هذه الأمور من السّمع المجرد، فلا يستقر له فيها قدمٌ، ولا يتعين له موقفٌ)[١].

وهذا كلام خطيرٌ، وفيه طعنٌ واضحٌ في دلالة السمع -وهي الوحي- وأنه يُحمل على المشاهدات والخواطر، وأن هذه الأخيرة قاضية عليه. ولذلك قال شيخ الإسلام رداً على هذه المقولة الشنيعة: (هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول صلى الله عليه وسلم شيءٌ من الأمور العلميَّة، بل إنما يُدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة، والنور والمكاشفة[٢]. وهذان أصلان للإلحاد، فإن كل ذي مكاشفةٍ، إن لم يزنها بالكتاب والسنة، وإلا دخل في الضلالات)[٣].

فلما طعن المتصوّفة في هذه الأصول دعوا إلى مصادر أخرى واعتمدوا عليها في تحقيق الهدى، وسموها علوماً إلهاميَّةً في مقابل العلوم الشرعيَّة التي سمّوها العلوم التعليميَّة، ولذلك لم يحرصوا على دراسة العلم الشرعي المستخرج من القرآن العظيم والسنة النبويَّة، بل نفّروا منه[٤].

وقد غلا بعضهم وبلغ مبلغاً ادَّعى معه الاستغناء عن التلقي من الكتاب والسنة، زعماً منه الأخذ عن الله تعالى.........................

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١٠٤/١).

(٢) انظر تعريفها في القسم المحقق (٩٥٩).

(٣) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٣٤٨/٥). وانظر شفاء السائل لابن خلدون (ص١٠٣-١٠٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩/٧).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (٢١/٣-٢٦)، (٢٣٩/٤)، والرسالة اللدنية له أيضاً (ص ٢٣٠-٢٣٥)، والكواكب الدرية للمناوي (١م٤٤٧)، و تلبيس إبليس (ط. المنيرية) (ص٣٢٠-٣٤١).

إلهاماً[١]، أو مناماً، أو بعروج روحه إليه -عز وجلَّ-، أو ادَّعى سماع خطاب الله تعالى كما سمعه موسى بن عمران كليم الرحمن، أو ادَّعى أخذ الشريعة عن النبي يقظةً، أو مناماً[٢].

قال أبو يزيد البسطامي[٣] : (أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت)[٤].

بل لقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما ادَّعوا الأخذ عن الأموات في قبورهم، فقد نقل الشعراني -صاحب الطبقات- عن شيخه عن الخوَّاص[٥] قوله: (إنما كان مشايخ القوم يجيبون تلامذتهم من قبورهم دون مشايخ الفقهاء في الفقه، لصدق الفقراء في اعتقادهم في أشياخهم دون الفقهاء. فلو صدق الفقيه لأجابه الإمام الشافعي رضي الله عنه وخاطبه مشافهةً)[٦].

والخلاصة أن هذه المصادر وغيرها التي اعتمد عليها المتصوفة المقصود منها نبذ الكتاب والسنة وطرحهما، وعدم الاحتكام إليهما ، كما ينطوي الأخذ بتلك المصادر الباطلة على فتح باب التلاعب بأحكام الشريعة، والتنصل من أوامرها

---

(١) **الإلهام** هو ما وقع في القلب من علم ، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة . التعريفات للجرجاني (ص٤٩) ، واصطلاحات الصوفية للقاشاني (١٧٦-١٧٧)، معجم المصطلحات الصوفية د. أنور خزام (ص٤٥)، والمعجم الصوفي للحفني (ص ٣٠)، والمعرفة الصوفية ناجية جواد (ص١٩٨ وما بعدها).

(٢) انظر :المصادر العامة للتلقي عند الصوفيَّة، تأليف صادق سليم صادق (ص١٨٣).

(٣) انظر ترجمته في الصفحة (٩٧٥) من القسم المحقق.

(٤) الفتوحات المكية لابن عربي (٣١/١)، والكواكب الدرية للمناوي (٤٤٦/١)، وتلبيس إبليس (ط.المنيرية) (ص ٣٧٥)، الطبقات الكبرى للشعراني (٥/١).

(٥) انظر: ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني (١٥٠/٢).

(٦) الطبقات الكبرى، للشعراني (١٥٤/٢).

ونواهيها كما شاع عن هذه الطائفة الضَّالة.

٢- في العقائد:

لما اختلفت مصادر المتصوفة في التلقي والاستدلال وخالفت الكتاب والسنة، فإن كل ما قرروه بعد ذلك في مذهبهم غلب عليه الضلال والانحراف.

وسأركِّز هنا على أهم القضايا العقديَّة التي خالفت بها المتصوفة مذهب السلف مما دلَّ عليه الشرع الحنيف.

أ/ ترك التوحيد:

أهمل المتصوفة أمر التوحيد الذي هو أصل الدين، وقرروا فيه أحكاماً وقواعد مناقضة لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، فدعوتهم أو دعوة مشايخهم صريحة في ترك التوحيد ومعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، بدعوى أن التوحيد أمرٌ استأثر الله تعالى وحده بعلمه، كما بنوا على هذا القول كفر أو إلحاد من ادَّعى معرفة الله تعالى.

يقول الشبلي[١] إجابةً على من سأله عن التوحيد: (ويحك من أجابك عن التوحيد بالعبارة فهو ملحدٌ، ومن أشار إليه فهو وثني، ومن أومأ إليه فهو عابد وثنٍ، ومن نطق فيه فهو غافلٌ، ومن سكت عنه فهو جاهلٌ، ومن توهَّم أنه واصلٌ فليس بحاصلٍ)[٢].

---

(١) انظر ترجمته في القسم المحقق (ص ١٠١٩).

(٢) ذكره الطوسي في اللمع (ص ٥٠)، والقشيري في الرسالة (ص٤٩٦). وانظر: تاريخ بغداد للخطيب (١٤/٣٩٤).

وقال أيضاً: (ما شم روائح التوحيد من تصوَّر عنده التوحيد)(١).

ونقل ابن الجوزي عن البسطامي قوله حين سُئل: (هل سألت الله تعالى المعرفة؟) فقال: (عزت عليه أن يعرفها سواه)(٢).

ثم تعقبه ابن الجوزي بقوله: (هذا إقرارٌ بالجهل، فإن كان يشير إلى معرفة الله تعالى في الجملة وأنه موجودٌ وموصوفٌ بصفاتٍ وهذا لا يسع أحداً من المسلمين جهله، وإن تخايل له أن معرفته هي اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهلٌ به)(٣).

وقول المتصوفة هذا لا شك في ضلاله وانحرافه عن الإسلام، إذ إنه تكذيبٌ ومضادة للغاية التي من أجلها خلق الله الثقلين إذ قال:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُوْنِ** ﴾ [الذاريات-٥٦]. فالجهل بالخالق تعالى -كما يقرره المتصوفة- يعطِّل هذه الغاية العظيمة.

ولذلك نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يعلق على قول: إنه لا تصح العبارة عن التوحيد، قائلاً: (وقوله:"إنه لا تصح العبارة عن التوحيد" كفرٌ بإجماع المسلمين؛ فإن الله قد عبَّر عن توحيده، ورسوله عبَّر عن توحيده، والقرآن مملوءٌ من ذكر التوحيد، بل إنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد)(٤).

ب/ القول بالحلول والاتحاد:

حقيقة هذا القول هو اعتقاد حلول ذات الباري تعالى في بعض مخلوقاته، أو اعتقاد اتحاد ذات الإله عز وجل بمخلوقاته، فيكون وجود الباري تعالى هو عين

---

(١) ذكره الطوسي في اللمع (ص٥٢)، والقشيري في الرسالة (ص ٤٩٧).

(٢) تلبيس إبليس (ط.المنيريّة) (ص٤٨٠).

(٣) تلبيس إبليس (ص٤٨٠).

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٥١/٢).

وجود الكائنات المخلوقة جميعاً (١).

وهذا القول بالحلول هو من شر الأقوال، لأن مؤدَّاه هو اتصاف بعض المخلوقات بصفات الرب جلَّ وعلا، وهذا شركٌ أكبر.

كما أن القول بالاتحاد هو شر الأقوال كلها حتى قول النصارى، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وهو يعدد أنواع الحلول والاتحاد:

(الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة، الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين:

من جهة أن أولئك قالوا: إن الرب يتحد بعبده الذي قرَّبه واصطفاه، بعد أن يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون: ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

والثاني: من جهة أن أولئك خصّوا ذلك بمن عظَّموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب، والخنازير، والأقذار، والأوساخ. وإذا كان الله تعالى قد قال: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ [المائدة-١٧،٧٢] فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار، والمنافقون والصبيان، والمجانين والأنجاس، والأنتان وكل شيءٍ ؟!)(٢).

وهذه الزندقة قد أورد ابن الجوزي -رحمه الله- نصوصاً من كلامهم فيها، وهو مروي في مصادرهم، منها:

ـــ ما تكلّم به أبو حمزة الصوفي(٣) في جامع طرسطس حين صاح غرابٌ

---

(١) انظر: تعريف المصطلحين في القسم المحقق (ص٩٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧٢/٢-١٧٣). وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية رسالة: (حقيقة مذهب الاتحاديين) (٢٩/٤-٣٠).

(٣) انظر ترجمته في القسم المحقق (ص١٠٠٢).

على سطح الجامع فقال أبو حمزة: لبَّيك لبَّيك[١].

ــ ومنها: أن أبا حمزة هذا كان كلما سمع صوتاً مثل هبوب الرياح، وخرير الماء، وصياح الطيور، كان يصيح ويقول: لبَّيك[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن الذي جاهر بهذه الزندقة حتى قُتل، هو الحسين بن منصور الحلاَّج[٣]. وله في ذلك كلامٌ منثور ومنظومٌ.

من ذلك ما ذكره ابن الجوزي -رحمه الله- وغيره من أهل التاريخ، أنه كان للحلاج كتابٌ فيه: (من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان)، وقد شهد على نفسه بأنه كتبه فقال: (هذا خطي وأنا كتبته)، فقالوا له: كنت تدَّعي النبوة فصرت تدَّعي الربوبيَّة ؟ فقال: (ما أدَّعي الربوبيَّة، ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله واليد فيه آلة؟)[٤].

ومن أقوال الحلاج الاتحاديَّة أيضاً:

ــ (دع الخليقة، لتكون أنت هو، وهو أنت من حيث الحقيقة)[٥].

ــ (أنا الحق...وإن قُتلت وقُطعت يداي ورجلاي، ما رجعت عن دعواي)[٦].

---

(١) القسم المحقق (ص١٠٠٢).

(٢) القسم المحقق (ص١٠٠٦).

(٣) انظر ترجمته في القسم المحقق (ص١٠١٤).

(٤) القسم المحقق (١٠١٨). وانظر هذا الخبر في: تاريخ بغداد (٨/١٢٧-١٢٨)؛ والبداية والنهاية، لابن كثير (١١/١٤٨-١٤٩)؛ والسِّير، للذهبي (١٤/٣٢٨).

(٥) الطواسين وبستان المعرفة، للحلاج (ص٥٠).

(٦) المصدر السابق (ص٦٢-٦٣).

ـ (ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه)[١].

(يا إله الآلهة، ويا رب الأرباب، ويا من لا تأخذه سِنةٌ ولا نومٌ، رُدَّ عليَّ نفسي لئلا يفتتن بي عبادك، يا هو أنا، وأنا هو، لا فرق بين إنيتي وهوتيك إلا الحدث والقدم)[٢].

ومن نظمه في ذلك:

ـ قوله:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب[٣].

ومن هذه الزندقة كذلك ما صدر عن ابن الفارض[٤] حيث يقول في تائيته المشهورة بـ « نظم السلوك » :

وها أنا أبدي في اتحادي مبدئي وأنهي انتهائي في تواضع رفعتي

جلت في تجليها الوجد لناظري في كل مرئي أراها برؤية [٥]

---

(١) أخبار الحلاج، لابن أنجب الساعي (ص٦٧).

(٢) المصدر السابق (ص٦٩).

(٣) ديوان الحلاج (ص١٤).

(٤) هو شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، ثم المصري، من الشعراء البارزين، وهو من رؤوس القائلين بالوحدة والحلول، التي ملأ بها قصيدته المشهورة بالتائية. رماه غير واحد بالزندقة والضلال. مات سنة ٦٣٢هـ. انظر : (مجموع الفتاوى ٢/١٢٣-١٢٤، السير ٢٢/٣٦٨، لسان الميزان ٤/٣١٧، شذرات الذهب ٥/١٤٩).

(٥) ديوان ابن الفارض (ص٤٧).

وقوله :

و لم أله باللاهوت عن حكم مظهري و لم أنس بالناسوت مظهر حكمتي

وقد جاءني مني رسـول عليه ما عنت عزيز بي حريص لرأفـة

ومن عهد عهدي قبل عصر عناصري إلى دار بعث قبل إنذار بعثـة

إلى رسول كنت مني مرسـلا وذاتي بآياتي علي استـدلّـت[١]

وقوله :

وجاء حديث في اتحادي ثابت روايته في النقل غير ضعيفة

يشير بحب الحق بعد تقـرب إليه بنفل أو أداء فريضـة

وموضع تنبيه الإشارة ظاهر بكنت له سمعاً كنور الظهيرة[٢]

ومن أقوال ابن عربي[٣]:

ـ (من عرف ما قررنا في الأعداد، وأن نفيها عين إثباتها، علم أن الحـق المنزّه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق ؛ فالأمر الخالق، والأمـر المخلوق. كل ذلك من عين واحدة، لا، بل هو العين الواحـد، وهـو العيـون الكثيرة)[٤].

ـ (﴿ وخلق منها زوجها﴾ فما نكح سوى نفسـه، فمنـه الصاحبـة

---

(١) المصدر السابق (ص ٦٨-٦٩).

(٢) ديوان ابن الفارض (ص٨٩). وانظر : ابن الفارض والحب الإلهي د. مصطفى حلمي (ص ١٩٥-٢٠٥)

(٣) هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي، أبو بكر الأندلسي، الملقب محـي الديـن، والمعروف بابن عربي الصوفي. صاحب ضلالات، نادى بوحدة الوجود. هلـك سـنة ٦٣٨هـ. انظر : (المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص١١٥، السير ٤٨/٢٣)

(٤) فصوص الحكم (٧٨/١).

والولد)[١].

ـ (كل ما ندركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات، فمن حيث هوية الحق هو وجوده، ومن حيث اختلاف الصورفيه هو أعيان الممكنات)[٢]

فهذا غيضٌ من فيض ممن يعتقد عقيدة الحلول والاتحاد، وما زال أنصار هذه العقيدة إلى يومنا هذا، يخرجون المؤلفات فيها، ويشرحون مصطلحاتها، ويفكُّون رموزها تقريباً لها إلى أفهام الناس[٣].

ج/ الولاية:

الولاية من الوَلْي، وهو القرب والدنو. والوَلِيُّ: الاسم منه، والمحب والصديق والنصير[٤].

أمَّا الولاية الشرعيَّة فلا تبعد معناها عن معناها اللغوي، لأن أولياء الله هم أهل طاعته ومحبته الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه من الفرائضوسائر القُرب[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أولياء الله تعالى هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبُّوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما سخط،

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (١٠٣/١). وانظر : جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته لتقي الدين الفاسي، وكتاب : ابن عربي في ميزان البحث لعبد القادر السندي، وتنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي (ص٧٤-٧٥)، ورسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ، جمع وتحقيق د. موسى الدويش.

(٣) انظر على سبيل المثال: الحلاج فيما وراء المعنى والخط واللون، لسامي مكارم. ومقدمة كتاب أخبار الحلاج، لابن أنجب الساعي، كتبها موفق فوزي الجبر. الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي لمحمود محمد الغراب.

(٤) انظر: القاموس المحيط (و ل ي).

(٥) انظر : جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٣٣٥/٢).

وأمروا بما يأمر، ونهوا عمَّا نهى، وأعطوا بمن يحب أن يُعطى، ومنعوا من يجب أن يُمنع)[١].

لذلك كان أفضل أولياء الله تعالى هم الأنبياء والمرسلين، لأنهم أكمل طاعةً وموافقةً لأمر الله تعالى.

فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وتقوًى، كان أكمل ولايةً لله؛ كذلك من كان مخالفاً لأمر الله ومُحاداًّ له، متَّبعاً لما يسخط الله تعالى، فهذا يكون عدواًّ لله بحسب محادَّته وعصيانه.

أمَّا الولاية عند الصوفيَّة فلها معانٍ ومصطلحاتٌ خالفت بها حقيقة الولاية الشرعيَّة التي نصَّ عليها الكتاب العزيز والسنة المشرفة.

من ذلك[٢]:

-أن الولاية هي الغاية من المجاهدات والرياضات، وليستْ رغبة في وعد الله أو رهبة من وعيده تعالى.

-أن الغاية من الولاية هي الاتصال بالله أو بالملأ الأعلى، وتحصيل العلم اللَّدني، والتأييد بالكرامات والخوارق.

-أن العصمة من لوازم الولاية، فالولي عند الصوفيَّة معصومٌ عن الخطأ.

-أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/١٦٠).

(٢) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: محمد أحمد لوح (١/٦٢-٩٢)؛ ونظريَّة الاتصال عند الصوفيَّة: سارة آل سعود (ص١١٩،١٨٦-٢١١)؛ ومن قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة: محمد السيد الجليند (ص٢٠٧ وما بعدها)؛ وابن تيمية والتصوف: د. مصطفى حلمي (ص٣٩٦ وما بعدها)، وأولياء الله لعبد الرحمن دمشقية (ص٩٠- ١١٣)، (ص ١٤٢-١٥٧).

وبناءً على تلك الخصائص التي ميزت الولاية عند المتصوفة، نجد لهم أقوالاً وقصصاً وحكايات مخالفة للشريعة ظاهراً وباطناً -وإن ادَّعوا موافقتها في الباطن- ما لا يقره مسلمٌ واثقٌ من دينه وعقله.

فهذه كتبهم ومصادرهم طافحةٌ بهذا الدَّجَل والقول على الله بغير علمٍ. وأدهى طامَّة جاء بها مذهب التصوف في مسألة الولاية، هي القول بأن للولاية خاتماً كما للنبوة خاتم، وأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

وأول من جاء بهذه المقالة الباطلة الحكيم الترمذي[1] فألف كتابه: «ختم الأولياء»[2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولم يتكلم أحدٌ من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي، فإنه صنَّف مصنفاً غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحدٍ منهم أنه خاتم الأولياء)[3].

ومن قول الترمذي بختم الولاية أخذ ابن عربي القول بتفضيل خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء؛ فمن أقواله في فصوصه :

(لما كانت الأنبياء صلوات الله عليهم لا تأخذ علومها إلا من الوحي الخاص الإلهي، فقلوبهم ساذجة من النظر العقلي لعلمهم بقصور العقل من حيث نظره الفكري عن إدراك الأمور على ما هي عليه، والإخبار أيضاً يقصر عن إدراك ما لا يُنال إلا بالذوق؛ فلم يبق العلم الكامل إلا في التجلي الإلهي وما يكشف الحق عن أعين البصائر)[4].

والتجلي الذي يتحدث عنه لا يكون إلا للأولياء، ومن ثم كانوا أفضل من

(١) انظر ترجمته في القسم المحقق (ص١٢٨٣).

(٢) وهو مطبوع.

(٣) مجموع الفتاوى (١١/٢٢٣). وانظر: المصدر نفسه (١١/٤٤٤).

(٤) فصوص الحكم لابن عربي (١/١٣٣).

الأنبياء. ولذلك قال في موضع آخر : (إذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي وعارف، ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع. فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول أو يُنقل إليك عنه أنه قال : الولاية أعلى من النبوة، فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه، أو يقول : إن الولي فوق النبي والرسول ، فإنه يعني بذلك في شخص واحد، وهو أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي رسول)(١).

قال الحكيم الترمذي عن خاتم الأولياء: (بأنه أُعطي ختم الولاية، فبالختم تقدمهم فصار حجة الله على أوليائه... وسبب الختم هو أن النبوة أُعطيت الأنبياء عليهم السَّلام و لم يُعطوا الختم)(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك لفظ "خاتم الأولياء" لفظ باطلٌ لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي. وقد انتحله طائفةٌ كل منهم يدَّعي أنه خاتم الأولياء، كابن حمويه(٣) وابن عربي، وبعض الشيوخ الضَّالين بدمشق وغيرها، وكلٌّ منهم يدَّعي أنه أفضل من النبي عليه السَّلام من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان)(٤).

---

(١) فصوص الحكم (١٣٥/١).

(٢) ختم الأولياء، للترمذي (ص٤٢١).

(٣) هو: عبد الله بن عمر الجويني الصوفي، أبو محمد ابن حمويه الدمشقي، وُلد بدمشق ورحل إلى المغرب، وزار مصر أيضاً، كتب في التاريخ والفقه والتصوف. توفي بدمشق سنة ٦٤٢هـ. انظر: شذرات الذهب (٢١٤/٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٤٤٤/١١).

٣- في العبادات:

بدع الصوفيَّة في العبادات كثيرةٌ جداً، وقد أتى ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه «تلبيس إبليس» -الذي أقوم بتحقيق شطره الأول- على كثيرٍ من مخالفاتهم[١].

من أهم هذه المخالفات:

-الإسراف في استعمال الماء في الطهارة [٢].

-ابتداع صلوات لم ترد في الشرع، كصلاة ركعتين بعد لُبس الخرقة[٣].

-ابتداع صيام لم يرد في الكتاب والسنة، كصيام شهرين متتابعين للمبتدئ في أول سلوكه طريق التصوف، توبةً إلى الله[٤].

-هجر المساجد واستبدالها بالأربطة، حتى إن أحدهم إذا رجع من سفره أول ما يفعله هو صلاة ركعتين في الرباط بدل المسجد[٥].

-استبدالهم السَّماع المشروع للقرآن الكريم والمواعظ الشرعيَّة، بالسَّماع المبتدع والمحرم المتضمن سماع الغناء المصحوب بالآلات، ويقع فيه كثيرٌ من المحظورات الأخرى، كاجتماع الرجال بالنساء، والاختلاط بالمردان، وسقوط بعضهم مغشياً عليه رجالاً ونساءً[٦].

---

(١) انظر: القسم المحقق (ص١٠٤٢ وما بعدها).

(٢) القسم المحقق (ص١٠٤٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر القسم المحقق (ص ١٢٨٤).

(٥) تلبيس إبليس (ط. المنيرية) (ص٣١٧، ٣٧٢).

(٦) انظر: تلبيس إبليس (ط. المنيرية) (ص ٢٢٢، ٢٤٦-٢٥٠، ٢٥٧).٩٩

ولعلَّ بعد هذا العرض ندرك غرابة المذهب الصوفي عن هـــدي الإســلام الصحيح والصافي من كل كدرٍ، سببها اتباع سنن الذين ضلُّوا عن سواء الســبيل من جميع النِّحل والمذاهب.

فاستقاء رجال التصوف من غير مَعين الإسلام هو الذي جعل مـــن هــذا المذهب مرتعاً لكل زنديقٍ يحاول إبطال شرائع الإسلام وعقائده، كما قد ســاعد ذلك على إفساد عقائد كثيرٍ من الناس، وخاصةً العوَّام منهم، فـــاعتقدوا النفــع والضر في الأموات فعبدوهم من دون الله بالدعاء والطـــواف علـــى قبورهـــم، واستحدثوا البدع الكثيرة كالاحتفال بالمولد النبوي، واعتقاد أن النبي ﷺ يحضره.

كما شاع بين العوام الْمُتَّبعين لشيوخ التصوف، أن الشيوخ يطَّلعون علـــى ظاهرهم وباطنهم، حضراً وسفراً، ليلاً ونهاراً ؛ فراقبوهم في السر والعلن، وهـــذا من أعظم الشرك بالله العظيم.

ولا شك أن النجاة من هذا الضلال هو الاعتصام بالكتاب والسنة وهـــدي السَّلف الصالح، والحمد لله الذي قيَّض لكل مذهبٍ دخيلٍ ونحلةٍ خبيثةٍ مَنْ يدحضه ويكشف زيغه وضلاله، ولذلك كُتب عن مذهب التصوف الكثير من المؤلفـــات الطيبة والنافعة، من بداية ظهور هذا المذهب إلى عصرنا الحاضر، وهذا من أعظـــم الجهاد في سبيل الله.

ملحق ببيان السقط في الطبعة المنيرية

ملحق ببيان السقط في الطبعة المنيرية

الطبعة المنيرية	القسم المحقق
ص١٤	ص١٢٥
ص١٤	ص١٢٨
ص١٤	ص١٢٩
ص١٤	ص١٣٠
ص١٦	ص١٣٢
ص٢٦	ص١٤١
ص٣٤	ص٢٢٦
ص٥٩	ص٢٥٧
ص١٢٥	ص٧٢٤
ص١٢٥	ص٧٢٨
ص١٢٦	ص٧٣٤
ص١٢٧	ص٧٤٨
ص١٣١	ص٧٥٥
ص١٣٣	ص٧٥٨
ص١٣٤	ص٧٦٢
ص١٣٤	ص٧٧٠
ص١٣٦	ص٧٧٢
ص١٣٦	ص٧٧٤
ص١٣٦	ص٧٧٦
ص١٣٦	ص٧٧٩
ص١٣٦	ص٧٧٩

الطبعة المنيرية	القسم المحقق
ص١٣٩	ص٧٩٢
ص١٤٠	ص٨٠٠
ص١٤١	ص٨٠٥
ص١٤١	ص٨١٠
ص١٤١	ص٨١٢
ص١٤٢	ص٨١٥
ص١٤٢	ص٨١٩
ص١٤٣	ص٨٢٥
ص١٤٦	ص٨٣٤
ص١٤٦	ص٨٣٦
ص١٤٦	ص٨٣٦
ص١٤٦	ص٨٣٩
ص ١٤٧	ص٨٤٥
ص١٤٨	ص٨٤٨
ص١٥٢	ص٨٦٩
ص١٥٢	ص٨٧١
ص١٥٣	ص٨٧٥
ص١٥٤	ص٨٧٨
ص١٥٥	ص٨٨٤
ص١٥٦	ص٨٩٠
ص١٥٨	ص٨٩٢
ص١٥٨	ص٩٠٦
ص١٦٠	ص٩١٥
ص١٦٠	ص٩١٦

الطبعة المنيرية	القسم المحقق
ص١٦٠	ص٩٢٤
ص١٦٢	ص٩٣١
ص١٦٢	ص٩٣٣
ص١٦٣	ص٩٣٩
ص١٦٣	ص٩٤٠
ص١٦٦	ص٩٦٩
ص١٦٦	ص٩٧١
ص١٦٨	ص٩٨٠
ص١٦٨	ص٩٨١
ص١٦٨	ص٩٨٣
ص١٦٨	ص٩٨٥
ص١٦٨	ص٩٨٧
ص١٦٨	ص٩٨٩
ص١٦٨	ص٩٩٠
ص١٦٨	ص٩٩٢
ص١٦٨	ص٩٩٣
ص١٦٨	ص٩٩٥
ص١٦٨	ص٩٩٦
ص١٦٩	ص١٠٠٠
ص١٦٩	ص١٠٠٢
ص١٧٠	ص١٠٠٤
ص١٧٠	ص١٠٠٦
ص١٧١	ص١٠١٤
ص١٧١	ص١٠١٦

الطبعة المنيرية	القسم المحقق
ص١٧١	ص١٠١٨
ص١٧١	ص١٠٢١
ص١٧٢	ص١٠٢٣
ص١٧٢	ص١٠٢٧
ص١٧٢	ص١٠٣٠
ص١٧٢	ص١٠٣٢
ص١٧٢	ص١٠٣٤
ص١٧٣	ص١٠٣٦
ص١٧٣	ص١٠٣٩
ص١٧٦	ص١٠٥١
ص١٧٨	ص١٠٦١
ص١٧٨	ص١٠٦٣
ص١٧٨	ص١٠٦٦
ص١٧٩	ص١٠٦٩
ص١٨٠	ص١٠٧٣
ص١٨٠	ص١٠٧٩
ص١٨١	ص١٠٨٣
ص١٨٢	ص١٠٩١
ص١٨٤	ص١٠٩٩
ص١٨٥	ص١١٠٤

نماذج من المخطوطات

صورة الورقة الأولى من النسخة الأصل

ذكر تراجم الأبواب

الباب الأول في الأمر بلزوم السنة والجماعة

الباب الثاني في ذم البدع والمبتدعين

الباب الثالث في التحذير من فتن إبليس ومكايده

الباب الرابع في معنى التلبيس والغرور

الباب الخامس في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات

الباب السادس في ذكر تلبيسه على العلماء في فنون العلم

الباب السابع في ذكر تلبيسه على الولاة والسلاطين

الباب الثامن في ذكر تلبيسه على العباد في فنون العبادات

الباب التاسع في ذكر تلبيسه على الزهاد

الباب العاشر في ذكر تلبيسه على الصوفية

الباب الحادي عشر في ذكر تلبيسه على المتدينين بما يشبه الكرامات

الباب الثاني عشر في ذكر تلبيسه على العوام

الباب الثالث عشر في ذكر تلبيسه على الكل بتطويل الأمل

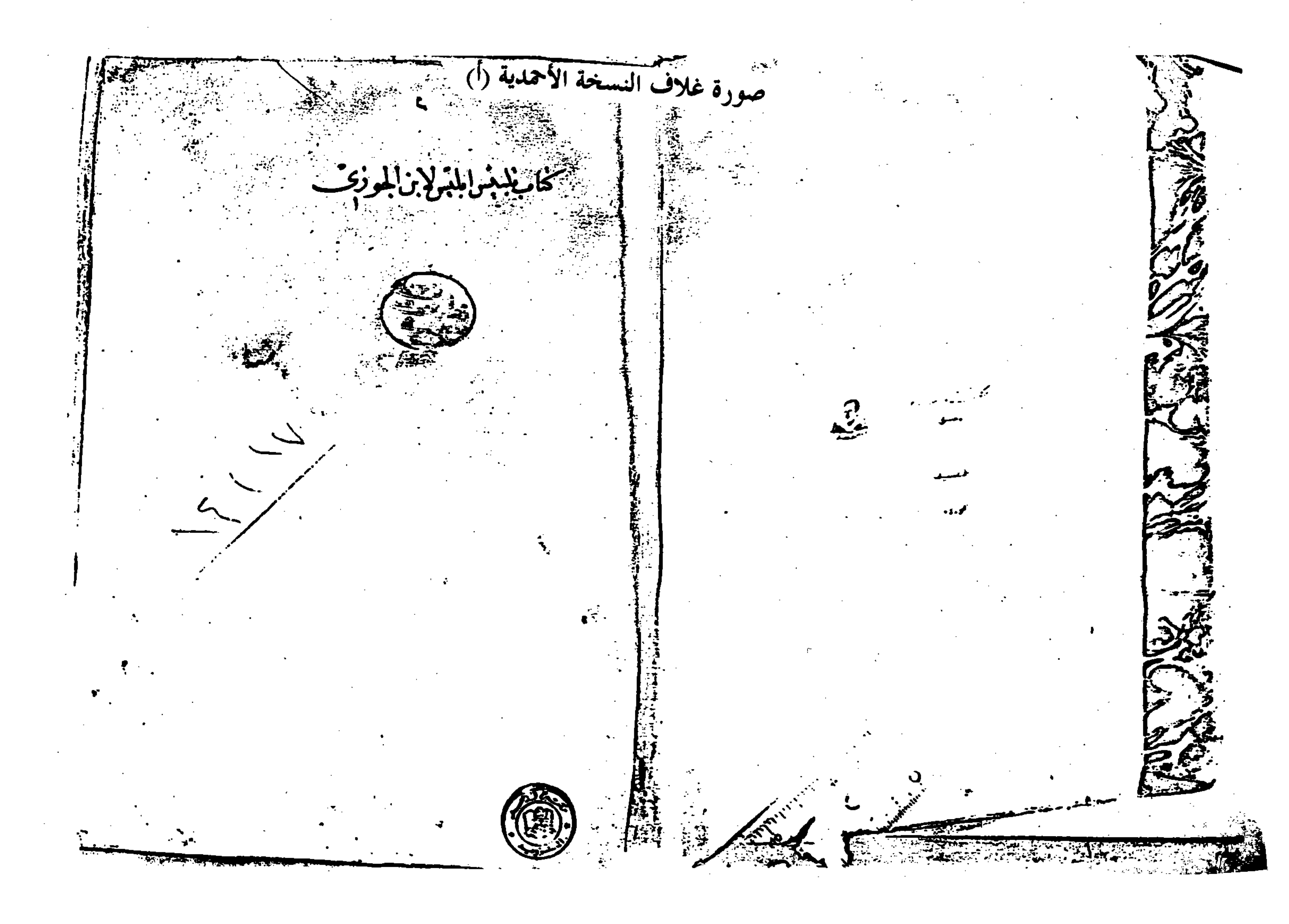
الباب الأول في الأمر بلزوم السنة

صورة الورقة الأخيرة من الجزء المحقق في النسخة الأصل

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد

صورة من الورقة الأخيرة من النسخة الأصل

صورة غلاف النسخة الأحمدية (أ)



صورة الورقة الأولى من النسخة الأحمدية (أ)

صورة الورقة الأخيرة من الجزء المحقق في النسخة الأحمدية (أ)

المصنف وقد روينا في حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله
تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه وقال أبو بكر عبد
الله من أعطي خيراً فرئي عليه سمي حبيب الله محدثاً بنعمة الله تعالى ومن أعطي
خيراً فلم ير عليه سمي بغيض الله تعالى معادياً لنعمة الله تعالى قال
وقال المصنف وهذا الذي نهينا عنه من التنقل الزائد والجد قد انعكس
في صوفية زماننا فصارت همتهم في الأكل كما كانت همة متقدميهم
في الجوع لهم الغداء والعشاء والحلواء وكل ذلك وأكثره حاصل من أموال
وسخة وقد تركوا كسب الدنيا وأعرضوا عن التعبد وافترشوا فرش
البطالة فلا همة لأكثرهم إلا الأكل واللعب فإن أحسن محسن قالوا طرحي
شكراً وإن أسى قالوا استغفر ويسمون ما يلزمونه واجباً وتسميه
ما لم يسمه الشرع واجباً جناية عليه أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز
قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب قال أخبرنا محمد بن عبد الله
ابن محمد الحافظ النيسابوري قال أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري قال حدثنا
أحمد بن سلمة قال حدثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادي قال قام أبو مرحوم
القاص بالبصرة فقص على الناس فبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا أرزة
والله فقام شاب من المجلس فقال أنا فقال اجلس رحمك الله فقد عرفنا
موضعك ثم قام الثانية فقال الشاب فقال اجلس فقد عرفنا موضعك فقام الثالثة
فقال أبو مرحوم لأصحابه قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا
بقدر من باقلي فأكلناه بلا ملح ثم قال أبو مرحوم علي بخوان خماسي وخمسة
مكاكيك أرز وخمسة أمنا سمن وعشرة أمنا سكر وخمسة أمنا
صنوبر وخمسة أمنا فستق فجيء بها كلها فقال أبو مرحوم لأصحابه يا إخواني
كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها مبيضة شمسها قال اخترقوا
فيها أنهارها قال فأتي بذلك السمن فأجري فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه
فقال يا إخواني كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها مبيضة شمسها مجرية
فيها أنهارها فقال يا إخواني اغرسوا فيها أشجارها قال فأتي بذلك الفستق والصنوبر

فألقي فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال يا إخواني كيف أصبحت الدنيا
قالوا مشرق لونها مبيضة شمسها مجرية فيها أنهارها وقد غرست فيها
أشجارها وقد تدلت ثمارها قال يا إخواني ارموا الدنيا بحجارتها قال فأتي بذلك
السكر فألقي فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال يا إخواني كيف أصبحت الدنيا
قالوا مشرق لونها مبيضة شمسها قد أجري فيها أنهارها وقد غرس
فيها أشجارها وقد تدلت ثمارها فقال يا إخواني اضربوا فيها براحتها
قال فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس والحول والفضل
أحمد بن سلمة ذكرته لأبي حاتم الرازي فقال أمله علي فأمليته عليه
قال وهذا شأن الصوفية قال المصنف قلت وقد رأيت
منهم من إذا حضر دعوة بالغ في الأكل ثم احتاز من الطعام فربما ملأ كميه
من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالإجماع ولقد رأيت
شيخاً منهم قد أخذ شيئاً من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب
الدار فنتزه منه تم الجزء الأول والحمد لله وحده
ويتلوه في الجزء الثاني ذكر تلبيس إبليس على
الصوفية في السماع والرقص والوجد

ودلك

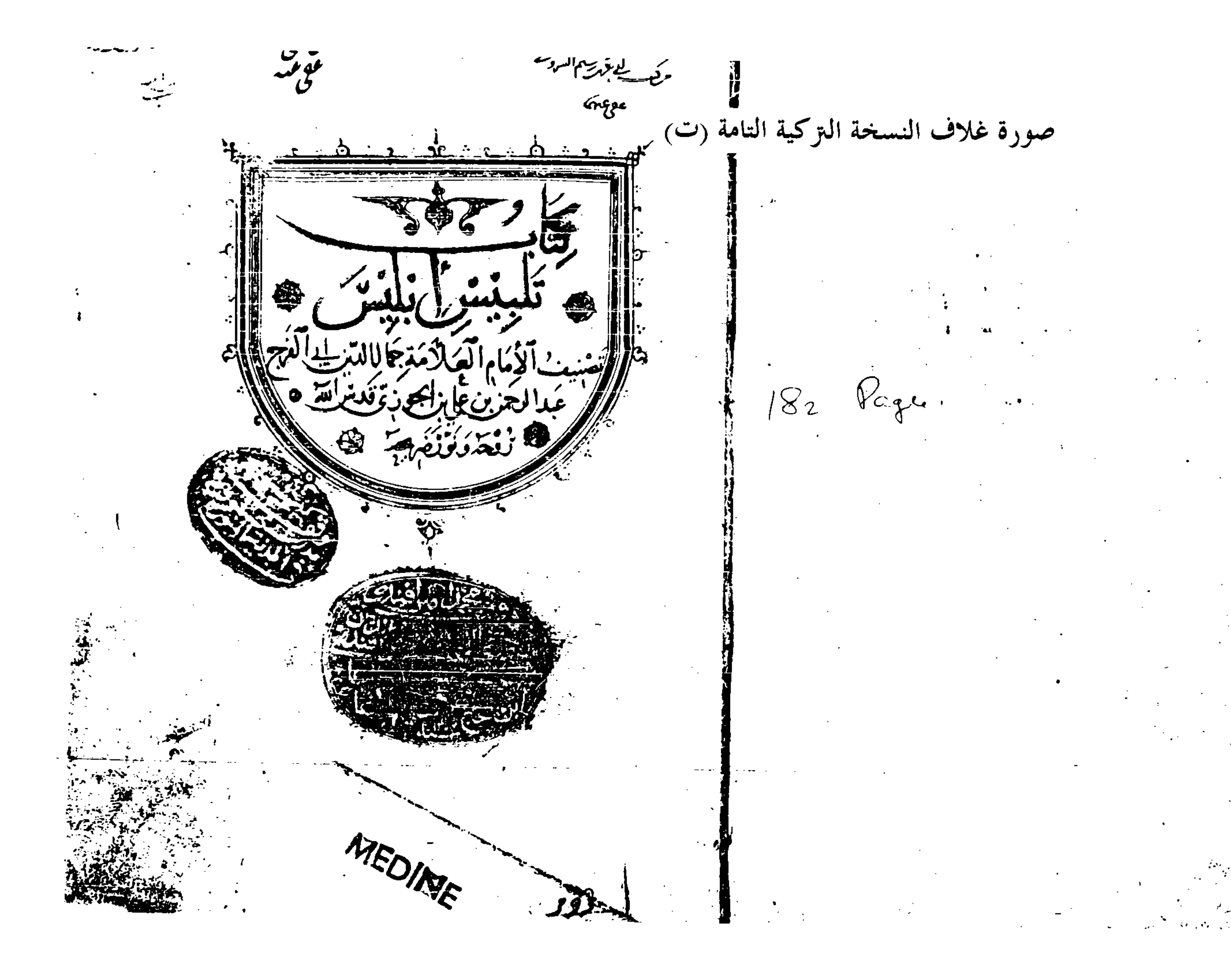
صورة الورقة الأخيرة من النسخة الأحمدية (أ)

بالعمل وتسند الامر الى طول الامل حتى يدرك العبد الاجل فينبغي
للحازم ان يعمل على الحزم والحزم بدار الوقت وترك التسويف
والاعراض عن الامل فان المخوف لا يؤمن والفوات قد يعقب
وسبب كل تقصير في خير او ميل الى شر طول الامل فان الانسان
لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والاقبال على الخير الا انه يعد
نفسه بذلك ولا ريب انه من امل ان يمشي سار بالنهار سيرا فاترا
ومن امل ان يصبح عمل بالليل عملا ضعيفا ومن صور الموت عاجلا
جد وقد قال صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع
وقال بعض السلف انذركم سوف فانها اكبر جنود ابليس ومثل
العامل على الحزم والساكن لطول الامل كمثل قوم كانوا في سفر
فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متاهبا
للرحيل وقال المفرط ساتاهب فربما اقمنا شهرا فضرب بوق الرحيل
في الحال فاغتبط المحترز واغتبط الاسف المفرط فهذا مثل الناس
في الدنيا منهم المستعد المتيقظ فاذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم
المغرور المسوف يتجرع مر الندم وقت الرحلة واذا كان في الطبع
حب التواني وطول الامل ثم جاء ابليس يحث [illegible] يقتضي ما في
الطبع صعبت المجاهدة الا انه من انتبه [illegible] انه في صف
حرب وان عدوه لا يفتر عنه [illegible] له مكيدة واقام
له كمينا ونحن نسال الله عز وجل السلامة من كيد الغرور

[illegible] الدنيا وشر النفوس انه قريب مجيب
اخر كتاب تلبيس ابليس [illegible]
ونقله من نسخة [illegible] والحمد لله [illegible] وصلواته وسلامه على
[illegible] سيد الخلق [illegible] محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه
وعلى جميع الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وسائر عباد
الله الصالحين من اهل السموات والارضين وحسبنا الله ونعم الوكيل
وكان الفراغ من [illegible] نفع الله تعالى بها [illegible]
[illegible] والمسلمين امين يا رب العالمين [illegible]
[illegible]

[illegible] نفعنا الله به بمنه وكرمه وفضله ونعمه
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال
ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم انك
حميد مجيد

صورة غلاف النسخة التركية التامة (ت)



صورة الورقة الأولى من النسخة التركية التامة (ت)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي سلم ميزان العقل إلى أكف ذوي الألباب، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب، وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب، وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب، أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب، وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص في سبيل تحصيل مرتاب، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله وقد سدل الكفر على وجه الإيمان الحجاب، ففسح الظلام بنور الهدى وكشف النقاب، وبين للناس ما نزل إليهم وأوضح مشكلات الكتاب، وتركهم على المحجة البيضاء لا ريب فيها ولا ارتياب، صلى الله عليه وعلى جميع الآل والأصحاب، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب، وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فإن أعظم النعم على الإنسان العقل؛ لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه، والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب، فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس، ولما ثبتت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة سلم إليهم، واعتمد فيما يخفى عنه عليهم، ولما أنعم الله سبحانه [illegible] بالعقل افتتح بنبوة أبيهم آدم عليه السلام، فكان [illegible] عز وجل، فكانوا على الصواب إلى أن انفرد قابيل بهواه فقتل أخاه، ثم تشعبت الأهواء بالناس فشردتهم في بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام، واختلفوا في العقائد والأفعال اختلافًا خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعًا لأهوائهم وميلًا إلى عاداتهم وتقليدًا لكبرائهم، فصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من

المؤمنين

المؤمنين وتحصل ولعلمي أن الأنبياء جاؤوا بالبيان الكافي، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي، وتوافقوا على منهاج لم يختلف، فاقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهًا، وبالدواء سمًا، وبالسبيل الواضح جوادّ مضلة، وما زال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية في مذاهب سخيفة وبدع قبيحة، فأصبحوا يعبدون الأصنام في البيت الحرام، ويحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ويرون وأد البنات، ويمنعوهن الميراث، إلى غير ذلك من الضلال الذي سوّله لهم إبليس، وابتعث الله سبحانه محمدًا صلى الله عليه وسلم فرفع المقابح وشرع المصالح، فسار أصحابه معه وبعده في نوره سالمين من العدو وغروره، فلما انسلخ نهار وجودهم أقبلت أغباش الظلمات، فعادت الأهواء تنشئ بدعًا وتضيق سبيلًا ما زال متسعًا، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعًا، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف، وإنما يصح له التلصص في ليل الجهل، فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح، ورأيت أن أحذر من مكايده، وأدل على مصايده، فإن في تعريف الشر تحذيرًا من الوقوع فيه، ففي الصحيحين من حديث حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله بن علي البزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي الطريثيثي قال: أخبرنا هبة الله بن الحسن الطبري قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل قال: حدثنا محمد بن أحمد [illegible] قال: حدثنا بشر بن موسى قال: حدثنا عبيد بن يعيش قال: حدثنا يونس بن بكير قال: حدثنا محمد بن إسحاق عن الحسن بن عبد الله عن [illegible] عباس قال: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان

صورة الورقة الأخيرة من الجزء المحقق في النسخة التركية (ت)

صورة الورقة الأخيرة من النسخة التركية التامة (ت)

الباب الثالث عشر

صورة من غلاف النسخة التركية الناقصة (ك)

الجزو الثاني من كتاب

تلبيس ابليس لعنه الله

تصنيف الشيخ الامام العالم الزاهد العابد الورع جمال الدين نجم الاسلام زين الانام فخر الامه علم الايمه ناصر السنه ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي تغمده الله بالرحمه والرضوان واسكنه بحبوحه الجنان امين

142 Page

varak 141

صورة من الورقة الأولى من النسخة التركية الناقصة (ك)

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن تلبيس ابليس على أصحاب الحديث
قال المصنف قدح بعضهم في بعض
طلبًا للتشفي ويخرجون ذلك مخرج
الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء
هذه الامة للذب عن الشرع والله اعلم
بالمقاصد ودليل خبث مقصد هولاي
سكوتهم عمن يحابونه وما كان القدما
هكذا فقد كان علي بن المديني يحدث
عن ابيه وكان ضعيفًا ثم يقول وفي
حديث الشيخ ما فيه ○ اخبرنا ابو بكر
ابن حبيب العامري قال اخبرنا ابو سعد
ابن ابي صادق قال انا ابو عبد الله بن
باكويه قال نا بكران بن احمد الجيلي
قال سمعت يوسف بن الحسين يقول

فلان ابتلي بكذا وامتحن بكذا نعوذ
بالله من الخذلان فتصنعه ابدا الرحمه
والشفقه علي اخيه ثم تتصنع بالدعا له عند
اخوانه وتقول انما ابديت لكم ذاك لتكثروا
دعاكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضًا
وتصريحًا فاتق الغيبة فقد نطق القران
بكراهتها فقال تعالى ايحب احدكم ان
ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اخبار
كثيره ○ ذكر تلبيس ابليس على علما المحدثين
روايه الحديث الموضوع من غير ان يبينوا
انه موضوع وهذه خيانه منهم على الشرع
ومقصودهم تنفيق احاديثهم وكثره
روايا تهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
من روى عني حديثا يرى انه كذب فهو احد

صورة من الورقة الأخيرة من النسخة التركية الناقصة (ك)

امرأه قد طعنت في السن فسئلت عن
حالها فقالت كنت في حال الشباب اجد من
نفسي احوالا اظنها قوة الحال فلما كبرت
زالت عني فعلمت ان ذلك كان قوة الشباب
فتوهمتها احوالا قال فسمعت ابا علي
الدقاق يقول ما سمع احد هذه الحكايه
من الشيوخ الا رق لهذه العجوز وقال
انها كانت منصفه ٥ فان قيل كيف
تمنعون من التقلل وقد روي ان عمر
كان ياكل كل يوم احد عشره لقمه وان
ابن الزبير كان يبقى اسبوعا لا ياكل
وان ابرهيم التيمي بقي شهرين قلنا
قد يجري للانسان من هذا الفن في
بعض الاوقات غير انه لا يدوم ولا يقصد
الترقي اليه وقد كان في السلف من

ثمارها قال يا اخواني ارموا الدنيا لجدارنها فاتي
بذلك السكر فالقي فيها ثم اقبل ابو مرحوم على
اخوانه فقال يا اخواني كيف اصبحت الدنيا قالوا
مشرق لونها مبيضه شمسها وقد اجري فيها انهارها
وقد غرس فيها اشجارها وقد تدلي لنا ثمارها
فقال يا اخواني ما لنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها
قال فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس
قال ابو الفضل احمد بن سلمه ذكرته لابي حاتم
الرازي فقال امله علي فاملیته عليه فقال هذا
شان الصوفيه قال المصنف قلت وقد رايت منهم
من اذا حضر دعوه بالغ في الاكل ثم احتال من
الطعام فربما لا كميته من غير اذن صاحب
الدار وذلك حرام بالاجماع ولقد رايت شيخا
منهم قد اخذ شيا من الطعام ليحمله معه فوثب
صاحب الدار فاخذ منه ٥ اخر الجزء الثاني

الصفحة

الصفحة

الصفحة